# الإرث الملعون

رواية

محمد خالد رزق

تشكيل للنشر والتوزيع

# مقدمة

عندما تغرس بيدك بذور الظلام، لا تنتظر أن تُثمر نورًا، فإنك لن تحصد إلا ما زرعت، وقد يكون الحصاد أضعافًا، وتبقى رهين العتمة إلى الأبد....

# 1

في إحدى ليالي الشتاء الباردة، داخل قرية لم يتجاوز عدد سكانها العشرة آلاف نسمة، في جنوب مصر، يعيش مطاوع وأخته الصغرى حور، في حالة يُرثى لها من الفقر، حالهم كحال معظم سكان القرية الذين يعملون في الزراعة في أراضٍ لا يملكُها أكثرهم.

ورغم صِغر القرية وفقرها، إلا أنها لا تخلو يومًا من الحكايات عن سِحر فُلان لفُلان، وقيام فُلان بعمل ربط لفلان مقابل المال، وآخر لطرد الجن وآخر للبحث عن الآثار والكنوز المدفونة.

كأن السحر أصبح سلعة رائجة في تلك القرية الفقيرة.

ولمَ لا؟! فإن مثل هذه القرى التي تعاني من الفقر والجهل تكون تربة خصبة لأعمال السحر والدجل والمتاجرة بآلام الناس وأحلامهم.

جلس مطاوع.. الشاب طويل القامة، عريض الكتفين، ذو العينين السمراوين الحادتين كلون بشرته، الذي سيتم عامه الثلاثين في غضون أيام قليلة برفقة أخته حور، صاحبة الجسد الجميل المتناسق، والعيون البنِّية الساحرة، التي تصغره ببضعة أعوام على الطبلية (قطعة دائرية من الخشب

تقف على ثلاثة أرجل قريبة من الأرض) يتناولون طعام العَشاء في تأفف من فقر حالهم.

قال مطاوع لأخته وهو يشق بيده قطعة خبز:

«*إلى متى سنظل غير قادرين على العيش في هذه الحياة*»؟

أجابته في نبرة استسلام ويأس وهي تقدِّم أمامه أحد الصحون:

«*ليس في يدينا أي شيء نفعله، عاشوا والدينا على هذه الحالة من الفقر، ورحلوا ولم يتركوا لنا شيئًا غيره*».

أشاح مطاوع ببصره عن الطعام ونظر إلى سقف الغرفة وهو يخرج زفيرًا قد ضاق به صدره، ثم قال ساخرًا:

«*حتى بيت خَالتنا نفيسة، أُشتهر عنه أنه ملعون ومسكون بالجن، تدور حوله الأحاديث، ولا أحد يُريد شراءه*».

لمعت عينا حور وهي تنظر لأخيها، كأنها وجدت ضالتها في جملته!

قالت بحماس:

«*هل سمعت عن الشيخ الذي يذهب إليه الناس في البلدة المجاورة، ليساعدهم على حل مشاكلهم بالأعمال والسحر*»؟

أجابها مطاوع وهو عاقد حاجبيه دليلًا على اهتمامه بما تقول:

*«نعم سمعت، تتحدث عنه البلدة بأكملها هذه الأيام».*

تابعت حور قائلة:

*«هل تذكر ما كنا نسمعه عن خالتنا نفيسة منذ طفولتنا»؟*

أجابها قائلًا:

*«بالتأكيد أتذكر، لقد كانت تدّعي أن لديها خدم من الجن يفعلون ما تأمرهم به، لهذا يخاف الناس من الاقتراب من بيتها إلى يومنا هذا».*

ثم قام مطاوع بسؤال حور قائلًا:

*«ما الذي تحاولين قوله»؟*

قالت بلهجة تعكس قوة شخصيتها:

*«سنذهب إلى بيت خالتنا نفيسة، ونبحث عن الكتب التي كانت تقرأ فيها، ونتعلم منها، ونسير في نفس طريقها».*

صمتت لثوانٍ لاستكشاف تعبيرات وجه أخيها ثم تابعت قائلة:

*«سيقول الناس أننا ورثنا علم خالتنا، الذي سمعوا به*

*جميعًا، وما زال بعضهم يحكي عنه إلى اليوم».*

كان مطاوع في هذا التوقيت يسمع حديث أخته باهتمام بالغ، لكنه اهتمام يخالطه بعض القلق والخوف، فهو وبرغم كل شيء لا يزيد عن كونه مزارعًا بسيطًا ليس له في أمور الجن وأعمال العفاريت تلك.

بادرته حور قائلة:

*«ما رأيك يا أخي»؟*

*«أنت لا تعلم ما سيطرأ على حياتنا من تغيير، سيتبدل كل شيء، سنصبح أغنياء وسنُعامل باحترام من أهل القرية والقرى المجاورة».*

أومأ مطاوع برأسه بموافقة يشوبها بعض القلق ثم قال:

*«لكن هذا الأمر يحتاج شخصٍ آخر معنا».*

قالت حور بشرود:

*«أي شخص هذا»؟*

أجابها مطاوع قائلًا:

*«صديقي قناوي، إنه يتيم مثلنا، وحاله كحالنا».*

وقبل أن تجيبه، سمع كلاهما صوت طرقات على باب

البيت، فهمَّ مطاوع أن يقف وهو ينظر لحور قائلًا:

*«هذا قناوي، كنت قد دعوته إلى شرب الشاي بعد العشاء، وها هو قد جاء».*

فتح مطاوع الباب واستقبل صديقه الذي يصغره بعامين، ببشرة سمراء مائلة للحمرة، خَطَا إلى الداخل ببنيته القوية وطول قامته، يرتدي جلبابًا بُنيًا مُتهالكًا، يتنحنح بصوت غليظ ويشيح بعينيه أرضًا ويقول:

*«يا ساتر».*

وتابع بتلعثم:

*«كيف حالك يا حور؟!».*

وقفت حور بعد أن قامت بوضع إيشارب على رأسها تنظر إلى قناوي الذي يبادلها النظرات في خجل وقالت:

*«بخير، كيف حالك أنت؟!».*

قال مطاوع وهو يمسك بمعصم صديقه:

*«اجلس لتناول العشاء أولًا».*

أجابه قناوي:

*«لقد سبقتكم إليه منذ قليل».*

وجّه مطاوع حديثه لحور:

*«إذن فلتتفضل علينا حور، وتصنع لنا كوبين من الشاي؛ لأني سأحدثك في موضوع هام».*

قامت حور بحمل طبلية الطعام ودخلت بها إلى غرفة أخرى لتقوم بتحضير الشاي.

وضع قناوي كوب الشاي من يده فارغًا على صينية معدنية رديئة تآكلت من الصدأ بينه وبين مطاوع ثم قال:

*«أنا معك يا صديقي طالما أن هذا سيخرجنا من حياة الفقر هذه، وعلى كل حال ليس لدينا ما نخسره».*

استبشرت حور بسماع موافقة قناوي وهي واقفة خلف باب الغرفة المجاورة لهما تسترق السمع، لم تتمالك نفسها من الحماس حتى خرجت وقالت:

*«طالما اتفقنا جميعًا، يكون من الأفضل أن نبدأ ونذهب إلى بيت الخالة نفيسة.. الآن»!*

تعجب مطاوع من تصرف أخته وتسرُّعها، وكذلك قناوي الذي بدا على وجهه الصدمة، أن حور تعلم بما تحدَّث فيه مع أخيها وقال:

*«أنتِ تعلمين بهذا الأمر أيضًا»؟*

أجابه مطاوع قائلًا:

*«لقد كانت هذه فكرة حور من البداية يا صديقي».*

وتابع مازحًا:

*«تشعر أنها وريثة خالتها بحق».*

ضحك الجميع، لكنهم توقفوا فجأة عند سماع طرقات على الباب مرة أخرى، لكن هذه المرة كانت الزائرة هي ميمونة أخت قناوي، استقبلتها حور باحتضانها وقالت لها:

*«جئتِ في موعدك يا ميمونة».*

نظرت لها ميمونة التي تكبُرها بعامين، بعينين سوداوين خاملتين وجسد نحيف تقول:

*«انقطعت الكهرباء عن البيت، وقد أخبرني قناوي قبل خروجه أنه سيتواجد هنا في حالة إن حدث شيء، خشيت المكوث في الظلام بمفردي».*

قالت حور:

*«لن نجلس هنا ستأتي معنا إلى».....*

قاطعها قناوي سريعًا:

*«ميمونة لن تذهب معنا، فهي تمتلك قلبًا ضعيفًا ولن تتحمل*

*هذا الأمر، من الأفضل أن تبقى بعيدة».*

قال مطاوع:

*«دعها تأتي يا صديقي لنكون نحن الأربعة معًا دائمًا كعائلة واحدة».*

ثم قالت حور وهي تنظر إلى قناوي:

*«دعها تأتي لكيلا أكون الفتاة الوحيدة بينكم».*

قال قناوي:

*«على الأقل نتحدث معها عن الأمر ونترك لها حرية الاختيار».*

يعلم قناوي جيدًا أن أخته ما تزال تحتفظ بقلب طيب، رغم كل ما مرت به، وراهن أنها لن توافق على مثل هذا الأمر.

تحدث كل من مطاوع وحور مع ميمونة فيما اتفقوا عليه، وكانت المفاجأة بالنسبة لقناوي سماع جواب أخته التي قالت بلا تردد:

*«أنا معكم، طالما سنتخلص من هذا الفقر وهذه الحياة».*

لم تتردد ميمونة البالغة من العمر تسعة وعشرين خريفًا في الموافقة على الأمر، لقد عانت من الفقر طيلة سنوات حياتها،

لقد تسبب الفقر في موت أبويها، حتى تأخرها عن الزواج إلى هذا السن كان الفقر سببه، ترى في ذلك الأمر فرصة للانتقام منه، والتغلب عليه قبل أن تموت هي وأخوها منه أيضًا...

اجتمع جميعهم على السير في هذا الطريق، للتخلص من شيء واحد هو الفقر، فقط الفقر.

خرج أربعتهم من المنزل متجهين إلى أطراف القرية، حيث بيت الخالة نفيسة المليء بالأشباح وقصص الجن التي تدور حوله منذ سنوات..

البرد قارس، الشوارع خالية تمامًا، الجميع في هذه القرية ينام في وقت مبكر ليستيقظ مع أذان الفجر للذهاب إلى العمل في الأراضي الزراعية ورعي البهائم والأغنام..

لم يصاحبهم في الطريق إلا أصوات الضفادع وصفير صرصور الحقل حتى وصلوا..

وقف مطاوع وقناوي وميمونة وحور أمام المنزل، وكأن أرجلهم لم تعد تطاوعهم على الاقتراب أكثر...

البيت حالك الظلام، يبدو كمكعب أسود، يقف بين الحقول وحيدًا، يطوف من حوله خرير رياح يكاد يوقف القلب بمفرده..

تقدم كل من مطاوع وقناوي ومن خلفهم حور، بينما ظلت ميمونة في مكانها لا تتحرك، وكأنَّ شيئًا بداخلها يقول لها: لا تدخلي هذا البيت..

فكل مَن ستخطو أقدامه داخله، ستصيبه لعنة لا مفرَّ منها ولا مناص..

كان الثلاثة قد فتحوا الباب ودخلوا بالفعل..

انقبض قلب الجميع مما رأوه..

تحدث قناوي قائلًا في خوف:

«ما هذا «؟

قال ذلك حين رأى البيت مُضاءً بالكامل، إضاءة شديدة، فكيف لم يروا انعكاس كل هذا الضوء من الخارج؟

وليس هذا فقط، ما آثار دهشتهم حقًّا أنهم وجدوا البيت نظيفًا ومرتبًا!

كيف يكون مرتبًا ونظيفًا إلى هذا الحد رغم هجره لسنوات؟

لا توجد أتربة على أرضيته وفراشه، لم تنسج العناكب خيوطها على جدرانه..

لا أثر لأي شيء، لا شيء أبدًا.

وبينما الجميع في ذهول دخلت ميمونة متسائلة:

*«هل جاء أحدكم إلى هنا قبل الليلة لتنظيف البيت»؟*

أومأ مطاوع وحور برأسيهما نافيين..

قال قناوي في خوف ممزوج بالدهشة:

*«هذا يؤكد حقيقة ما كنا نسمعه عن هذا البيت، طيلة الأعوام الماضية».*

قالت حور وهي تنظر إليهم باستغراب..

*«ما كل هذا الخوف الذي بدا عليكم»؟!*

*«نعلم منذ البداية أن البيت مسكون، ألم يكن هذا سبب مجيئنا، أن نتعلم من كتب الخالة نفيسة، ونفعل ما كانت نفعله ليكونوا خدمًا لنا ويطيعوا أوامرنا».*

تدارك كل منهم نفسه، ونظروا جميعًا إلى حور في انتظار أن تخبرهم بما سيفعلونه، فقد علموا جميعًا أنها أكثرهم جرأة..

علمت حور هذا من نظراتهم إليها فقالت:

*«الآن سنبحث في البيت بالكامل عن الكتب والأشياء التي*

*كانت تستخدمها الخالة لاستحضار الجن، لنفعل ما يجب علينا فعله، لعقد اتفاق بيننا وبينهم».*

ذهب مطاوع وقناوي في اتجاه السلم المؤدي للطابق الثاني، بينما ذهبت ميمونة خلف حور إلى إحدى غرف الطابق الأرضي..

وجدت حور نفسها داخل غرفة نوم خالتها نفيسة، خلفها ميمونة التي كانت تستعجب من حال الغرفة، السرير المرتب وفراشه النظيف، والدولاب اللامع كأن صانعه قد انتهى منه للتو.

فتحت حور خزانة ملابس خالتها، وأخذت تقلب فيه، وميمونة مكتفية بالنظر إليها..

أتى مطاوع وقناوي على باب الغرفة ثم تحدث مطاوع وهو ينظر لحور قائلًا:

«*جميع الغرف بها أثاث جديد ومرتب، لا شيء غريب بالطابق الثاني إلا غرفة مليئة بالمرايات، لا أعرف لماذا كانت خالتك تحتفظ بكل هذا العدد*».

ثم أخذا يبحث رفقة حور في خزانة الملابس..

وبينما هم كذلك سمع الجميع صوت صراخ ميمونة فزِعة

من شيء ما..

نظر الجميع إليها وهي واقفة تنظر في أحد أركان الغرفة، تكسو ملامح الخوف وجهها.

*«ماذا بك يا ميمونة لِم تصرخين هكذا»؟*

كان هذا صوت أخيها قناوي قاله بعدما اقترب الجميع منها..

أشارت بيدها المرتعشة إلى ركن الغرفة، تقول بأنفاس متقطعة:

*«رأيت سيدةً عجوزًا هنا، ملامحها غاضبة بشعر أحمر طويل، عظام وجهها بارزة، تقف بانحناء شديد غير طبيعي، تنظر إلينا بعينين عميقتين كأنهما بئر مظلم».*

حاول الجميع تهدئتها بعدما نظروا في كل الغرفة ولم يجدوا شيئًا..

نطقت ميمونة مرة أخرى قائلة:

*«أقسم أني رأيتها، حتى أنها تمتلك وشمًا على ذقنها كالمثلث أو مثلثين متداخلين، أحدهما غير كامل مكونين نجمة من خمسة أضلاع».*

اقتربت حور من ركن الغرفة المشار إليه قائلة:

*«حسنًا وما في ذلك، من المرجح أن تكون الخالة نفيسة جاءت لترى مَن دخل البيت»*.

ثم أخذت تلامس الحائط قائلة:

*«خالة نفيسة أهذه أنتِ؟ أنا حور ابنة أختك تهاني، وهذا مطاوع أخي، لقد جئنا لنتعلم منك ونسير في طريقك بعدما ضاقت علينا الدنيا»*.

وما إن انتهت حور من كلماتها حتى سمعوا ورأوا جميعًا تشقق في الجدار الذي يقفون أمامه..

اقترب مطاوع وقناوي من هذه الشقوق، ليجدوا خلفها مكتبة سرية بها كتب ولفائف قديمة..

أُصيب الجميع بالصدمة والذهول مما حدث، حتى كادوا جميعًا أن يستمعوا لصوت الرعب بداخلهم ويغادروا هذا البيت الغريب..

لكن وكالعادة سارعت حور إليهم قائلة:

*«ماذا بكم، ألم يكن هذا ما نبحث عنه ونريده»*.

ثم قالت بصيغة الأمر:

*«انقلوا هذه الكتب بالكامل هنا على هذا الفراش»*.

قاموا بحمل الكتب واللفائف ونقلها إلى المكان الذي أشارت إليه، وأخذوا جميعهم يتفحصوا ما فيها..

بعد بضعة ساعات قالت ميمونة في إعياء:

*«علينا الاكتفاء إلى هذا الحد الليلة، الأفضل أن نغادر ونعود مساء غد، عندما تهدأ حركة الناس في الشوارع».*

توقف الجميع وتركوا ما بأيديهم وانتظروا انتهاء حور من تفحص الكتاب الذي في يديها، والذي يبدو أنه قد أثار اهتمامها..

تحدث مطاوع إليها قائلًا:

*«هيا يا حور، سنعود مساء غد».*

نظرت إليه وهي تقوم بدس الكتاب بين ثيابها قائلة:

*«حسنًا لنغادر».*

خرج الجميع من البيت، وما إن أغلق مطاوع الباب حتى تحوّل البيت مرة أخرى إلى مكعب أسود مظلم ترتجف منه القلوب..

فسارعوا جميعًا عائدين إلى منازلهم بأجسادٍ متجمدة من شدة البرد في هذا التوقيت..

# 2

دخل كل واحد منهم إلى غرفته مباشرة حين عادوا إلى البيت..

مطاوع لم يأخذ وقتًا طويلًا حتى غط في نوم عميق، بعدما تخيل نفسه قد أصبح ثريًا، وتزوج وأضحى لديه عائلة كبيرة..

أما حور فلم يعرف النوم لجفنيها طريقًا، أخذت تقرأ في الكتاب التي عادت به من بيت خالتها، مُقبلةً عليه بكل شغف لاقتحام هذا العالم الخفي، تحلم بالقوة والسيادة والتحكم في مصائر الناس بواسطة عالم الجن، لتستعيد مكانة خالتها وسيرتها المخيفة بين الجميع..

أخذت تتعلم معاني الرموز والأعداد، وطرق التحضير وكيفية استخدامها..

كانت على حالتها هذه حين شعرت بالعطش، قد جف ريقها من طول القراءة..

وضعت الكتاب من يدها على الفراش مقلوبًا على صفحاته لكي لا تضيع الصفحة التي وقفت عندها..

أخذت الكوب الفارغ المصنوع من الألومنيوم الذي تضعه

بجانبها، وذهبت لخارج الغرفة بهدوء لتروي ظمأها..

اعتدلت في جلستها على الفراش مرة أخرى، ثم أمسكت بالكتاب، وما إن مسكته بين يديها حتى شعرت بالخوف مما رأت، لكنها أبدت تماسكها، تنظر إلى صفحة الكتاب الجديدة، واحدة أخرى غير تلك التي تركت الكتاب عليها، كأن الصفحات تغيرت وتبدلت من تلقاء نفسها..

اعتقدت حور أن ما حدث ما هو إلا إشارة لتقرأ وتتعلم ما في هذه الصفحة..

كانت الصفحات تتحدث عن تعويذة تحضير..

ما ذهب له عقلك الآن هو بالضبط ما ذهب له عقل حور، ما دامت الجملة قد بدأت بهاتين الكلمتين، فالكلمة الثالثة لن تخرج عن الجن أو العفاريت أو خادم، تعددت الأسماء، ولكن يبقى المعنى مقترن بالجن والعالم السفلي..

لكن في هذه الصفحات تغير كل هذا..

فالصفحات تتحدث عن تعويذة تحضير لكتاب آخر..

كتاب عكف على صنعه ملوك أقوياء من العالم السفلي..

كتاب من يمتلكه فقد امتلك قوة عظمى وسلطان..

أخذت حور تحفظ الرسوم والكلمات بترديدها، ثم قامت

بعد ذلك بكتابة هذه الكلمات على ثلاث ورقات، لتعطي كلًا من أخيها وقناوي وميمونة نسخًا منها ليحفظوها ويقوموا باستخدامها لتحضير أربع نسخ من هذا الكتاب..

تملّك منها التعب وغَلَبَ عليها النُعاس، فوضعت الكتاب بجانب رأسها ونامت..

في بيت قناوي وميمونة، دخلا كل واحد منهما إلى غرفته بعدما تحدثا قليلًا فيما حدث في ذلك البيت.

مدد قناوي جسده على فراشه، تنهد بارتياح وأخذ يفكِّر بأنه قريبًا سيصبح غنيًا، وسيمتلك الشجاعة الكافية لمصارحة حور بحبه، سيبوح لها بما يكتمه في قلبه منذ سنوات، ومنعه الفقر من إخراجه.

أما ميمونة فكانت تفكر في ذلك اليوم، الذي تتخلص فيه من حياة الفقر هذه، وتقابل فارس أحلامها، وتعيش قصة حب تنتهي بالزواج في بيتٍ كبير..

لقد بدأ يحلم كل منهما بالغد الذي ينتظره، وكأنهم يثقون في نجاح ما سيفعلونه كل الثقة، ولِم لا وقد رأوا الليلة في هذا البيت بأم أعينهم بوادر ما هم مُقبلين عليه..

في اليوم التالي استيقظ مطاوع على صوت أخته حور واقفة في منتصف غرفتهِ بوجهٍ شاحب، تحملُ بين يديها

كتابا..

انتفض مطاوع من فراشه إليها قائلًا:

«*ماذا بكِ*»؟

أجابته بحروف مرتجفة قائلة..

«*الك.. تاب*»!

نظر مطاوع للكتاب في يدها، ثم أمسكه منها وأجلسها على فراشه، ثم أتى إليها بكوب من الماء لتهدأ..

قصّت عليه ما حدث بالأمس، أثناء قراءتها في هذا الكتاب، وكيف أن أوراقه تغيرت بمفردها!!

كان مطاوع يُصغي لأخته السمع، وتعابير الخوف والاهتمام مختلطة على وجهه..

أما ما أصاب حور بالفزع في الصباح، أنها عندما استيقظت وجدت الكتاب بجانبها كما تركته، إلا إنه لم يكن فيه أي شيء مكتوب، صفحاته كلها بيضاء خالية من أي حرف.

روت لأخيها عن الحلم الذي رأته في منامها، كانت تقوم فيه بالجلوس داخل دائرة بها نقوش ورسومات غريبة، في منتصف غرفة مظلمة لا إضاءة فيها سوى إضاءة الشموع الخافتة، وقيامها بترديد التعويذة التي كانت تقرأها بكثرة

لتحفظها قبل النوم..

لا أحد منهم فهِمَ ما حدث، لكن يبدو أن حور تم اختيارها من قِبل العالم السفلي لشيء ما، وقد لا تستطيع التراجع الآن حتى إن أرادت ذلك..

قبل مغيب الشمس، كان الأربعة مجتمعين في بيت مطاوع ينتظرون حتى تهدأ الحركة في شوارع القرية، ليتمكنوا من الذهاب إلى بيت الخالة نفيسة مرة أخرى..

لقد قامت حور بجمع حقيبة كبيرة بها الكثير من الشمع والبخور وبعض الأشياء الأخرى التي قرأت عنها في الكتاب..

لم يمر وقت طويل حتى تحركوا من البيت..

الشوارع خالية، كأن أهل البلدة يختبئون في بيوتهم عند قدوم الليل..

الجميع يخاف أن يكون فريسة لشخص ما، أن يصبح ضحية بين ليلة وضحاها..

في تلك البلدة لا تعرف عدوًّا من صديق، الجميع جانٍ والجميع مهدَّد..

عند وصولهم كان كل منهم قد اتخذ قراره بالمواصلة في هذا الطريق لنهايته، مهما كانت العواقب..

فتح مطاوع الباب وهو يتساءل:

*«هل يرى أحدكم هذا»؟*

لم يعلموا عمَّا يتحدث، فقال مشيرًا إلى عتبة البيت:

*«الإضاءة بالداخل لا تمر للخارج، لا تتعدى عتبة البيت، كيف»؟*

اكتفى الجميع بالاندهاش في صمت، لا أحد لديه تفسير عن أي شيء مما يحدث هنا..

اتجهت حور إلى غرفة خالتها التي ما إن فتحتها حتى تسمرت في مكانها..

لقد كانت الغرفة فارغة تمامًا..

لا وجود لخزانة الملابس والسرير، كل ما كانت تحتويه الغرفة من أثاث بالأمس، لا وجود له..

لا شيء غير نقوش مرسومة على الأرض داخل خطوط نجمة خماسية مقلوبة، وسط الغرفة محدد على أطرافها أماكن لجلوس أربعة أشخاص..

أخرجت حور الشموع من حقيبتها، قامت بتثبيت بعضها أمام أضلاع النجمة، والباقي في أركان الغرفة، أشعلت الشمع والبخور، أغلقت إضاءة الغرفة، ثم جلست بدون أن تتفوَّه

بكلمة..

نظر البقية لبعضهم البعض في تعجب بعد مراقبتها، ثم وجدوا أنفسهم يجلسون بهدوء وريبة خلفها..

تمتمت حور ببضع كلمات غير مفهومة، أثارت الهواجس في نفوس الجميع، وسط إضاءة الشموع وما تبعثه في النفس من خوف وترقب..

وزّعت عليهم الورقات، المكتوب فيها ما سيرددونه..

قامت بوضع الكتاب الخاص بها في منتصف النجمة الخماسية المقلوبة.

أخذ كل منهم يردد الكلمات في الأوراق، وحور معهم تتمتم ما حفظته بالأمس..

إلى أن حدث ما أصاب الجميع بالفزع..

حين أتت رياح لا أحد يعلم مصدرها، رياح شديدة انطفأت الشموع على إثرها، سمعوا بعدها أصوات تمتمات، يتردد صداها في آذانهم همسًا، يُهيأ لهم رؤية خيالات هنا وهناك، لحظات عصيبة على الجميع، لكنها أشد صعوبة على ميمونة التي كادت أن تصرخ وتقفز من جلستها هاربةً من الغرفة، من شدة ما بها من ذعر..

قاومت خوفها بعض الشيء، حين شعرت بقبضة يدِ حور على يديها..

ظل الجميع على هذا الحال لدقائق، إلى أن انتهى العرض من العالم السفلي..

تحدثت حور بصوت واثق غير مهتز قائلة:

*«لا أحد يتحرك من مكانه».*

امتثل الجميع لطلبها..

قامت لتشغيل الإضاءة، تتحرك بهدوء في الظلام، فهي لا تعرف إن كانوا بمفردهم في الغرفة، أم ما زال معهم أحد من الحضور؟

أضاءت الغرفة وعادت لجلستها، تسمع همهمات التعجب من البقية، وكيف لا يتعجبون، وكل منهم يرى كتابًا ذا غلاف جلدي أسود مجعد، ما زالت تتصاعد منه الأدخنة، كأنه قد جيء به من الجحيم للتو، ولعل هذا ما حدث بالفعل..

كانت حور أول من مدت يدها إلى الكتاب الذي أمامها لتأخذه وتفتح أول صفحاته..

وما إن نظرت بداخله حتى جحظت عيناها وهي تنظر للآخرين..

سألها الباقون في صوت واحد:

*«ما بكِ»؟*

لم تستطع التحدث، اكتفت بالإشارة للكتب أمامهم..

أمسك كل منهم بكتابه، وفتحوا أول الصفحات، ليقرءوا ما فيها، حتى عمّت الصدمة والاندهاش الجميع..

تحدثت ميمونة قائلة:

*«بالتأكيد لن نفعل ذلك، ألا توجد طرق أخرى».*

قام قناوي بدوره بالإشارة على موافقة رأيه برأي أخته ميمونة..

كذلك مطاوع الذي كان ينظر تجاه أخته حور ويتمتم قائلًا:

*«أعلمُ منذ البداية، أننا إذ أردنا أن يكون لنا تابعون من الجن سيتحتَّم علينا أن نرتكب كبيرة من الكبائر، لكن، لم يخطر لي أن تكون بمثل هذه الصعوبة».*

رغم إبداء الجميع بآرائه، إلا أنهم ما زالوا يترقبون قول حور ورأيها..

عادت حور من شرودها وقالت:

*«لقد اخترنا السير في هذا الطريق منذ البداية، ونحن نعلم*

*أنه شرك بالله، ولا أرى أن هناك شيء أكبر من ذلك يصعب علينا ويوقفنا عن فعل ما أردناه».*

صمتت حور قليلًا ثم تابعت قائلة:

*«لذلك، فإني أعلن موافقتي على تنفيذ الشرط الأول من الكتاب».*

نظر الجميع إلى حور بنظرات اعتلتها الصدمة والاندهاش مما قالت، وكانت صدمة أخيها في مقدمتهم، الذي تفاجأ بموافقتها على هذا الأمر..

اتفق الأربعة على الذهاب إلى بيوتهم، على أن يتقابلوا مساء غد في بيت مطاوع، وإن لم يحضر قناوي وأخته ميمونة فهذا يعني عدم تنفيذهم للشرط وخروجهم من هذا الطريق..

خرج الأربعة من البيت في ساعة متأخرة من الليل يلفحهم برد الشتاء القارس..

كانت السماء هذه الليلة شديدة السواد، ملبدة بالغيوم، كاد هزيم الرعد أن يخلع قلوب الأربعة، لعلها تستقيم وتعود إلى الصواب..

# 3

في وقت متأخر من الليل، وعلى هزيم الرعد الذي يدوي في الصدور كانفجارات حرب متتالية، كانت ميمونة تجلس في غرفتها، مُصِرّة على رفضها القاطع تنفيذ ما أتى به كتاب الجحيم هذا، لم تتخيل حين وافقت على المُضي في هذا الطريق أن الثمن سيكون باهظًا لهذه الدرجة..

ويبدو أنها قد عادت لرشدها وتراجعت الآن..

في الغرفة المجاورة يجلس قناوي شارد الذهن، لا يدري ما عليه أن يفعل، يرفض تنفيذ الشرط ويبقى على هذا الحال إلى مماته، أم يفعله وتتغير حياته..

وإن لم يفعل كيف سيبقى بجانب حور عندئذٍ..

كيف سيماثل قوتها، لقد وجد في هذا الطريق ما يرفع قدره في نظرها مما يُسهّل له الاعتراف بحبه..

لقد وجد قناوي نفسه يفكر أنه على استعداد أن يفعل من أجل حور ما قد لا يفعله من أجل الشيطان ذاته..

ولا أحد يدري أيهما أكثر تأثيرًا عليه الآن..

بعد تفكير طويل تيقن قناوي أنه لا سبيل إلى الرجوع عما بدأوا فيه، وعليه أن ينفذ الشرط رغمًا عن ميمونة وعن نفسه

حتى..

كان الليل قد وصل لثلثه الأخير، حين قام قناوي واقفًا متجهًا إلى غرفة ميمونة، بعيون تحملق في الفراغ، وتفكير مشوش، لا يرى غير حور برأسه، تيقن الآن أن ما سيفعله ما هو إلا إثبات قوته لها، وإصراره على البقاء بجانبها، حتى لو كان هذا المكان هو الجحيم ذاته.

جحظت عين ميمونة في فزع، حين رأت أخاها في غرفتها قد نوى على ما في رأسه، لم تُجدِ كلماتها المتوسلة ولا قبضة يدها الضعيفة شيئًا أمام جسده الضخم، لم تهتز نفسه لصرخاتها، ولا لجسدها المرتجف أسفل منه، لم تجدِ محاولات الإفلات من بين يديه نفعًا، كفريسة في فخٍّ من القضبان استحال عليها الخروج..

بعد وقت قليل..

خرجت ميمونة من الغرفة باكية منكسرة، على وجهها علامات الحسرة والخجل، تحاول أن تداري بيدها بقعة ما في ثيابها..

وقبل أن تدخل الحمام، خرج خلفها قناوي وقد ظهرت على ملامحه علامات استعادة وعيه، وبصوت هادئ قال:

*«عليكِ أن تظلي هكذا، بنفس حالتك هذه، وإلا سيذهب ما*

*فعلناه هَدرًا*».

اكتفت ميمونة بالنظرِ إليه بنظراتٍ يملأها الغضب والاستحقار..

ثم دلفت إلى الحمام وأغلقت الباب خلفها بشيء من العنف..

كان قناوي يسمع صوت بكائها من الخارج، وعلى وجهه علامات الحزن والأسف، ولكن أي أسف يستطيع محو ما فعل.. فلا ندم ينفع الآن ولا ألم..

لقد فعلوا ما أُمِرُوا به، لقد تمكن الشيطان منهم أشد تمكن..

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هل الفقر يفعل هذا؟

أم المشكلة في نفوسنا!

من الجاني الإنسان أم الشيطان أم كلاهما؟

لم يكن الفقر أبدًا مبررًا للشرك بالله ولا اتباع الشياطين، فكم من أناس رغم فقرهم أعفة أنقياء مؤمنين بالله..

ضعاف النفوس فقط من يبررون سرقتهم بالفقر، أكل الحرام بالفقر، الزنا بالفقر، حتى الشرك بالله أصبح البعض يبرره بالفقر..

الجميع يفعل ما يحلو له والمبرر جاهز..

أما الشيطان فقد استغل كل هذا على أكمل وجه..

فقد سخر كل قدراته لهؤلاء لكي يكونوا رُسُله ومعاونيه، لم يكتف ببني جنسه، ولا يهتم بهم مثل ما يهتم ببني آدم..

إنسان واحد يتبعه ويشرك بالله خير عنده من عشيرة كاملة من الجن، لا انتصار مثل انتصاره بضلال إنسي، وللأسف قلما يجد صعوبة في ذلك..

قناوي لم يتخيل يومًا أن يفعل ذلك، حتى أنه فعلها وهو مغمض العينين، ليحد من وقع الموقف على نفسه، ظل يردد في رأسه لولا الفقر ما كان حدث ذلك..

هكذا يتجنب بنو آدم تأنيب ضمائرهم، بتصوير أنفسهم كضحايا مجبورين على كل شيء..

في مخيلتهم أن الضحية يفعل أي شيء فقط لأنه ضحية..

حتى لو هذه الكذبة مقنعة له فحسب، فلا بأس بها..

في الجهة الأخرى كانت حور شبه مستسلمة لمطاوع، بل كانت تساعده على التخلص من خجله ليفعلها..

وليس الخجل هذا نابع من أخلاقه، لا، فمن يمتلك جزءًا ضئيلًا من الأخلاق ما كان ليسعى في هذا الطريق من

البداية، إنما هي الفطرة التي تمهله بعض الوقت، لعله يرجع عن هذا ولا يتبع أخته والشيطان، لكن الوقت قد فات على هذا كله، لقد عمت القلوب وأعميت الأبصار عمدًا، لقد قامت حور بإغلاق الإضاءة لكي تمهد له الطريق إليها..

أظن الآن أنه راضٍ عنهما كامل الرضا، بل على الأرجح وجوده معهم في ذات الغرفة، ينظر إليهما وهو يشعر بالسعادة والفخر، ولا أستبعد مشاركته لهم فيما فعلاه..

فقد أصبح يتقاسم معهما كل شيء، حتى الهواء الذي يتنفسونه..

عند بزوغ الفجر كان جميعهم قد استسلم للنوم، لقد كانت هذه الليلة من أطول الليالي التي مرت على أربعتهم، إنها ليلة الخروج والانتقال..

الانتقال من نور الحق إلى وهج الجحيم، يظنون أنهما متشابهان، فكلاهما يضيء، ولكن شتان بينهما..

في المساء كان الاجتماع في منزل حور وأخيها مطاوع، لقد جلس الأربعة في صمت مطبق، فبعد تنفيذ الشرط ما زالت صفحات كتبهم خالية من أي حرف حتى الصفحة التي كانت تحتوي على الشرط الأول محيت؛ مما أصابهم بالحيرة..

تحدث مطاوع قائلًا ليكسر جمود هذه الجلسة:

*«حسنًا وماذا بعد»؟*

نظر ثلاثتهم إلى حور فقالت بعد قليل من التفكير:

*«سنعود إلى بيت الخالة نفيسة، إلى تلك الغرفة، نجلس لترديد التعويذة، محتمل أن يكون هناك شروط أخرى».*

اقتنع الجميع بما قالت، ولم يناقشها أحد، وتجهزوا للرحيل..

في هذا الوقت من المساء يكون عدد الناس في الشوارع قليلًا جدًّا، لكنهم لن يبالوا الآن مثل الأيام الأولى التي كانوا لا يريدون فيها لفت الانتباه أثناء ذهابهم إلى بيت الخالة نفيسة إلا بعد تحقيق مرادهم، أما الآن وبعد ما حدث الليلة الماضية، لن يهتزوا حتى وإن اجتمعت عليهم القرية بأكملها..

فكيف يخجل من الناس من لا يخجل من رَبِّه..

عند وصولهم فتح مطاوع الباب ودخل الجميع إلى الغرفة التي وجدوها على حالتها..

أغلقت حور إضاءة البيت في ذات الوقت التي أشعلت فيه ميمونة الشموع، فيما قام كل من مطاوع وقناوي بإعادة وضع الكتب في أماكنها..

جلس كل واحد منهم في مكانه السابق حول النجمة الخماسية المقلوبة، وأخذوا في ترديد التعويذة مرة أخرى مرارًا وتكرارًا..

بعد قليل لاحظ الجميع لهب الشموع تتراقص وتتمايل إلى أن أتت رياح لا مصدر لها لتطفئها ويسود الظلام!

خيالات، كتل سوداء، أصوات هامسة هنا وهناك، تبتعد وتقترب من آذانهم، على الرغم من ذلك الجميع هادئ لا أحد يشعر بفزع الجلسة الأولى، عدا حور التي تنظر إلى أحد أركان الغرفة ويبدو أنها ترى شيئًا ما داخل الظلام..

توقفت الرياح والهمسات وعاد الهدوء إلى الغرفة مرة أخرى..

قام قناوي متجهًا إلى زر الإضاءة وتشغيلها..

ما زالت عينا حور معلقة على ركن الغرفة..

وقبل أن يسألها أحد عمّا بها تحدثت قائلة:

*«لقد رأيت للتو الخالة نفيسة، تنظر إليَّ مبتسمة تبدو مسرورة بما نفعله».*

في الوقت الذي تقوم فيه حور بسرد ما رأت تحدث مطاوع قائلًا وهو ينظر في كتابه:

*«لقد ظهر الشرط الثاني، ليفتح كل منكم كتابه ليراه».*

بلهفة وضع كل منهم كتابه بين يديه وأخذوا ينظرون إلى الشرط الثاني بعين تملؤها الدهشة وملامح يكسوها الخوف..

تُرى ماذا وجدوا فيه....؟

# 4

كانوا جميعًا في حالة من الصمت المطبق، ما تزال آثار الدهشة والخوف واضحةً على وجُوهِهِم، ينظرون إلى الكلمات طويلًا، ويعيدون قراءتها مرارًا، لعلهم يجدون ثغرة ما بين الكلمات تنقذهم مما قرءوا!!

قد يكون هذا الشرط أشد عليهم من الشرط الأول، رغم عِظم ما أتوا به، ولكنّ هذا ما أمر به الشيطان، وما عليهم سوى تنفيذ أوامره أيما كان بها من صعوبة..

الشرط الثاني كان بطول صفحة كاملة، مكتوب بخطٍ عريض كأنه كُتب بحافرِ حيوان.. وجاء فيه:-

أن عليهم الذهاب إلى المقابر، على جسد كلٍّ منهم رداء أسود لا شيء فوقه ولا تحته، يدخل كل منهم مقبرة بمفرده، بعد أن يلطخ وجهه بدماء خنزير أسود وُلِدَ حديثًا، والنوم فيها لمدة أربع وعشرين ساعة متواصلة بدون طعام ولا شراب، تبدأ بعد منتصف الليل بساعة، وتنتهي في ذات الوقت من اليوم التالي..

الآن ندرك مدى صدمتهم من هذا الشرط، إنه لشيء يثير في النفوس الرعب والفزع..

تخيل أنك من عليه تنفيذ هذا الشرط، تخيل أنك ستفعل

كل هذا من وضع الدماء على وجهك للنوم في مقبرة بمفردك بدون ماء ولا طعام، تخيل البرد والظلام، تخيل كل دقيقة ستشعر بها وأنت في هذا الموقف..

هل ستستطيع أن تُغمض عينيك وتنام، أم ستبقى مُستيقظًا إلى أن تنتهي المدة، ماذا عن شعورك بالجوع والعطش..

تخيلت كل هذا، إذن فأنت تشعر بالخوف الذي يشعرون به الآن في أعماقهم...

والسؤال الأكثر فزعًا هنا..

أن ماذا لو قُبضت أرواحهم وهم على تلك الحالة، أيثقون في الشيطان إلى هذا الحد، أم أن أعينهم لم تعُدْ ترى حقيقة ما هم مُقبلين عليه..

قام الجميع من هذه الجلسة وليس أمامهم إلا أن يقوموا بتنفيذ هذا الشرط، لكنهم أدركوا أيضًا أنهم بحاجة إلى مساعدة خارجية..

أخبرهم قناوي أنه يعلم أحد الأشخاص الذي من الممكن أن يدلهم على من لديه القدرة على مساعدتهم، وأنه سيذهب إليه مساء الغد..

عاد أربعتهم إلى منازلهم، وما إن ناموا حتى ضجت الليلة عليهم بالكوابيس حول ذلك الشرط الصعب..

منهم من رأى أن الأموات تطارده، ومنهم من رأى ملك الموت أتى ليقبض روحه على تلك الحالة، وآخر رأى أنه بقي منسيًا في ذلك القبر لفترة طويلة حتى بدأ يقتات على جثث مَن حوله من شدة الجوع، ومنهم من بقي منتظرًا حضور الشيطان لإنقاذه، وظل يناجيه لعله يستجيب..

في مساء اليوم التالي كانت ميمونة في بيت مطاوع وحور، ثلاثتهم في انتظار قناوي ليخبرهم عَمَّا وصل له..

قضى الثلاثة وقت انتظارهم في الحديث عن الكوابيس التي رأوها جميعًا ليلة أمس..

وبعد وقت ليس بالطويل سمعوا طرقات قناوي المميزة على الباب..

فتح له مطاوع فدخل وعلى وجهه ما يُوحي أنه وجد ضالته..

سألته حور قائلة:

*«أخبرنا ماذا فعلت»؟*

أجابها قناوي بحماس قائلًا:

*«دلني صديقي على أحد الأشخاص في البلدة المجاورة لديه القدرة على مساعدتنا بكل شيء».*

الجميع صامت، ينظر له باهتمام ليكمل حديثه قائلًا:

*«رجل اسمه شافع، في مثل عمرنا، يعمل ذات العمل الذي نطمح إليه، يسخر الجن منذ سنوات حتى ذاع صيته في بلدته والقرى المجاورة، أصبح الجميع يدعونه بالشيخ رغم صغر سنه».*

صمت قناوي قليلًا وهو يتنقل بنظراته بين الثلاثة ثم قال:

*«يقال أيضًا أنه رجل عنيد، صعب، يملك عينًا قوية وقلبًا صَلبًا، وهذا ما يجعلني غير متيقن من قبوله مساعدتنا».*

على الرغم من حديث قناوي الأخير عن الرجل، لم يجدوا أمامهم سوى الذهاب إليه في الصباح لطلب مساعدته، ليقوموا بتنفيذ الشرط الثاني في أسرع وقت..

لكي لا تراودهم تلك الكوابيس كثيرًا..

في اليوم التالي كانوا في طريقهم للبلدة المجاورة، بمشاعر مختلطة بين الرهبة والخوف، فهذا هو الشعور حين تذهب بأقدامك إلى المجهول..

فور وصولهم البلدة سأل قناوي أول شخص قابله عن

عنوان بيت الشيخ الشاب..

ولقد دله الرجل عليه بعدما نظر إليه بريبة لثوانٍ..

اتجهوا إلى العنوان الذي كان في طرف بعيد عن مركز القرية، تحاوطه الأراضي الزراعية من جهة، ومن الجهة الأخرى ترعة مياه تخرج منها رائحة عفنة..

بيت قديم يرتفع لثلاثة طوابق، مساحته كبيرة، حوله سور خرساني حديث البناء..

لفت أنظارهم وجود امرأة منتفخة البطن، تبدو في الشهور الأخيرة من حملها، تجلس باكية على قطعة حجر بجانب سور البيت..

عبر أربعتهم بوابة السور إلى الداخل، وقفوا أمام بابٍ خشبي عتيق تتوسطه قطعة حديدية على شكل قبضة اليد، أمسكها مطاوع وطرق بها ثلاثًا..

فُتح الباب ببطء ليروا خلفه شيخ كبير قد تجاوز من العمر عتيًا، أشار لهم بالدخول بدون أن يوجِّه لهم أي سؤال..

تقدمت خطواتهم في ترقب إلى الداخل..

إضاءة خافتة، دهان حوائط قاتمة، أدخنة البخور تتصاعد من كل ركن، تتجمع تحت الأسقف العالية..

أدخلهم الشيخ الكبير إلى غرفة جانبية واسعة يتوسطها موقد نُحاسي كبير تفوح منه رائحة بخور ذكية..

جلس أربعتهم بعد أن تركهم الشيخ الكبير، أخذوا ينظرون لبعضهم البعض في ترقب وحذر..

بعد وقتٍ قصير دخل عليهم شاب قوي البنية طويل القامة وسيم، يلبس عباءة بنية اللون، في يده اليمنى خاتم به حجر كريم بارز..

قام بإلقاء التحية وجلس في مكان مخصص له في منتصف الغرفة..

تحدث قناوي قائلًا:

*«لقد سمعنا عنك كل خير يا شيخ، جئناك طالبين للمساعدة، ونطمح ألا تردنا خائبين».*

أكمل مطاوع حديث قناوي قائلًا:

*«نحن من القرية المجاورة، منذ زمن كان هذا عمل خالتنا الشيخة نفيسة، لا أعلم إن ذُكر اسمها أمامك من قبل، لكننا نريد أن نسير في الطريق ذاته، ولقد بدأنا في تنفيذ الشروط التي طلبها الأسياد، ونريد مساعدتك لتنفيذ الشرط الثاني».*

أخذ كل من مطاوع وقناوي يتبادلان الحديث عن الشرط

الثاني، وكيفية مساعدتهم من شافع..

شافع كان يسمع ما يقولون، لكن عيناه في مكان آخر من الغرفة، مُعلقةً على حور التي فتنته بجمالها وحدة نظراتها..

كذلك كانت حور، عيناها تقول إنها أعجبت بقوة شافع ووسامته، وما يبدو عليه من هيبة وبهاء..

كان هناك شخص آخر في الغرفة يتابع تلك النظرات في صمت وغضب، شخص يبدو أنه بدأ في كره شافع قبل أن يعرفه، يمنعه فقط ما جاءوا لأجله واحتياجهم إليه، نعم هو ذلك الشخص الذي تردد اسمه داخل رأسك للتو، قناوي...

انتهى مطاوع من الحديث، وانتظر الجميع رد شافع..

الذي نظر لهم قليلًا وقال:

*«سأقدم لكم المساعدة التي تريدونها وبدون مقابل».*

قال آخر كلمتين وهو ينظر إلى حور، التي زادت على ملامحها علامات الإعجاب والرضا..

بينما كست علامات التعجب والاستغراب وجوه كل من مطاوع وقناوي وميمونة..

تحدث مطاوع قائلًا:

*«لا نعرف كيف نشكرك على هذا»؟*

نظر شافع لحور مرة أخرى وقال بعينين لامعتين..

*«لقد فعلتم ذلك حين جئتموني طلبًا لمساعدتي».*

ثم تابع قائلًا:

*«أنتم ضيوفي من الآن حتى حلول الليل، ستنالون قسطًا من الراحة بعد الغداء، وفي المساء سنذهب إلى المقابر المجاورة، ومعنا ما يلزم لتنفيذ هذا الشرط».*

صمت شافع قليلًا ثم تابع قائلًا:

سيكون هناك عدد من رجالي في انتظاركم بعد انتهاء المدة ليعودوا بكم إلى هنا..

لم يمر وقت طويل حتى وضع أمامهم مأدبة غداء كبيرة، أكلوا جميعًا منها حتى اكتفوا..

بعدها صعد بهم شافع إلى الدور الثاني ودل كلًّا منهم على غرفته، لينالوا قسطًا من الراحة قبل تنفيذ ذلك الشرط الصعب..

هبط شافع إلى الأسفل ليأمر بعضًا من تابعيه بتجهيز ما سوف يحتاجونه بالمساء لمساعدة ضيوفه..

من تجهيز الخنزير الأسود حديث الولادة، والرداء الذي سيرتدونه..

لم يعلم شافع لِم وافق على مساعدتهم بهذه السرعة بدون تفكير، ولا يعلم سر انجذابه السريع لحور..

# 5

في منتصف الليل كان الجميع في الغرفة الكبيرة بالطابق الأسفل يتجهزون للذهاب إلى المقابر..

الجميع خائفون، ترتعد مفاصلهم، خاصةً ميمونة التي تبكي، تشعر أنها إذا دخلت القبر لن تخرج منه حية بعد ذلك، وأن هذا سيكون عقابها على ما تفعل..

مطاوع يبدو هادئًا، لكن عيناه تقول عكس ذلك..

حور يراودها بعض الشك، فيما أقحمت نفسها وأخاها فيه منذ البداية، لكن في الوقت ذاته تعتقد أن لا مجال للرجوع الآن..

قناوي يشعر ببعض الرهبة المختلطة بالحماس، لخوض هذه التجربة، يتخيل القوة التي سيكتسبها في المستقبل القريب، والتي ستمنحه الهيبة التي يراها في شافع..

الساعة الثانية عشر والنصف بعد منتصف الليل..

ارتدوا جميعًا العباءات السوداء التي جهزها لهم شافع، تحركوا خارج البيت، استقبلتهم رياح خفيفة باردة ورائحة قناة المياه الكريهة، بجانب أصوات الحشرات في الحقول..

نظرت حور إلى السماء الشبه صافية على غير عادتها في

الأيام السابقة، لم تر فيها إلا بعض الغيوم التي تداعب القمر الذي أوشك على الاكتمال..

صعدوا جميعًا في سيارة شافع، الذي انطلق بهم إلى المقابر القريبة عند أطراف القرية..

بعد عشرين دقيقة توقفت السيارة..

تحدث شافع قائلًا:

*«لن نستطيع الدخول بالسيارة أكثر من ذلك، سنكمل باقي المسافة سيرًا، فمعظم المقابر هنا صغيرة، تكاد لا ترى بالعين، وعدد قليل من الناس الذين يمتلكون مقابر على شكل غرف».*

تقدمهم ليضيء الطريق بمصباح في يده، بعد أن طلب منهم السير خلفه صفًّا واحدًا بهذا الترتيب: مطاوع، حور، ميمونة، قناوي..

المكان بارد ومظلم، هدوء يثير الخوف بداخلهم، يسيرون بصعوبة، تغرز أقدامهم في الرمال الناعمة بين المقابر التي تحاوطهم من كل اتجاه، ترتعد أجسادهم تحت هذا الرداء الأسود الرقيق..

بعد دقائق قليلة وصلوا إلى البنايات المجاورة، وجدوا

أمامهم رجلين أحدهما يحمل مصباحًا، والآخر يحمل وعاء..

نظر شافع إلى حور ومَن معها قائلًا:

«*لا داعي للخوف، إنهم رجالي*».

اقترب منهم شافع قائلًا:

«*ما الأخبار*»؟

أجابوه بلسان واحد:

«*كل شيء جاهز كما أمرت*».

مد أحدهم يده بالوعاء الذي يحمله، فالتقطه شافع ومرره إلى مطاوع قائلًا:

«*دم خنزير أسود ولد منذ يومين*».

فتح مطاوع غطاء الوعاء وأخذ يسكب منه في يدِ كل من حور وميمونة وقناوي ليلطخوا وجوههم قبل النزول إلى المقابر، في لحظات تهتز فيها القلوب وترتجف منها الأجساد..

بعد انتهائهم تحدث شافع ببعض النصائح قائلًا:

«*بعد أربع وعشرين ساعة سأعود إلى هنا لكي أخرجكم، فلن تستطيعوا تحديد الوقت بالأسفل، عليكم الحفاظ على هدوئِكم، لا يحاول أحدكم الخروج قبل انتهاء الوقت، أعني*

*قبل أن أفتح لكم الأبواب بنفسي».*

صمت قليلًا وهو ينظر للرجفة القوية التي انتابت جسد ميمونة ثم تابع قائلًا:

*«إن محاولة النوم هي أفضل ما يمكنكم فعله، حين تُغلق عليكم الأبواب، سيجنبكم هذا التخيلات والهذيان، واعلموا أنه لا يطلب مثل هذه الطقوس غير ملوك الجان الأقوياء في السحر الأسود، وهؤلاء أشد الشياطين شرًّا وأذى»*

ختم شافع حديثه بالنظر لحور قائلًا:

*«أراكم بخير قريبًا».*

التقط مطاوع مصباحًا من أحد رجال شافع ودخل مع حور إلى مقبرتها، هبط بها السلالم الضيقة، محاولًا أن يُظهر لها بعض التماسك الذي يراه على وجهها بالفعل قائلًا:

*«أشعر أنه لم يتبق سوى هذا الشرط يا حور، سنمتلك من بعده قوة كبيرة، نستطيع بها تغيير حياتنا إلى الأفضل».*

صعد مطاوع درجات السلم وعيناه معلقة على حور الهادئة بشكل مريب، كأنها تجلس في غرفتها، غير عابئة بوجود هذا الكم من الجثث والعظام حولها، عندما خرج رأى رجال شافع يسدون فتحة المقبرة بألواح مستطيلة من الخشب، ثم

يضعون فوقها أربع قطع خرسانية ثقيلة ليُحكم الإغلاق..

في ذات الوقت كان قناوي يفعل نفس الشيء مع ميمونة التي تسير بجسدٍ متخشبٍ إلى المقبرة، تهبط السلالم قابضةً بكلتا يديها على ذراعه، تتمتم بكلمات غير مسموعة، وباءت كل محاولات تهدئتها بالفشل..

أجلسها قناوي على آخر درجات السلم من الأسفل، وصعد وهو يسمع صوت نحيبها وقد بدأت في البكاء..

خرج قناوي وفعل رجال شافع ما فعلوه في مقبرة حور..

ثم دخل كل من مطاوع وقناوي إلى قبريهما، وتولَّى رجال شافع الإغلاق عليهما..

أراد شافع من القلق أن يُسَخِّر أحد خادميه من الجن على المكوث بجوار مقبرة حور وحمايتها، لكن قوة ما منعت حدوث ذلك، حتى كاد خادمه يحترق، مما أثار بداخله الخوف والذهول، لم يجرؤ على المحاولة مرة أخرى؛ لأنه علم أن هذا الأمر أكبر من قوته..

الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، عاد شافع إلى سيارته ومعه رجاله لمغادرة المكان، على أن يعودوا إليهم بعد انتهاء مدة الشرط..

أمام المقابر الأربع عاد الظلام والسكون مرة أخرى..

بعد مرور بضعة ساعات...

في المقبرة الأولى كانت حور مستلقية على جنبها الأيسر، أرجلها مضمومة إلى نصفها العلوي، تحشر يداها بينهما، مغمضة العينين تأمل أن تنام، تحاول جاهدةً استحضار صور فراشها ونظرات شافع لها، ليساعدها ذلك على النوم بشكل أسرع..

لم يمر وقت طويل إلا وحور نائمة ترى حياتها برفقة شافع مليئة بالحب والقوة، يقطنون في بيت فخم فيه عدد كبير من الخدم من أجناس الجن والإنس، يفعلون ما يحلو لهم في أي وقت بدون حساب، يلهون بقوة السحر ويتحكمون بها في سعادة أشخاص وتعاسة آخرين.

كانت حور تعلم في قرارة نفسها أنها تَحلُم، ولكنها كانت تجاري هذا الحلم تاركةً له نفسها، يأخذها حيث يشاء، لكن في وسط هذا الدفء التي كانت تشعر به داخل الحلم، أحست بالبرد يقترب ويتملك من جسدها شيئًا فشيئًا، أزعجها هذا إزعاجًا شديدًا، حتى عاد عقلها يذكّرها أنها هنا، داخل مقبرة مظلمة بمفردها ليس معها سوى أجساد وهياكل بعض الموتى، التي من الممكن أن يكون أحد منهم قد مات ميتة غير طبيعية، وبقيت روحه غاضبة في هذا المكان..

زاد البرد على جسد حور حتى شعرت أنها تنتفض..

انكمشت أكثر على نفسِها لتتقي شر هذا البرد القارس..

سحبت يدها من بين أرجلها، لتقربها من أنفاسها لعل ذلك يشعرها ببعض الدفء..

المكان هادئ تمامًا إلا من صوت أنفاس حور اللاهثة، التي توقفت على الفور، حين شعرت أن هناك شيئًا آخر همس في أذنها أنها ليست بمفردها..

توقفت عن النفخ في يديها وكتمت أنفاسها لتسمع بوضوح، لتتيقن بعد لحظات من وجود شيء معها..

شيء ما يقترب منها، تشعر بوجوده مع مرور الوقت أكثر فأكثر، ما تزال مغمضة العينين، خائفة مما سوف ترى إذا فتحتهما..

أصبح الصوت أكثر وضوحًا، هذا صوت شخص يأكل شيئًا ما!

صوت المضغ واضح ومدوي، رجل يشد ويجذب فيما يأكله، كجائع يقبض بيديه على قطعة لحم كبيرة..

ترددت في فتح عينيها لكنها فتحتهما، لترى أن المقبرة مضاءة كليًا، وأن صوت المضغ ما زال يدوي خلفها..

أدارت ظهرها ببطء وحذر، وما إن وقعت عيناها على مصدر الصوت حتى انتفض كل جسدها وملأها الذعر والفزع..

لقد وجدت أخاها مطاوعًا يجلس في وضع القرفصاء بمكان قريب منها، متكئًا بظهره على الحائط، يمسك بين يديه قلب إنسان ما زال ينبض والدمُ يتساقط منه، يغرز أسنانه فيه ويجز منه ويأكل، اندهشت حور مما ترى، ولم تعلم كيف أتى أخوها إلى مقبرتها المغلقة، وقلب مَن هذا الذي بين يديه..

لكنها علمت حين نظرت إلى جسدها لترى صدرها مفتوحًا، فيه بقعة كبيرة مجوفة وقلبها ليس بداخلها..

صرخت حور صرخة قوية هزَّت المقابر بأكملها، لتفتح عينيها وتكتشف أنها ما زالت داخل المقبرة المظلمة، وأنها كانت تحلم، حتى أنها أخذت تتحسس بيدها على جسدها لتتأكد أن قلبها ما يزال بداخلها، قلبها الذي ينبض بقوة ويُرجف من الخوف والفزع لما رأت...

في المقبرة الثانية صعدت ميمونة إلى آخر درجة في السُلم ملتصقة باللوح الخشبي، ما زالت تتمتم بصوت نحيبها المكتوم من الخوف، عيناها مثبتة للأسفل تحاول

أن تستكشف المقبرة رغم ظُلمتها، تشعر أنها ليست بمفردها، وأن جميع الأموات الموجودين معها قد قاموا من رقدتهم وينظرون إليها..

وما كان شك أصبح يقينًا لديها حين رأت أزواجًا كثيرة من الأعين تلمع أمامها، تقترب منها، أخذت تصرخ وتدفع الألواح الخشبية بيديها وتخدشها بأظافرها في محاولة منها للخروج، ولكن دون جدوى، زاد صُرَاخُها عندما شعرت بأيادٍ عديدة تمسك قدميها وتجذبها، حتى فقدت الوعي..

في المقبرة الثالثة كان مطاوع مستلقيًا على ظهره هادئًا، يفكِّر ويُمنِّي نفسه بما سيصبح عليه بعد اجتياز هذا الشرط..

ليغفو أثناء تخيله لحياته تلك، رأى أنه تزوج من امرأة جميلة، ورُزق منها باثنين من الذكور، تعمق في حلمه أكثر حتى شعر بزوجته وأطفاله الاثنين بين يديه هنا معه في المقبرة، أزعجه ابتعاد أحد أبنائه إلى الخارج بطريقة لا يعلمها.

وبينما كان ينظر لذلك الطفل إذ به يشعر بحرارة شديدة، لا يعلم لها مصدرًا، حتى سمع صوت تصاعد ألسنة اللهب قادمة من الداخل، تقترب منه وعائلته بسرعة شديدة، لم يملك الوقت الكافي للتحرك لفعل شيء، باغتتهم النيران من كل جانب، لا يجد منها مهربًا ولا مفر، في وسط هذا كله

لمح مطاوع وقوف أحد الأشخاص خلف الحريق ينظر إليه، فاستغاث به أن ينقذه وعائلته من النار قبل أن تحرقهم، لكنه لم يفعل ولم يحرك ساكنًا، تعجب مطاوع وصاح فيه غاضبًا، وقبل أن تتمكن النار منه وعائلته ظهر وجه الشخص الذي يقف داخل المقبرة، وكانت الصدمة حين رأى مطاوع أن من يقف هناك.

ليست سوى حور أخته في يدها عصا مشتعلة...

في المقبرة الرابعة كان قناوي جالسًا متكئًا بظهره إلى الحائط، لا يفكر في أي شيء سوى حور، التي يستحضر صورتها في مخيلته، يُؤنِس بها نفسه لكيلا يشعر بطول الوقت...

وقد تذكر نصيحة شافع له بالنوم، فمد جسده في موضعه، نام وهو يفكر بحور، حتى غط في نوم عميق، رأى أنه قد تزوج ويعيش في سعادة بالغة، وقد رزق بابنة جميلة، لكنه بدى منزعجًا حين وجد أن زوجته امرأة أخرى غير حور..

لم يكن قناوي سعيدًا بذلك، قد بدى على وجه العبوس داخل الحلم، أخذ يبحث عن حور حتى قابلها في نهاية المطاف، وجدها تقترب منه، فتأهب لها عندما اقتربت أكثر، فعانقته وعانقها بشدة، عناقًا حارًا، حارًا لحد الاحتراق..

وجد قناوي أن جسده يزداد حرارة، وأن من يعانقها تتحول لكتلة من النار، حاول أن يفلت منها، ولكن وجد وكأنهما مقيدان لم يستطيعا الابتعاد عن بعضهما، إلى أن استسلم، ولأنها حور حبيبته ضمها عليه أكثر لكي يحترق معها، ولكنه شعر بصدمة حين رأى حور واقفة في الخلف تنظر إليهما، وعلى ملامحها ابتسامة مخيفة، فنظر لوجه مَن يعانقها فوجد أنها زوجته التي رآها في بداية الحلم......

# 6

بعد مرور عشرين ساعة على تركهم في المقابر، كان شافع يجلس في الغرفة الكبيرة في بيته أمام بعض من رجاله، يأمرهم بتجهيز الغرف العلوية وتنظيفها لاستقبال ضيوفه، ويأمر آخرين بتجهيز مأدبة عشاء كبيرة تكون جاهزة عند منتصف الليل..

ثم قام بالاتصال بأحد الأطباء ليدعوه إلى بيته للمبيت هذه الليلة تحسبًا لوجود أي شيء طارئ، خاصةً للاطمئنان على حور..

أمسى شافع أكثر توترًا مع مرور الوقت في بطء ممل..

على الجهة الأخرى وبعد مرور الأربع ساعات المتبقية، المكان ما زال هادئًا في المقابر..

ومن بداخلها ما زالوا لا يشعرون بالوقت، حتى سمعوا صوت القطع الخرسانية تتحرك، ومن بعدها الألواح الخشبية تتفتت، أسرعوا جميعًا إلى الخارج ظنًّا منهم أن شافعًا من فتح لهم الأبواب كما وعدهم، لكن فوجئوا بضباب يغطي المقابر على مد أبصارهم، الجميع واقف خاوي القوى، إلى أن ظهر أمامهم كائن ضخم البنية، جسده ممتلئ بالشقوق المشتعلة، كأنها أنهار من البراكين، ذو وجه أسود دميم،

يقبض بيدِهِ على سلسلة من نار، تتساقط منها الحمم، صرخ فيهم صرخة مدوية كادت أن توقظ باقي الأموات، ما إن سمعوها حتى خروا على أرجلهم وأيديهم فوق رؤوسهم التي لامست التراب من شدة الرهبة..

صرخ ثلاث صرخات ثم تحدث بصوت غليظ مفزع قائلًا:

«أنا ناصور بن إبليس، من الآن أنتم تابعون لي، وبنو جنسي وعشيرتي تابعون لكم، فإذا اشتد عليكم أمر استدعوني واذكروا علو شأني عليكم، أحضر أمامكم وأُلبِّي لكم ما تشاءون..

الكتاب سيعلمكم كل شيء، وسيكتب عنكم كل شيء، سيكون لكم وأنتم له، فلا تفقدوه لكي لا تفقدوا أنفسكم..

الكلمات تذهب وتعود بدمائكم ودماء من يحملها..

ظل ثلاثتهم يسمعون حديثه بدون مقاطعة، بقوا في جلستهم لم يحركوا ساكنًا خانِعين حتى بعدما غادر الكائن وانقشع الضباب من خلفه..

جاء شافع ورجاله ليجدهم على هذه الحالة...

ساعدهم على الوقوف، كانت وجوههم شاحبة كالأموات..

قدم لهم رجال شافع الماء ونصحوهم ألا يسرفوا في

الشرب..

اقترب شافع من حور باهتمام وسألها قائلًا:

*«أنتِ بخير»؟*

اكتفت بإيماءة رأسها لكي تجيب عليه..

فهي ما تزال تحت تأثير ما رأت قبل قليل، وقد وجدت أن الضباب قد انقشع مع قدوم شافع.. الذي سأل الجميع مستغربًا قائلًا:

من فتح لكم المقابر؟

نظر كل منهم إلى الآخر ولم ينطقوا بكلمة، لقد كانت الصدمة ما زالت تعتلي وجوههم..

عاد شافع سائلًا وهو ينظر في اتجاه مطاوع وقناوي..

*«أين ميمونة ألم تخرج معكم»؟*

فزع ثلاثتهم، هرول قناوي وجميعهم خلفه إلى مقبرتها التي كانت ما تزال مغلقة كما تركوها..

دخلوا إليها، أزاحوا القطع الخراسانية والألواح الخشبية، موجهين مصابيحهم إلى فتحة المقبرة، ليروا جسد ميمونة الممدد على السلم، فاقدة الوعي، يدها في حالة بالية من

التورم، وأظافر دامية بين مكسورة ومنزوعة بالكامل..

صُدم الجميع من المنظر..

حملها رجال شافع سريعًا، لعدم قدرة أخيها على ذلك، وتوجهوا إلى السيارة..

أثناء سيرهم بين القبور، كان مطاوع وقناوي وحور ينظرون حولهم بدهشة، بعيون جاحظة على المقابر..

كأنهم يرون أشياء لا يراها سواهم! بقوا على هذه الحالة حتى وصلوا إلى السيارة..

كان الثلاثة ينظرون من النوافذ بعد تحرك السيارة، ما زالت أعينهم معلقة على المقابر بالخارج..

تُرى؛ أهو نفس الجني يرونه مرة ثانية، أم أنهم يرون شيئًا أخر؟

عند وصولهم البيت استقبلهم الطبيب..

الذي قال بعد الفحص السريع على ميمونة أنها تعرضت لصدمة قوية تسببت في انهيار جهازها العصبي، ولن تستعيد وعيها سريعًا..

أمر الطبيب بتجهيز غرفة خاصة لها في بيت شافع، وأرسل في شراء الأدوية التي ستحتاجها، قال: إن ذلك سيساعدها

على استعادة وعيها بأسرع وقت..

أما الباقي فقد دعاهم شافع لتناول بعض الطعام، ليقينه أنهم يتضورون جوعًا الآن..

لكنهم طلبوا الاستحمام أولًا، فما زالت وجوههم عليها آثار دماء الخنزير وغبار المقابر..

بعد الاستحمام وارتداء ملابسهم التي جهزها لهم رجال شافع، نزلوا إلى الغرفة الكبيرة ليأكلوا شيئًا قبل أن يستسلموا للنوم..

أثناء الطعام كان قناوي ينظر في أحد أركان الغرفة شاردًا بفكره، بملامح غير مفهومة، لاحظ شافع هذا فقال ظنًّا منه أنه يفكر في حالة أخته ميمونة:

*«ستكون بخير قريبًا لا تقلق، لقد خاضت تجربة صعبة عليها لا أكثر»*.

عاد قناوي من شروده وأجابه قائلًا:

إن شاء......

لكنه لم يكمل الجملة، فلم يعد باستطاعته أن ينطق بذلك بعد الآن..

استدرك قائلًا:

*«لا أحد يعلم ما مرت به، بالتأكيد لم تحتمل المكوث في قبر مظلم كل ذلك الوقت بمفردها».*

صمت قناوي قليلًا ثم تحدَّث إلى شافع وهو ينظر لنفس الركن من الغرفة قائلًا:

منذ أن خرجنا من المقابر وأنا أرى كائنات غريبة، حسبت ذلك من صدمة ما مررت به ولم أبالِ، لكن الآن ومنذ أن دخلنا هذه الغرفة أرى كذلك أحد هذه الكائنات، لكنه أكثر بشاعة يجلس هناك، وينظر إلينا بعينين لا ترمشان، هل أنا الوحيد الذي يراه»؟

نظر كل من شافع ومطاوع وحور إلى الركن الذي أشار عليه.. ثم تحدث مطاوع قائلًا:

*«وأنا أراه كذلك، كما رأيت تلك الكائنات التي تشبهه في المقابر».*

قالت حور بدورها :

*«وأنا مثلكما قد رأيت ما رأيتما، حتى ذلك الذي يجلس على قرفصائه ويراقبنا من ركن الغرفة».*

كانت علامات الدهشة والاستغراب ظاهرة بوضوحٍ على وجه شافع الذي خرج من صمته وقال:

*«كيف لديكم القدرة على ذلك»؟*

ثم وجه حديثه للجميع وهو يُشير إلى الركن الذي يتحدثون عنه قائلًا:

*«هذا قُزح خادمي من الجن، ينبغي ألا يراه أحدًا غيري، لذلك لا أعلم كيف رأيتموه، وكيف ترون هذا العدد الكبير من الجن»؟*

صمت شافع قليلًا ثم أكمل قائلًا:

*«لقد تأكد لي ما قلت سابقًا، أنتم لم تسخروا مجرد جني قوي، لا إنما كل الشواهد تقول إنكم سخرتم ملكًا من ملوك الجان الأقوياء، الذي وهب لكم قدرة رؤية العالمين في آنٍ واحد».*

ثم تابع شاردًا:

*«عالم الإنس وعالم الجان، كنت قرأت يومًا عن هذه التعويذة، لم أكن أعرف أنها موجودة لليوم».*

كان الثلاثة يستمعون لحديث شافع باهتمام، وكأنهم قد هابوا من هول ما وضعوا أنفسهم فيه..

كان الفجر قد أوشك على الاقتراب حين قالت حور:

*«علينا العودة إلى بيت الخالة نفيسة الآن».*

قال شافع:

*«في هذا الوقت؟ يوجد في البيت الكثير من الغرف، غادروا في الصباح بعدما تنالون قسطًا من الراحة».*

تبادلت النظر مع مطاوع وقناوي ثم قالت:

*«سنذهب الآن، وسنعود مساء غد من أجل ميمونة».*

أصر شافع على توصيلهم بنفسه إلى بيت خالتهم، ونعلم جميعًا سبب فعله هذا، فقد استمع إلى قلبه، ومن يحركه قلبه لا أحد يقدر على إيقافه..

في ساعة مبكرة لم تتأهب فيها الشمس للإشراق بعد، كان ثلاثتهم يترجّلون من سيارة شافع أمام البيت، الذي كان يُلمِح برغبته بالبقاء معهم حتى يعود بهم في المساء، لكن أخبرته حور بضرورة البقاء بجانب ميمونة لحين عودتهم، وطلبت منه الذهاب، وهذا ما لم يستطع رفضه، فذهب..

دخلوا إلى البيت واتجهوا إلى غرفة الكتب، التقط كل منهم كتابه، وشعروا بشيء من اليأس عندما وجدوه ما زال فارغًا من أية كلمات، تنهد قناوي ونظر إلى مطاوع قائلًا:

*«ألم يحن الوقت بعد، لقد نفَّذنا كل الشروط، متى ستعلن هذه الصفحات عن أسرارها»؟*

وقبل أن يثور الاثنان غضبًا قالت حور:

«*ليجلب لي أحدكما سكينًا*»!

وضع قناوي الكتاب جانبًا، وذهب للبحث عن سكين بدون أي نقاش..

تحدث مطاوع قائلًا:

«*لماذا تُريدِينها*»؟

قالت حور:

«*سترى الآن*».

عاد قناوي ومعه سكين صغير وأعطاه لحور..

الذي ما إن أخذت السكين حتى شقت به يدها محدثةً جرحًا صغيرًا، لكنه أخرج كثيرًا من الدم، وسط اندهاش مطاوع الذي صرخ قائلًا:

«*ما هذا الذي تفعلينه*»؟

أسرع بإحضار قطعة قماش لتربط يدها بها..

تركت حور الدم يتساقط على غلاف الكتاب الجلدي، ومطاوع وقناوي يتابعانِ ما تفعله في صمت..

ربطت يدها بقطعة القماش، ثم فتحت الكتاب وسط ترقب

الجميع..

لم تمر ثوان حتى وجدوا الحروف والكلمات تُرسم وتملأ صفحات الكتاب..

رموز وأرقام وطلاسم تظهر أمام أعينهم..

سألها قناوي:

«*كيف عرفتِ هذه الطريقة*»؟

أعادت عليهم حور كلمات الكائن الذي ظهر أمامهم بعد خروجهم من المقابر حين قال:

«*الكتاب سيعلمكم كل شيء وسيكتب عنكم كل شيء*».

«*الكلمات تذهب وتعود بدمائكم ودماء من يحملها*».

اندهش قناوي ومطاوع من كلمات حور، وكأنهم يسمعونها للمرة الأولى..

التقط قناوي السكين وجرح نفسه وفعل ما فعلت حور، وكذلك مطاوع من بعده، أخذ الثلاثة يقرأون في الكتب ويتعلمون أساليب السحر وكيفية إبطاله، ويحفظون لغة الحروف والأرقام وأسرارهما، وما عليهم فعله لكي يخاف منهم الجن ويطيعونهم..

أسرار وخفايا وأحداث مسجلة من الأزمنة الغابرة يقصها ملك من ملوك الجان..

من العجيب أن يجد الثلاثة الطاقة التي تجعلهم قادرين على البحث والقراءة ومحاولة فهم طلاسم الكتاب، بعد ما مروا به على مدار يوم كامل في المقابر، لكنهم كانوا يقاومون النوم لشعورهم في قرارة أنفسهم بالخوف، أن يباغتهم الله بعقابه وتقبض أرواحهم، وفي الوقت ذاته يريدون التعلم في أسرع وقت ظنًّا منهم أن ما سيتعلمونه سيحميهم بشكل أو بآخر ، أو هكذا خيَّل لهم الشيطان....

ظل الثلاثة يقرأون في نهمٍ لعدة ساعات، حتى غلبهم النُعاس في النهاية وناموا في أماكنهم.....

# 7

استيقظ الثلاثة قبل غروب الشمس، يعانون آلامًا متفرقة في أجسادهم من النوم أرضًا..

قال مطاوع:

*«علينا العودة إلى منازلنا لتغيير تلك الملابس، لقد بدأ ينبعث منها روائح كريهة».*

أيده قناوي فيما قال وزاد قائلًا:

*«علينا أن نتحرك سريعًا لنعود لمنزل شافع لإحضار ميمونة، أريد أن أعود بها لمنزلنا الليلة».*

نظرت حور للاثنينِ وقالت بدورها:

*«سنذهب لنحضر الملابس، وبعدها سنحضر ميمونة، لكننا سنعود إلى هنا، سيكون مكان إقامتنا هنا، ينبغي أن يرانا أهل القرية جميعًا في هذا البيت».*

قال مطاوع وقناوي في وقت واحد:

*«لماذا»؟*

أجابتهم حور قائلة:

*«المنزل هنا منعزل عن باقي القرية، ووجودنا فيه على*

*الرغم من المعروف عنه، سيجعل الجميع يتساءل عن السبب، وعن كيفية سيطرتنا على لعنة المنزل، والجن الذي يسكن فيه، وهذا بالضبط ما نريده لنلفت الانتباه إلينا».*

اقتنع كلاهما بما قالت، وتجهزوا للذهاب إلى منازلهم القديمة لإحضار ملابسهم وأمتعتهم..

ذهب قناوي إلى بيته واتفقوا أن يأخذ ملابسه وملابس ميمونة ويقابلهم في بيت مطاوع..

بعد ساعة كان ثلاثتهم يتحركون من بيت مطاوع إلى بيت الخالة نفيسة..

عندما وصلوا تفاجئوا بسيارة شافع أمام البيت..

قد جاء لأخذهم إلى بيته..

استقبلته حور بعينين مبتسمتينِ وسط نظرات قناوي الغاضبة، بينما قام مطاوع بسؤال شافع قائلًا:

«*كيف حال ميمونة الآن*»؟

أجابه قائلًا:

«*بخير، قد عادت لوعيها*».

كان يبدو على وجه شافع إخفاء شيء ما وراء ملامحه..

صعد الجميع للسيارة، بعدما وضعوا أمتعتهم داخل المنزل للذهاب لإحضار ميمونة..

عند وصولِهم لاحظ الجميع بقاء السيدة التي توشك على الإنجاب جالسة بجانب السور ما زالت تبكي..

سأل مطاوع شافع قائلًا:

*«من هذه السيدة؟ لقد رأيناها أكثر من مرة على تلك الحالة»؟*

أجابه شافع وسط اهتمام كل من حور وقناوي بما سيقول:

«إنها قصة غريبة وطويلة، لقد أتت لي هذه السيدة منذ عام تقريبًا، كانت وقتها على وشك الإنجاب أيضًا، أخبرتني أن أطفالها منذ عامين يموتون بعد إنجابهم مباشرة، في كل مرة بعد خروج الجنين للحياة يختنق ويموت أمام عينها!

قالت إن الأطباء ليس لديهم تفسير لما يحدث معها»

صمت شافع قليلًا وفتح باب البيت ودخل بهم إلى الغرفة الكبيرة، ثم أكمل قائلًا:

*«لقد فعلت معها كل ما في وسعي، ثم انتظرت يوم إنجابها ولم يتغير شيئًا، حدث معها ما حدث في المرتين السابقتين، جاءت الآن على أمل أني سأستطيع إنقاذ جنينها هذه المرة،*

*لكني عاجز عن ذلك، ولا أريد لها أن تأمل في أن أفعل ما لا أستطيع فعله».*

نظرت حور إلى مطاوع نظرة لها معنى، ثم صعدوا رفقة قناوي للاطمئنان على ميمونة..

تبدو واعية، حتى إن كانت عيناها تقول عكس ذلك، اقترب منها قناوي قائلًا:

*«ميمونة كيف حالك؟ أنت بخير؟ ماذا حدث لكِ»؟*

شافع.. شافع..

دخل شافع إلى الغرفة ليجيب قناوي الذي سأله:

*«ماذا بها؟ لِم لا تجيب، ماذا قال الطبيب عن حالتها، أخبرني»؟*

أجابه شافع قائلًا:

*«ميمونة تعاني من انهيار عصبي، عقلها لم يحتمل الصدمة، ما جعلها تفقد القدرة على النطق».*

ظهرت ملامح الفزع والأسى على الجميع، احتضن قناوي جسد أخته باكيًا..

أكمل شافع قائلًا:

*«قال الطبيب: إن هذه الحالة مؤقتة، وستعود لطبيعتها قريبًا»*.

صمت الجميع حزنًا على ميمونة..

بعد قليل طلب مطاوع من شافع أن يعود بهم بسيارته إلى المنزل، طلب شافع منهم البقاء في ضيافته هذه الليلة، لكنهم أصروا على الرحيل، فنزل أمامهم وخلفه مطاوع وحور، بينما قام قناوي بحمل أخته بين ذراعيه والنزول بها، فأسرع شافع بفتح باب السيارة عندما رآهم..

قبل أن تصعد إلى السيارة ذهبت حور إلى السيدة الجالسة بجانب السور وقالت لها:

*«أنتِ من قريتنا أليس كذلك»؟!*

مدت يدها لتصافحها معرفة نفسها قائلة:

*«أنا حور»*.

أجابتها السيدة قائلة:

*«نعم أنا أعرفك، رأيتك عدة مرات، ما الذي جاء بك إلى هنا»؟*

أجابتها حور:

«*الشيخ شافع صديق أخي، وتحدث معنا عما أصابك*».

استبشرت ملامح السيدة، وطلبت متوسلة لحور التوسط لها عند الشيخ ليقبل أن يساعدها..

أخبرتها حور أن الشيخ شافع لا يستطيع مساعدتها..

ظهرت علامات الحزن على السيدة مرة أخرى، وتحسست باطنها المنتفخ والدموع تتساقط من عينيها..

تحدثت حور قائلة:

«*أنا من ستساعدك*»!

نظرت لها السيدة بحماس شديد، وقالت بلهفة:

«*كيف*»؟

أخبرتها حور قائلة:

«*عليك مغادرة هذا المكان الآن، عودي إلى بيتك وسوف انتظرك في بيت خالتي نفيسة بعد يومين، أتعلمين مكانه*»؟

أجابتها السيدة قائلة:

«*نعم أعرفه*».

قالت حور:

*«إذن سأنتظرك هناك».*

أومأت السيدة برأسها بملامح غير مطمئنة، لكنها مجبورة على التشبث بأي أمل.

تركتها حور وذهبت إلى السيارة حيث ينتظرها الجميع، وما إن فتحت باب السيارة وصعدت بداخلها حتى سألها شافع:

*«هل لديكِ القدرة على مساعدتها»؟*

وتابع قائلًا:

*«لقد حاولت معها ولم أستطع، وأخاف أن يكون مصيركم الفشل ذاته، وهذا أمرٌ سيء في البداية، خاصة أن السيدة من قريتكم، ومعنى هذا أن خبر إخفاقكم سيذاع في البلدة بأكملها».*

أجابته حور قائلة:

*«لهذا السبب بالتحديد سأقوم بحل مشكلتها بأي ثمن؛ لأن حينها خبر قدرتنا على حل مشكلة كهذه سيذاع في كامل البلدة، ونكون نجحنا فيما أخفق فيه الشيخ شافع نفسه».*

اكتفى شافع بتلك الإجابة وتحرك بالسيارة، وقد زاد إعجابه بقوة حور ورزانة عقلها، مما ضاعف من انجذابه لها..

كانت ميمونة تنظر للخارج من نافذة السيارة طوال الطريق، وكان في ذلك رسالة طمأنة إلى أخيها قناوي أنها لا ترى ما يرون من مخلوقات العالم الآخر التي يصادفونها، بين الفينةِ والأخرى.

عند وصولهم البيت ترجل الجميع من السيارة، أسرع مطاوع لفتح الباب أمام قناوي الذي حمل أخته ميمونة بين ذراعيه ليدخلا..

ترجل شافع من سيارته سريعًا ليلحق بحور قبل أن تدخل البيت مناديًا:

«حور».

وقف أمامها، أخذ نفسًا عميقًا وتأهب قليلًا وقال:

*«لا أعرف ما حل بي منذ اللحظة التي رأيتُكِ فيها، كأن بكِ شيئًا قد سحرني وأوقعني أسيرًا في شباكك، لم تُجدِ معك كل تعاويذ حمايتي، لقد سلبتِ عقلي منذ النظرة الأولى وحطمتِ كل دفاعاتي، أدركتُ حينها أن لا حاجة لي لردعك؛ لأن الهزيمة والخسارة أمامك مؤكدة، وقد جئت الآن لأُعلن استسلامي وأعترف أن قلبي لم ينبض من قبل حتى مجيئك أمامي».*

كان شافع ينظر لعين حور منتظرًا منها ردًا على ما قاله،

لكن لم يكن هناك أي رد منها، سوى أنها تركته وتحركت للداخل، وقف شافع في مكانه قليلًا لا يفهم أهذا التصرف جاء من دافع الخجل، أو أنها لا تبادله نفس الشعور، أو لا يروق لها..

أخذت رأسه تغدو به وتروح لتفسير رد فعلها، إلى أن صعد إلى سيارته وغادر..

في الطابق الثاني من البيت دخل كل واحد منهم إلى غرفة، اختار قناوي غرفته بجانب ميمونة ليكون بجانبها إذا ما رغبت أي شيء، ومن بعده غرفة مطاوع ثم غرفة حور القريبة من السلم، حور التي استلقت على فراشها وأخذت تفكر فيما قاله شافع، فهي تشعر تجاهه بنفس ما صاغه لها من كلمات، الشعور ذاته منذ اللحظة الأولى التي رأته فيها، الانجذاب نفسه، كل شيء تحرك فيهما في ذات الوقت، وكأن ما حدث بينهما مشهد سينمائي متفق عليه، أو أحد أبيات الشعر المتناسق القوافي، تروي قصة عاشقين من زمن بعيد..

لعل ذلك ما يقلقها، أن تقع في حب شخص من النظرة الأولى، شيء لا يحدث سوى في الأفلام وداخل الروايات..

ظلت حور تطوف بأفكارها في المستقبل المحتمل، التي ستكون فيه مع شافع حتى غفت عيناها هائمة فيه..

أما مطاوع فغطَّ في نومٍ عميق منذ اللحظة الأولى التي وضع فيها رأسه على الوسادة، أراد أن يريح رأسه وجسده مما مر بهم في الأيام السابقة..

أما قناوي فقد خرج لتوه من غرفة ميمونة بعدما اطمأن عليها، ووضع بجانبها دورق مياه زجاجي عثر عليه في البيت، لتشرب منه إذا شعرت بالظمأ بدون أن تحتاج بذل جهد لتتحرك، واتجه إلى غرفته هو الآخر لينال قسطًا من الراحة..

في ساعة متأخرة من الليل كان الهدوء يدوي في كل أركان البيت، بعد أن نام الجميع في ليلتهم الأولى به..

هدوء تام، كأن البيت في قالب من الزجاج لا يخترقه أي صوت من الخارج، ولا يخرج منه أي صوت من الداخل..

في هذا التوقيت كان كل من مطاوع وقناوي وحور غارقين في النوم داخل غرفِهم، أما ميمونة فكانت تعاني من الأرق وعدم الراحة في غرفتها، فتحت عيناها عندما سمعت صوت يأتي من البرواز المعلق على الحائط بجانبها، التفتت إليه بعينين محملقتينِ في خوف، عندما رأت اللوحة بداخله تتمزق من المنتصف من تلقاء نفسها.

ارتعد جسدها بشدة حين رأت يدًا سوداء تخرج من

منتصف اللوحة، ظلت تخرج في بطء حتى خرج منها ذراعين كاملين، ثم ظهر رأس مخلوق أسود ذي عينين شديدتي الاحمرار، كاللتين رأتهما في المقبرة، أخذ هذا المخلوق يزحف ببطء مرعب إلى الخارج، أكثر فأكثر حتى ظهر جسده الأسود المغطى بالقشور الحمراء، تراقب ميمونة اقتراب هذا المخلوق منها في ذُعر، تحاول الصراخ على أخيها بصوت لا يتعدى شفتاها، عيناها بارزة في فزع، تريد أن تتحرك لكنها لا تستطيع، فاقدة الشعور بجسدها، لا تقدر على متابعة النظر لهذا المخلوق البشع، وفي الوقت ذاته لا تجرؤ على أن تُشيح بنظرها عنه..

حاولت بكامل طاقتها أن تصل للكمود بجانبها وسط دقات قلبها المتصاعدة، وعيناها المتنقلة بين المخلوق تارة وبين صراعها للوصول للكمود تارة، زادت من طاقتها للوصول إليه، حين رأت أن المخلوق أوشك على الوصول إليها، زاحفًا بهيئته المخيفة هذه، وما إن وصل إلى الفراش حتى وصلت إلى الكمود لتدفع دورق المياه الزجاجي بيدها ليسقط أرضًا محدثًا صوتًا سمعه مَن بالغرف المجاورة.

سمعت ميمونة صوت أبواب الغرف بجانبها تُفتح، يتساءل بعضهم بعضًا عن مصدر الصوت، في هذا الوقت كانت ميمونة تتابع بعينيها هذا الكائن، يعود زاحفًا إلى داخل

البرواز مرة أخرى، دلف قناوي إلى الغرفة ليطمئن عليها ومعه حور ومطاوع، كان ذلك بعدما اختفى هذا المخلوق بالكامل، وعاد من حيث أتى، لم تستطع ميمونة إخبارهم بما رأت، ولم يفهموا إشاراتُها التي حاولت بها شرح ما حدث..

فهم أخاها أنها لا تريد البقاء بمفردها في الغرفة، فقضى ليلته على أريكة بجانبها..

لكن ميمونة لم تذق طعم النوم فيما تبقى من الليلة، ولم تبرح عيناها ذلك البرواز...

# 8

في صباح اليوم التالي استيقظ الجميع في وقت متأخر، خرج مطاوع ليحضر طعامًا، وأخذت حور تعيد ترتيب بعض الأشياء داخل البيت، أما قناوي فكان في غرفة ميمونة يحاول أن يجعلها تتحدث..

بعدها اتفق الجميع على ضرورة إكمال قراءتهم والتعلم من كتبهم الليلة ليستطيعوا حل مشكلة السيدة التي يموت أطفالها..

في المساء دخل كل من حور ومطاوع وقناوي إلى الغرفة الفارغة بالطابق الأسفل، الغرفة التي ما زال منقوشًا على أرضيتها النجمة الخماسية، جلس كل واحد منهم في مكانه بعد أن أغلقوا الإضاءة، واكتفوا بما تصدره الشموع في أركان الغرفة من ضوء، ووضع كل واحد كتابه بين يديه، ثم أحدثوا ثقوبًا صغيرة في أصابعهم ليقطروا بضعة قطرات من الدم على أغلفة الكتب..

لتظهر الكلمات وأخذوا في قراءة وتعلم ما فيها..

حور قرأت عن طريقة بإمكانها أن تزيد من قوتها، وهي عبارة عن جني يرافقها حيث ذهبت، ويبقى خادمًا لها كحيوان أليف..

لكن تحضيره أمر صعب، لا يستطيع أي شخص لا يملك القوة الكافية استخدامه..

بالطبع هذا الشخص لم يكن حور..

أثناء جلستهم تحدث معهم مطاوع قائلًا:

«لقد سلكنا هذا الطريق من أجل المال، وأريد أن نتعاهد الآن أن نجني هذا المال بكل الطرق، إلا طريق الدماء..

فهذا العهد يحرّم على كل منا أن يلطخ يده بدماء أي إنسان مهما كانت الأسباب، وعلى من يفعل يكون الموت مصيره..

وافقت حور على ما قاله أخوها، وكذلك قناوي، وتعاهدوا على ذلك..

شعر مطاوع وقناوي بالملل من قراءة الكتاب في الغرفة، قالا إنهما سيأخذ كل واحد منهما كتابه إلى غرفته بالأعلى، ليرى إن كان هذا سيؤثر على كلمات الكتاب أم لا.

أما حور فبقت في مكانها تفكر في أمر الجني هذا..

قررت أن تجرب ذلك الآن..

خرجت من البيت بهدوء، كان الجو شديد البرودة، أخذت تنظر هنا وهناك إلى أن وجدت ما تبحث عنه..

قِط أسود يرتعد من البرد، يبحث عن طعام ومكان دافئ يحتمي فيه..

جلست حور أمامه على وضع القرفصاء وأخذت تغري القط للاقتراب منها، أخذت تلوح بيدها كأنها ستطعمه وما إن اقترب، حتى أخذت تملس على ظهره لتدفئته، وعندما اطمأن لها وآمن غدرها، قبضت بيدها على عنقه بشدة، حتى كادت عيناه تنبثقانِ من محجريهما من الاختناق..

عادت به وهي تلتفت حولها خشية أن يراها مزارع يبيت في أرضه على هذه الحالة، إلى أن دخلت البيت..

ما زالت تقبض على عنق القط بدون رحمة حتى اختنق، وخرج سائل من عينيه كالدموع، هزَّته بيدها بلا قلب لتتأكد من موته، تركته في الغرفة الفارغة، ثم خرجت وعادت ومعها إبرة وخيط، جلست ووضعت القط بين يديها وأخذت تخيط جفونه لتغلقهما تمامًا بدم بارد، وبعد أن انتهت من العيون فعلت ذلك أيضًا مع الفم..

أصبح القط وكأنه دمية بشعة، ممثَّلا بجثته..

أغلقت إضاءة الغرفة، وعلى ضوء الشموع وضعت القط في منتصف النجمة، ونامت بجانبه وهي تردد كلمات..

حتى نامت..

في صباح اليوم التالي وقبل أن يستيقظ الجميع، قلقت حور من نومها عندما شعرت بآلام جسدها وهي تتقلب على أرضية الغرفة، ولكن لم يكن هذا الشعور الوحيد الذي تسبب في استيقاظها..

لقد كان هناك مخلوق ما يتمسح برأسه وجسده في قدميها..

فتحت عيناها سريعًا وانتفضت جالسة، حين رأت القط المخيط العينين والفم واقفًا على أقدامه بجانبها، وقد عاد للحياة..

لا تعرف سبب شعورها بالخوف والذُعر، أليس هذا نتيجة ما فعلته بالأمس، فهل كانت لا تثق بنجاحها في هذا، أم أنها لم تكن في كامل وعيها حين فعلت!

وقفت تنظر للقط في ذهول، واتجهت نحو باب الغرفة وخرجت وتركته بالداخل، صعدت السلم في اتجاه غرفتها، لكنها تسمرت مكانها حين شعرت بمن يصعد بجانبها على السلم..

نعم لقد كان القط نفسه..

نظرت حور إليه، ثم إلى باب الغرفة المغلق في الأسفل،

وهي متيقنة بترك القط بالداخل أثناء إغلاقه..

عادت أدراجها للأسفل مرة أخرى ودخلت الغرفة وهو معها..

ثم خرجت وأغلقت الباب على القط وهي تنظر إليه..

تراجعت عدة خطوات للوراء، تنظر لباب الغرفة، لترى كيف سيخرج القط، ولكنها لم تر سوى أنه واقفًا بجانبها..

وكأن القط يخترق حاجز المكان والزمان، ويلازمها أينما كانت في لمح البصر..

صعدت حور وبجانبها القط الذي بدأ وجوده يتسبب في إخافتها، خصوصًا أنه يرافقها أينما ذهبت، وخلال النهار أيضًا، وهذا غريب..

في المساء جاءت السيدة على حسب الموعد، استقبلتها حور وأخوها مطاوع في إحدى غرف الطابق الأول، وروت لهم السيدة ما يحدث معها مرة أخرى على أمل إنقاذ جنينها هذه المرة..

أخذت حور تتمتم بكلمات غير مفهومة من الكتاب الخاص بها وسط عينين مترقبتينِ من السيدة..

صمتت حور وطلبت منها مبلغًا ماليًا كبيرًا تكون ملزمة

بدفعه إذا نجحت في إنقاذ جنينها..

قفزت عينا السيدة رعبًا وهي تحملق على القط الأسود الذي ظهر بغتة بجانب حور بدون مقدمات بهيئته البشعة المشوهة، قالت بعدها السيدة بحروف متقطعة:

*«موافقة سأبدأ من الغد بعرض قطعة أرض أملكها للبيع لتوفير المبلغ المطلوب».*

أومأت حور برأسها في رضا ثم قالت:

*«الآن عليكِ أن تأخذينا إلى بيتك لنعرف سبب ما يحدث لأطفالك».*

قامت السيدة ووقفت في حماس، ومعها حور في الوقت الذي صعد فيه مطاوع لغرفة ميمونة ليحضر قناوي ليذهبوا جميعًا....

بيتٌ عتيق من ثلاث طوابق، له باب حديدي كبير، أصدر صريرًا مزعجًا عندما فتحه زوج السيدة، الذي استقبل حور ومن معها بطريقة توحي أنه غير راضٍ عن وجودهم في بيته، بينما أطالت زوجته في ترحيبها لتدارك الموقف..

دخلت حور البيت وهي تتمتم بكلمات متواصلة، وقفت في منتصف البيت وظهر بجانبها القط الذي انتاب الجميع منه

بدفعه إذا نجحت في إنقاذ جنينها..

قفزت عينا السيدة رعبًا وهي تحملق على القط الأسود الذي ظهر بغتة بجانب حور بدون مقدمات بهيئته البشعة المشوهة، قالت بعدها السيدة بحروف متقطعة:

*«موافقة سأبدأ من الغد بعرض قطعة أرض أملكها للبيع لتوفير المبلغ المطلوب».*

أومأت حور برأسها في رضا ثم قالت:

*«الآن عليكِ أن تأخذينا إلى بيتك لنعرف سبب ما يحدث لأطفالك».*

قامت السيدة ووقفت في حماس، ومعها حور في الوقت الذي صعد فيه مطاوع لغرفة ميمونة ليحضر قناوي ليذهبوا جميعًا....

بيتٌ عتيق من ثلاث طوابق، له باب حديدي كبير، أصدر صريرًا مزعجًا عندما فتحه زوج السيدة، الذي استقبل حور ومن معها بطريقة توحي أنه غير راضٍ عن وجودهم في بيته، بينما أطالت زوجته في ترحيبها لتدارك الموقف..

دخلت حور البيت وهي تتمتم بكلمات متواصلة، وقفت في منتصف البيت وظهر بجانبها القط الذي انتاب الجميع منه

حالة من القلق..

انتهت حور من التمتمة ثم تحدثت قائلة للسيدة:

*«أريدك أن تأخذي زوجك وتنتظري بالخارج».*

فعلت السيدة ما أمرتها به حور، وخرجت هي وزوجها وتركوهم داخل البيت بمفردهم..

قام قناوي برسم دائرة كبيرة بداخلها نجمة خماسية في وسط البيت، في الوقت الذي أشعل مطاوع فيه بعض البخور..

اما حور فقد فصلت الإضاءة عن البيت بالكامل بعد أن أشعلت بعض الشموع..

جلس الثلاثة على شكل مثلث داخل حدود الدائرة، وضعت حور كتابها في المنتصف بينهم، وأخذ ثلاثتهم يتمتموا بكلمات متكررة لعدة دقائق بعيون مغلقة..

إلى أن شعروا بأن الغرفة ازدحمت عن آخرها، وأن المكان أمسى شديد البرودة..

فتح الثلاثة أعينهم ليتفاجئوا بأنهم محاطون بمخلوقات بشعة الهيئة، متفاوتة الطول والحجم، عددهم كثير، ملتفين حولهم من كل اتجاه على حدود الدائرة من الخارج..

كان المشهد مذهل بالنسبة لحور ومن معها، فهذه المرة الأولى التي يجتمعوا فيها مع هذا العدد الكبير من الجن في مكان ضيق كهذا..

ذهول حور لم يدم طويلًا، فسرعان ما التقطت الكتاب وقالت بضع كلمات بصوت مرتفع، حتى تراجع معظم المخلوقات إلى عالمهم المظلم، بقي أمامها ثلاثة من المتفوقين في الحجم والطول..

قالت لهم حور:

*«باسم ناصور ملك الجان، وبحق كتاب الآخرين، وبحق عهد التابعين، أقسم عليكم أن تخبروني ما أسكنكم هنا، ولماذا تقتلون أطفال هذه الإنسية»؟*

سمعت حور إجابة أحدهم وكانت جنية:

قالت:

*«نحن نعيش هنا منذ سنوات، وكان هذا البيت ملك جد ذاك الأنسي، وكنا نعيش مع عائلته ولا نؤذيهم، إلى أن جاءت هذه الانسية، كثيرة الشجار والصراخ في ساعات متأخرة من الليل مع زوجها، لكننا لم نتدخل، إلى أن حدث ما حدث، ففي إحدى المشاجرات غضبت هذه الإنسية على زوجها غضبًا شديدًا، وبدون مقدمات التقطت زجاجة وألقتها أرضًا بقوة،*

*فسقطت على رأس طفلي فصرعته، غضبت عليها ولعنتها، أقسمت ألا أترك لها طفلًا حيًّا أبدًا جزاء ما فعلت».*

سألتها حور:

«*ما اسمك*»؟

أجابت الجنية قائلة:

«*هبيانة بنت البارش، إحدى ملكات العالم السفلي*».

قالت حور بعدم اهتمام:

«*كم طفلًا قتلتِ لها حتى الآن*».

أجابتها الجنية:

«*ثلاث*».

عاودت حور سؤالها:

«*وكيف تقتلينهم*»؟

قالت الجنية:

«*أستطيع أن أجعلك تُشاهدين ما حدث داخل عقلك إذا أردت*».

أعطتها حور الإذن لذلك..

بعد ثوانٍ رأت حور أنها تقف داخل إحدى الغرف بمستشفى، أمامها مجموعة من الممرضات، وطبيب يقوم بإخراج جنين من بين قدمي امرأة، يسحب الطبيب الجنين وسط صرخات عالية إلى أن خرج، أعطاه لإحدى الممرضات التي لفته في قطعة من القماش، ثم رأت حور اقتراب كيان أسود على شكل امرأة من الجنين، تقوم بتقبيله لكنها لم تكن قبلة عادية، اقتربت حور أكثر لترى بوضوح أن تلك المرأة تقوم بشفط الأُكسجين من جسد الجنين، كأنها تتغذى على روحه ليموت في الحال أمام أنظار أمه ومن حولها، بدون أن يفهم أحدهم ما حدث..

استعادت حور وعيها وبدت في قمة الغضب، وبدون تفكير ألقت تعويذة على الجنية هبيانة كادت أن تحرقها..

قالت حور:

*«آمرك باسم ناصور بالابتعاد عن هذه الإنسية وأطفالها وأن ترفعي لعنتك من عليها»*.

خرت الجنية من شدة الألم راكعة أمام حور هي ومن معها وقالت:

*«كما تشائين».. «كما تشائين»*.

بدا الارتياح والرضا على وجهي مطاوع وقناوي، كان هذا

كافيًا بالنسبة لهما، لقد خلصوا الإنسية من اللعنة التي وقعت عليها، وطفلها القادم سينجو، لكن هذا لم يكن كافيًا بعد لحور، لقد أُعجبت بنفسها، وغرَّتها قوتها، لذلك حكمت على عائلة الجن هذه بمغادرة المنزل، وقبل أن يحدث ذلك يجب أن يتم قتل اثنين من أولادها كما فعلت في أطفال الإنسية؛ ليكون العدد متساويًا في كلا الطرفين..

تفاجأ مطاوع وقناوي بحكم حور الذي بدا تأثيره على وجه عائلة الجن وعلى ملكتهم، لكنهم يعلمون مصيرهم إن لم ينفذوا حكم حور، فهي قادرة على إحراقهم جميعًا بالقوة التي تمتلكها..

تم استدعاء اثنين من صغارها، وقامت حور بتمتمة بضع كلمات عليهما ليحترقا أمام الجنية الأم، التي تفجرت من عينيها براكين من الغضب تجاه حور، والذي استمر حتى أمرتهم بالانصراف من أمامها..

أخذت حور الكتاب، وقام مطاوع بإزالة الرسوم والنقوش التي على الأرض، ثم قام قناوي بتشغيل الإضاءة وفتح الباب للسيدة وزوجها..

قالت لها حور في ثقة:

*«لقد تم رفع اللعنة التي أصابتك وأطفالك، ولن يحدث*

*لجنينك القادم أي مكروه، لكن عليكِ أن تتوقفي عن الصُراخ وتحطيم الزجاج بعد منتصف الليل، فنحن لا نسكن الأرض بمفردنا».*

تهلل وجه السيدة وقالت:

*«سأضع حملي بعد خمسة عشر يومًا أو أقل» وإن لم يحدث مكروه لطفلي سآتي إليك ومعي ما طلبته من مال، وسأكون خادمتك ما حييت».*

ابتسمت حور بابتسامة ثقيلة يملؤها الغرور، ثم ألقت بنظرات حادة إلى الزوج أثناء خروجها، الذي كانت عيناه تتنقل بين حور وقطها الأسود في خوف وذعر شديد منها جراء استقباله الباهت لهم...

# 9

عاد الثلاثة إلى المنزل، الذي يبدو كَمكعب أسود من الخارج في ساعة متأخرة من الليل بعدما انتهوا من رفع اللعنة عن السيدة التي يُقتَل أطفالها من قبل الجنية الغاضبة..

أسرع قناوي إلى غرفة أخته بالطابق الثاني ليطمئن عليها، لكنه توقف فجأة وهو ينظر إلى وشاح أحمر اللون على درجات السلم، لم يستغرق برهة من التفكير حتى ظهرت علامات الفزع على وجهه، بعدما تيقن بأن هذا الوشاح يعود إلى ميمونة، التقطه واتجه لغرفتها سريعًا ومن خلفه حور ومطاوع، باب غرفتها مفتوح، على عتبته قطع من الملابس، أمسك بها قناوي وهو ينظر إلى فراش أخته الخالي، يتساءل:

*«أين ذهبت ميمونة»؟*

انتشر الثلاثة للبحث عنها في غرف وحمامات البيت، ولكن لا أثر لها..

قالت حور:

*«هل من الممكن أن تكون غادرت البيت لشعورها بالخوف من البقاء بمفردها»؟*

أجابها قناوي:

*«وإلى أين ستذهب بهذه الحالة»؟*

قال مطاوع:

*«من المحتمل رجوعها إلى منزلكم القديم داخل القرية».*

دخل الثلاثة إلى غرفتها مرة أخرى، فتح قناوي خزينة ملابسها ليجدها كما هي لم ينقص منها شيء..

ثم نظر إلى الملابس في يده وقال:

*«جميع ملابسها هنا كما هي، وهذه»* قالها وهو يُشير على ما في يده *«الثياب التي كانت ترتديها، فإذا كان ما تقوله صحيحًا فإنها خرجت عارية، وهذا محال».*

قال مطاوع وحور في لفظ واحد:

*«إذن فأين هي»؟*

اقتربت حور من البرواز المعلق على الحائط، وأخذت تنظر إليه لثوان، كان مائلًا بعض الشيء، فقامت بتعديله..

الثلاثة يقفون قليلي الحيلة أمام لغز اختفاء ميمونة، ليس أمامهم سوى اللجوء إلى ناصور ملك الجن ليساعدهم على إيجادها..

هبطوا إلى الغرفة الفارغة في الطابق الأسفل بين متحمس

مثل قناوي، وآخر يشعر بالإعياء بعد يوم طويل، وكان على أمل أن ينال قسطًا من الراحة مثل حور..

أغلقوا الإضاءة، وجلسوا في أماكنهم ووضع كل منهم كتابه في مكانه، وأخذوا يرددون تعويذة إحضار مَلِكهم..

بعد مرور وقت طويل يقرب من الساعتين، كانت هذه المرة الأولى التي يستغرقون فيها كل هذا الوقت للإحضار، وكانت المرة الأولى أيضًا التي لم يحضر فيها أحد من الجن..

حتى أخذوا بالشك في أنفسهم، وأنهم قالوا تعويذة الإحضار بطريقة خاطئة، مما جعلهم يعودون إلى الكتب للتأكد منها، لكن تبين أنهم لم يخطئوا بأية كلمة منها..

لا يعرف أحد منهم وسيلة أخرى تنفعهم في هذا الموقف، شعر الثلاثة بالعجز، وبقوا على جلستهم كأصنام صامتة..

بعد وقت ليس بالقصير تحرك مطاوع من جلسته، مد جسده واضعًا أذنه على الأرض كأنه يريد أن يستمع لشيء بوضوح، ثم قال موجهًا حديثه لحور وقناوي:

*«ضعوا أذنيكما على الأرض مثلي، وقولا لي هل تسمعان ما أسمع»؟*

فعل قناوي وحور من بعده ما قاله:

وبعد ثوان صاح قناوي قائلًا:

*« نعم، يوجد صوت بكاء في الأسفل، إنها ميمونة، ميمونة».*

أكدت حور على حديثه قائلة:

*«نعم أسمع الصوت ذاته، لكن كيف وصلت ميمونة لأسفل المنزل هكذا»؟*

انتفض الثلاثة يبحثون عن المدخل المؤدي لهذا المكان السري..

خرجوا من الغرفة وأزالوا كل ما على الأرض من مفارش، إلى أن رأى مطاوع مكعبًا من الخشب على الأرض تحت مفرش أسفل السلم، صاح في قناوي وحور قائلًا:

*«لقد وجدته».*

هرع إليه الاثنان وعلى وجوههما ملامح الاستغراب، كيف لم يكتشفوا ذلك المدخل من قبل..

أمسك كل من مطاوع وقناوي بمقبض الباب الخشبي الثقيل بشكل غير طبيعي ليفتحاه، ويظهر أمامهم درجات سلم متجهه إلى الأسفل يحجب آخرها ظلام دامس..

ذهب مطاوع سريعًا ليحضر الشموع..

هبط قناوي أولًا، ومن بعده مطاوع، ثم حور، في ترقب وحذر مندهشين من أسرار هذا البيت التي لم تُكشف بعد..

تجاوزوا من الدرجات عشرًا ليروا أنفسهم داخل بدروم كبير به عدة غرف، يوجد نقوش وطلاسم كثيرة على جدرانه..

اتجهوا إلى المكان الموازي للغرفة الفارغة، تجمد الثلاثة في أماكنهم محملقين بشيءٍ من الذعر، حين رأوا ميمونة نائمة في منتصف الغرفة عارية، وذراعاها منبسطتان بجانبيها، قدماها متباعدتان، ترقد في منتصف نجمة خماسية، وبجانبها هيكل عظمي لأنثى ذي جمجمة بها شعر طويل..

تدارك قناوي نفسه من صدمة ما يرى، ألقى الشمعة من يده جانبًا، خلع جلبابه سريعًا ليستر جسد أخته، وحملها إلى غرفتها..

صعد مطاوع وحور خلفه من البدروم، وأغلقا المدخل الخشبي كما كان، واتجها لغرفة ميمونة..

وضع أخته في فراشها وألبسها بعض الثياب في محاولة منه لتدفئة جسدها المتجمد، الذي يشعر برجفته بين يديه، يردد سائلًا:

*«ما الذي يحدث لها، ولماذا، كيف هبطت إلى هذا المكان بمفردها، كيف استطاعت أن تفتح ذلك الباب الخشبي الثقيل الذي احتاج إلى اثنين من الرجال لفتحه»؟*

لم يكن عند مطاوع وحور إجابة، فقد كانت هذه هي الأسئلة التي تدور بداخلهما أيضًا..

بعد قليل ذهب كل من مطاوع وحور إلى غرفتيهما ليناما، فقد أوشك الإعياء أن يفقدهما الوعي..

أما قناوي فبقي بجانب أخته على الأريكة لكي تطمئن به متى استيقظت..

وأخيرًا تكون انتهت هذه الليلة الطويلة....

في ظهيرة اليوم التالي اجتمع الجميع في غرفة ميمونة ليطمئنوا عليها، ما تزال علامات الخوف باقية على ملامحها، تنزل الدموع من عينيها بين الحين والآخر بدون صوت.. تحدثت حور قائلة:

*«برأيكم كيف تمكنت ميمونة من البكاء بصوت مرتفع بالأمس حتى يستطيع مطاوع سماعها»؟*

نظر كل من مطاوع وقناوي لبعضهما، ثم قال قناوي:

*«لا أعرف، فمنذ خروجنا من المقابر فقدت القدرة على*

*الكلام، ولم تصدر أي صوت منذ ذلك اليوم»!*

قال مطاوع:

*«لكنكم سمعتم معي صوت بكائها بالأمس، أليس كذلك»؟!*

أجابه قناوي:

*«بلى سمعنا، لكن كيف يكون الصوت لشخص آخر ولم يتواجد في المكان أحد سواها»!*

صمت الجميع قليلًا ثم تحدثت حور قائلة:

*«إذا كانت ميمونة فاقدة القدرة على الكلام وإصدار الأصوات، فهذا يعني أننا سمعنا صوت بكاء شخص آخر، شخص أراد منا العثور عليها»!*

قال مطاوع:

*«لكننا بحثنا في المكان ولم نجد غير ميمونة».*

قالت حور:

*«نعم، ولكن ميمونة لم تكن بمفردها، كان هناك هيكل عظمي لامرأة بجانبها»!!*

ابتسم كل من مطاوع وقناوي في سخرية وأشارا أن هذا غير معقول..

كانت ميمونة تستمع لحديثهم حين حركت يدها بصعوبة لتلفت انتباههم إليها..

عندما لاحظ قناوي ذلك قال:

*«يبدو أن ميمونة لديها شيء ما تُريد قوله».*

ثم تابع قائلًا:

*«ولكن كيف»؟*

قالت لها حور:

*«إذا جلبت لكِ ورقة وقلم هل تستطيعين الكتابة»؟*

أومأت ميمونة برأسها ببطء أن نعم..

وضعت حور القلم في يدها وبسطت أمامها ورقة بيضاء لتكتب ما تريد قوله..

الجميع يترقب ما ستكتبه..

شعرت ميمونة بالرغبة في البكاء؛ لأنها ستكون قادرة أخيرًا على التواصل معهم..

كتبت كلماتها الأولى بصعوبة وكانت..

*«أخرجوا هذا البرواز من الغرفة».*

لم يفهموا سبب هذا الطلب، لكن قام قناوي بإزالة البرواز على الفور ووضعه على عتبة الغرفة من الخارج..

توقفت عن الكتابة، وكأنها لا تعرف من أين تبدأ..

سألها مطاوع..

*«هل كان ذلك صوت بكائك بالأمس»؟*

اندهش الجميع حين كتبت:

*«لا، كان هذا بكاء السيدة التي كانت ترقد بجانبي»!*

سألتها حور قائلة:

*«كيف وصلتِ لهذا المكان»؟*

أجابتها ميمونة كاتبة:

*«لقد وجدت نفسي على هذه الحالة حين استيقظت من نومي، وكان البرد قارسًا، بكيت كثيرًا، حاولت الصراخ لكن بدون أن يتعدى الصوت حلقي، شعرت بتلك السيدة تظهر بجانبي من العدم، لم تتحدث معي، لم تفعل شيء سوى البكاء».*

سألها قناوي:

*«لم طلبتِ إخراج ذلك البرواز من الغرفة»؟*

ارتعشت يد ميمونة ولم تعد قادرة على الكتابة، فأخذ منها قناوي القلم والورق ووضعهما بجانبها..

وتركوها لترتاح..

خرج الثلاثة من الغرفة وقد امتلأت رؤوسهم بالأسئلة التي لا إجابة لها بعد..

قال مطاوع:

«*ما الذي يحدث لميمونة*»؟

قال قناوي:

«*ومن هذه السيدة التي تقول إنها ظهرت بجانبها من العدم، ولم يكن معها بالأسفل سوى هيكل عظمي، لكنه بالفعل يعود لامرأة! بالتأكيد هي من تؤذيها*».

ثم قالت حور:

«*الواضح من القصة أن هذه السيدة ساعدتنا لتحديد مكان ميمونة وإنقاذها مما كانت فيه*».

قرر الثلاثة النزول إلى ذلك السرداب مرة أخرى لمعرفة من تكون تلك السيدة..

# 10

حضر شافع في زيارة مفاجئة برَّرها أنه جاء ليطمئن على حالة ميمونة كما قال، لكن الجَليَّ للجميع أنه هنا من أجل حور، التي قامت بدورها بسرد ما حدث لهم في الأيام الماضية، وكيف أنهم عثروا على ميمونة عارية داخل سرداب سري تحت البيت، كان الاندهاش يكسو ملامح مطاوع من تصرف أخته، ونبرة صوتها التي تتغير أثناء حديثها مع شافع، أما قناوي فقد احمر وجهه من الغضب على حور التي تحكي كل شيء للضيف، وكأنه واحد منهم، ولم تكتف بهذا، بل إنها قامت بدعوة شافع للنزول معهم إلى البدروم لحضور جلسة لاستحضار روح السيدة التي يرجع لها الهيكل..

كان هذا تصاعد كبير ومفاجئ في علاقتهم بشافع، لم يفهم كل من مطاوع وقناوي سبب ما تفعله حور، وكأنها تفرض وجود شافع عليهم فرضًا، وهو ما لم يعجبهم..

على وجه آخر كان شافع يترجم هذا التصميم على تواجده من حور أنه رد على اعترافه لها بحبه، وأن تفسير هذا كله يعني أنها تبادله نفس الشعور وذات الرغبة..

رأى مطاوع أنه قد جاء الوقت الذي لابد أن يتحدث فيه، ويبدي رأيه فيما قالته حور، فقال بدافع اللباقة:

*«بالطبع جميعنا نرحب بانضمام شافع».*

أما قناوي فاكتفى بإيماءة رأسه في صمت وابتسامة صفراء تكسو ملامحه..

نزلوا جميعًا إلى البدروم ليلقوا نظرة على المكان والهيكل العظمي..

المكان موحش، انعكاس إضاءة الشموع على النقوش والطلاسم التي تملأ الجدران تثير في نفوسِهم شعور غريب بالخوف والترقب، على الرغم من نزولهم في وضح النهار، وقف شافع مندهشًا، كأنه داخل مقبرة أثرية تبوح بأسرارها للمرة الأولى..

إلى أن قامت حور باستدعائه إلى الغرفة التي عثروا فيها على ميمونة..

وقف أمام الغرفة ونظر إلى الهيكل العظمى قليلًا.. ثم طرح سؤالًا موجهًا للجميع:

*«هل قرأ أحدكم شيء عن جلسات الاستحضار»؟*

قال الجميع في وقت واحد:

*«نعم».*

قال قناوي:

*«نعلم أنه ينبغي علينا أن نوفر حيوانًا يكون كالقربان أثناء الجلسة، ويُفضل أن يكون قردًا للتشابه بينه وبين الإنسان».*

ابتسم شافع وهو ينظر لحور ومطاوع قائلًا:

*«وماذا عنكم»؟*

أيّدَ الاثنان على ما قاله قناوي..

قال شافع:

*«هذه الطريقة صحيحة، ولكن لحالات أخرى غير التي أمامنا»!*

وتابع قائلًا:

*«استخدام أعضاء الحيوانات تكون على الجثث الحديثة التي لم يمر على وفاتها أكثر من شهر، لكن هذه تحتاج إلى شيء أقوى، فصاحبة هذا الهيكل ماتت منذ سنوات».*

قال قناوي بتحفز:

*«شيء أقوى، مثل ماذا»؟*

أجابه شافع بهدوء:

*«مثل أن يكون القربان بأعضاء بشرية مأخوذة من جثة حديثة الموت».*

تسرع قناوي قائلًا وهو ينظر لحور ومطاوع:

*«ولكننا قد أخذنا عهدًا على أنفسنا بالابتعاد عن الدم»!*

قال شافع مستفسرًا..

*«أيّ عهد هذا»؟*

أجابه مطاوع:

*«لقد اتفقنا على ألا تلوث أيدينا بالدماء، يعني ألا نقتل أحدًا».*

استغرب شافع ولم يخف هذا وقال:

*«اعذروني، لكني لا أفهم ما الفائدة من هذا العهد؟ لقد نخطيتم ما هو أكبر وأجل من أن تلوث أيديكم بالدماء، أنتم عُبَّاد للشيطان الآن، ألستم مدركين هذا»!*

لقد تغير وجه كل من في الغرفة، وكأن شافعًا قد أوقف كلًّا منهم أمام مِرآتهُ عاريًا..

أجابته حور قائلة:

*«نعلم أننا سرنا تابعين لملك من الجان، وأن تلوث أيدينا بالدماء من عدمه لن يغير شيء من هذا».*

وتابعت قائلة:

*«اخترنا هذا الطريق من أجل المال، وسنجنيه بكل طريقة بدون أن نقتل أحد».*

وفي مفاجأة أخرى لكل من مطاوع وقناوي قالت حور لشافع:

*«وأنت أيضًا ستنضم معنا إلى هذا العهد من اليوم، لتكون واحدًا منا ونعمل معًا»!*

خرج الجميع من البدروم، أخذ مطاوع بيد حور بعيدًا عن شافع وقناوي وقال بصوت خافت:

*«ما الذي تفعلينه! لماذا تريدين انضمام شافع لنا؟ أو لا ينبغي أن يكون لنا جميعًا رأي في ذلك»؟*

أجابته حور قائلة»

*«بلى، ولكن أريده أن ينضم إلينا لتعويض مكان ميمونة، وأرى أن شخصًا مثله سوف يفيدنا في أمور كثيرة».*

قال مطاوع:

*«لكننا لا نعرفه».*

قالت:

*«ولكنه يعرفنا، وساعدنا في دخول هذا العالم في أداء*

*الشرط الثاني، ولم يشترط حينها شيئًا علينا، أو يطلب منا مالًا».*

بدا مطاوع أنه أقتنع قليلًا بما قالته حور..

في الوقت ذاته يقف قناوي بجانب شافع ويقول:

*«أرى أن من الصعب عليك قبول هذا العرض، بالتأكيد ستفقد الكثير من قوتك إذا قبلت بدخول عهد الدم، فأنت منذ الدعوة الأولى لجلسة استحضار تريد تقديم قربان بشري».*

همَّ شافع بالرد عليه، ولكنه شعر بقدوم حور ومطاوع، فأخَّر رده قليلًا إلى أن اقتربا ثم قال:

*«حديثي عن تقديم أعضاء بشرية لجلسة الاستحضار ليس معناه أن نأتي بأحد الأحياء ونقتله، ليس هذا ما كنت أقصده، فهذه الأعضاء يمكن الحصول عليها من جثث دُفنت في المقابر حديثًا».*

ثم تابع شافع قائلًا بخبث:

*«أنا أيضًا لا أحب القتل، ولم ألوث يدي بالدماء يومًا، ولذلك يُسرني أن أنضم إليكم في هذا العهد، ونعمل سويًا».*

لم يستطع قناوي قول شيء، وبقي صامتًا يرى تهنئة حور

ومطاوع لشافع على انضمامه لهم..

استأذن بعدها شافع للرحيل على أن يعود ليلًا ومعه الأعضاء التي سيحتاجونها في جلسة الاستحضار...

أبدى قناوي استياءه من فعل حور ومطاوع على ترحيبهم بانضمام شافع..

فقالت حور:

*«سيكون هذا مفيدًا لعملنا يا قناوي بعدما فقدنا ميمونة سيأخذ شافع مكانها معنا».*

أجابها قناوي بسخرية:

*«يأخذ مكانها معنا، حسنًا لا بأس».*

ثم تركهم وصعد إلى غرفة أخته في الأعلى..

قال مطاوع:

*«من الأفضل ألا نضغط عليه أكثر، يكفي ما حدث لأخته حتى الآن».*

أومأت حور برأسها وقالت:

*«علينا أن نجهز ما سنحتاجه لجلسة المساء، هل تظن أن هذا الهيكل يعود لخالتنا، إن كان كذلك فسيكون لديها الكثير*

*لإخبارنا به*».

شرد مطاوع فيما قالته، ولم يكن عنده ما يضيفه..

في المساء حضر شافع ومعه الأعضاء المطلوبة، استقبله مطاوع بالغرفة الفارغة وكانت حور في انتظاره بالداخل..

هذه هي المرة الأولى التي يدخلها، أخذ ينظر إلى النجمة الخماسية المقلوبة التي رُسمت في منتصف الغرفة وما بها من حروف وطلاسم..

جلس الثلاثة في أماكنهم في انتظار قناوي الذين يسمعون صوت قرع خطواته على السلم يقترب من الغرفة، بعدما لبى احتياجات أخته واطمأن عليها..

دخل عليهم الغرفة وجلس في مكانه بدون أن يتفوه بكلمة، وبدأوا بالتعاهد على عدم تلويث أيديهم بالدم ومن يخالف هذا العهد منهم يكون عقابه القتل..

لم يفكر أحدهم أن هذا الشرط دسّه الشيطان في عقولهم وأوهمهم بمنطقيته، فظاهره هو عهد لكيلا يقتلوا بشرًا، لكن إن أخطأ أحدهم وقتل، يكون على الباقي قتل الذي أخطأ وخرج عن العهد، فيصبح جميعهم قتلة!

انتهوا من جلستهم في الغرفة الفارغة سريعًا، ثم اتجهوا

إلى البوابة التي تصلهم إلى أسفل..

في الغرفة السفلية أشعل مطاوع وقناوي البخور والشموع، بينما جلست حور بجانب شافع تنظر كيف يقوم بإخراج الأعضاء من الكيس في يده ويضعها في أماكنها داخل الهيكل، العينان مكان العينين، والمخ على أعلى الجمجمة، والقلب بين القفص الصدري، وهكذا حتى انتهى.

جلس الأربعة أمام الهيكل وأخذوا يرددون تعويذة استحضار الروح صاحبة الهيكل، أو بمعنى أوضح قرينها من الجن..

كل حين وآخر تأتي رياح يتراقص معها لهب الشموع، لكن بدون تواصل، حتى بدا وكأنه صراع بين الحضور وعدمه..

وما كان أمامهم إلا أن يستمروا في تمتمة التعويذة..

في الأعلى كانت ميمونة تشعر بعدم راحة من الهدوء التي تشعر به حولها..

تنظر إلى باب غرفتها والظل الذي يظهر من تحته كأن هناك من يقف بالخارج..

الإضاءة مشتعلة والظل باق، لا تستطيع التحدث ولا الصُراخ، تحاول لعل صيحةً تخرج منها تُنقذها من هذا الظل،

الذي تسلل إلى داخل الغرفة بدون أن يفتح بابًا أو يُغلِق إضاءة، بدا الظل واضحًا أمام أعينها، لقد رأت صاحبته من قبل، لقد رأتها في المرة الأولى التي دخلت فيها إلى هذا البيت..

كان شعور ميمونة بالعجز يكاد يُوقف قلبها، وهي ترى الخالة نفيسة تقترب منها في هدوء مخيف مرعب، لقد بدت واضحة المعالم أكثر من أي وقت مضى، سمار بشرتها، حدة أعينها، شعرها الطويل، الوشم على ذقنها كل شيء..

تُصارع من أجل أن تتحرك بجسدها لتهرب من هذه الغرفة، جحظت عيناها في فزع إلى الخالة نفيسة التي أصبحت عند رأسها، لم يكن أمامها سوى أن تغمض عينيها، لعل ما تراه يختفي؛ ظلت على هذه الحالة لثوان، ثم حملها الفضول على فتح عينيها، صُعقت عندما رأت الخالة نفيسة تنام فوقها بشكل رأسي، معلقة في الهواء، بينهما مسافة لا تتعدى الشبر الواحد..

مقيدة، عاجزة عن الحركة، لا تقدِر على الصُراخ والاستغاثة بأخيها، ترى فقط جسد الخالة نفيسة يقترب منها شيئًا فشيئًا حتى تلامس الجسدان، شعرت ببرودة تخترقها، كأن هناك من يستحوذ على جسدها وروحها، مستسلمة لا تستطيع المقاومة..

في غرفة البدروم ما زال الأربعة يرددون في استغراب تعويذة الاستحضار، يراقبون تراقص لهب الشموع وهو ما يدل على وجود شيء آخر معهم في الغرفة، لكنه لا يظهر ولا يعطي لهم إشارة أخرى، تجمدت أفواه الجميع وساد الصمت حين شعروا بوجود شيء ما يتحرك خلفهم، وقبل أن يستديروا لرؤيته انطفأت الشموع بغتة، ليزداد الأمر سوءًا وترتجف قلوبهم فزعًا..

التقط شافع سريعًا شمعة وأشعلها، ليُحملق الجميع في اندهاش وصدمة، ناظرين إلى ميمونة واقفة خلفهم على باب الغرفة تنظر لهم في غضب..

بعد ثوان تداركوا أنفسهم فيها، وتهللت وجوههم على استحياء، أن ميمونة عادت قادرة على التحرك، نسوا ما أفزعهم منذ قليل أو تناسوا، لكن ما إن اقتربوا منها حتى سقطت أرضًا فاقدةً وعيها، وسط تَبدُّل ملامح الجميع إلى الذهول والخوف مرة أخرى، أسرع قناوي بحملها ليصعد بها إلى غرفتها..

ظل الجميع حولها إلى أن عادت لوعيها، فتحت عينيها بصعوبة وبدا لهم أنها بخير، أتت حور بورقة وقلم لتخبرهم ما حدث، ولكنها لم تستطع فعل أي شيء سوى النوم، وضعتهما بجانبها وخرج الجميع ليتركوها ترتاح..

في الخارج وقف الجميع في صمت، لا يعرف شافع كيف لم تنجح جلسة الاستحضار، شعر بالاختناق، لم يعد يُطيق المكوث معهم أكثر من ذلك، وسط نظرات قناوي الحادة، فاستأذن للرحيل على أن يعود إليهم في اليوم التالي...

في الصباح الباكر دخل قناوي لغرفة أخته ليطمئن عليها، والتي كانت ما تزال نائمة، فَهَمَّ ليعود أدراجه إلى الخارج، لكنه توقف فجأة بعدما وقعت عيناه على الكراس والقلم الساقطين بجانب السرير، ويبدو أنه كُتب عليها شيء ما؟

التقط قناوي الكراس ليرى على أول صفحاتها جملة أثارت دهشته، وكانت..

«*لم يكن عليكم الدخول إلى المنزل*».

خرج قناوي من الغرفة وانتظر حتى استيقظت حور ومطاوع، وأطلعهما على ما وجد في غرفة ميمونة..

استغرب الجميع مما كتبته ولم يفهموا معنى له..

دخل ثلاثتهم إلى غرفة ميمونة التي فتحت عيناها لتجدهم حولها ينظرون بعيون حائرة، مدت حور يدها وجعلتها تقرأ ما كتبت، وأعطتها القلم لتفسر لهم ما فيه..

وكان الجواب الأغرب على الإطلاق حين كتبت لهم أنها لا

تعرف شيئًا عن هذه الجملة ولم تكتبها!

وسط اندهاش الجميع سألتها حور قائلة:

«*كيف استطعتِ النزول للأسفل بالأمس*»؟

ظن الجميع أنها ستكتب لا أعرف أيضًا، ولكنها أخبرتهم بما حدث معها بالأمس من رؤيتها للخالة نفيسة، ثم قيامها بالنزول إلى البدروم، والتي كانت واعية به، لكن لم تكن هي المتحركة، كأن أقدامًا أخرى كانت تسير بجسدها......

# 11

ظَلّت ميمونة على هذه الحالة، فتارة على طبيعتها، وتارة تتحول إلى امرأة أخرى لا تعرف ما تكتبه، ولا تعلم لماذا كَتَبَتهُ..

حتى ظنوا جميعًا أنها تخدعهم، لا سيما بعدما رأوها تتحرك ليلًا أكثر من مرة وتراقبهم أثناء النوم..

كأنها تتبدل من حين إلى آخر، من شخصية إلى أخرى..

مرت الأيام، أصبح شافع متواجدًا معهم باستمرار، يلمح لحور بفكرة الزواج كل يوم، تتهرب من الإجابة عليه رغم مبادلته الرغبة ذاتها، لكنها ترى أنه لم يحن الوقت المناسب بعد..

بعد ثلاثة أسابيع جاءت السيدة تحمل طِفلها بين يديها إلى حور لسداد المبلغ الذي تم الاتفاق عليه..

وأخذت تُكيل الشكر والمدح فيها وفي قوتها..

ثم راحت تقص لأهل القرية عما فعلته معها، وحقيقة امتلاكها قوة كبيرة كالحكايات التي كانوا يسمعونها عن خالتها..

علم أهل القرية أن حور امتلكت علم خالتها، وهي الآن

قادرة على حل أية مشاكل تواجه أي شخص منهم..

منذ ذلك اليوم ذاع اسم حور في القرية بأكملها، وأخذ الناس يتوافدون على بيت الخالة نفيسة لحل مشاكلهم، أو دعنا نقول: لإشباع أحقادهم وفساد داخلهم..

فمنهم العجوز الطاعنة في السن التي أتت لتفرق بين ولدِها وزوجه، ليس لشيء إلا أنها ترى أن الأخيرة تبعده عنها وتقلبه عليها، وبالتأكيد لا يوجد إثبات لذلك إلا في رأسها..

وآخر أتى للبحث عن طريقة يُعجل بها موت أبيه لكي يرثه، بعدما فشل في صنع حياة كريمة لعائلته بمفرده، فيريد الاعتماد على ما سوف يتركه أبوه، ولا يريد أن ينتظر بلوغ أجله، بل إنه يراه بصحة جيدة، وإن تركه هكذا سينتظر طويلًا، لهذا يريد أن يعجل بموته لكي تُحل مشاكله..

وآخر يريد الضيق وقلة الرزق لجاره لكي لا تعايره زوجته به، فبدلًا من أن يأخذ كلامها على رجولته ويعمل بجد واجتهاد، قرر أن يكون بلا رجولة ويهدم بيت جاره..

لقد كشف هؤلاء عن وجه القرية القبيح، لا لشيء إلا لوجودهم فيها..

وللأسف كان جميعهم شافع ومطاوع وقناوي يلبون لهم ما أرادوا بدون مناقشة، فقط مقابل ما يطلبون من مال..

وفي أحد الأيام جاء شيخ كبير ضعيف منحني الظهر يبدو عليه الفقر، يمسك في يده فتاة جميلة شابة، تشبه الملائكة في جمالها الهادئ..

جلس الرجل بالفتاة أمام حور وقال لها باكيًا:

*«أرجوكِ ساعدي ابنتي، لقد انقلب حالُها منذ سنتين، أصبحت لا تتحدث لأحد، كأنها تعيش في عالم آخر، عالم يوقظنا كل ليلة على صُراخ مدو مرعب، وعلامات بكامل جسدها، لم أترك شيخًا في هذه المنطقة إلا وذهبت بها إليه، لم يستطع أحد علاجها، بل إن بعضهم استغلها، وزاد من أمرها سوءًا».*

قالت حور:

*«وماذا قال هؤلاء الشيوخ»؟*

أجابها الشيخ الكبير قائلًا بصوت ضعيفٍ مرهق:

*«جميعهم قالوا: إنها تعرضت لِمَس عاشق، يوجد جني خبيث يعشقُها، هو ما يجعلها تبدو على هذه الحالة، لكيلا يقترب منها أحد غيره».*

طمأنت حور الرجل قائلة:

*«لا تقلق ستكون ابنتك بخير قريبًا».*

شكرها الرجل بتحفظ، كأنه لم يعد يُصدق أي وعود بعد ما تعرض له من خيبات سابقة..

حتى أنه قال إنه يسكن بجوار منزلهم القديم داخل البلدة، في محاولة منه على حثها على مساعدته بحكم الجيرة..

طمأنته مرة أخرى وأعطته موعدًا آخر يأتي فيه مع ابنته لكي يتم علاجها وتخليصها من تلك المعاناة..

خرج الرجل وابنته من البيت، فتسلل قناوي من بين حور ومطاوع كأنه سيصعد إلى الأعلى للاطمئنان على أخته، لكنه لحق بالرجل وابنته سريعًا قبل أن يبتعدا، ليسأله عن شيء ما راوده أثناء حديثه..

وقف قناوي أمام الرجل وقال:

*«تمهل يا شيخ».*

نظر له الرجل وقال:

*«ماذا تريد يا بني»؟*

تابع قناوي قائلًا:

*«لقد ذكرت لنا أثناء حديثك أنك لم تترك شيخًا في هذه المنطقة إلا وذهبت إليه طلبًا للمساعدة».*

صمت قناوي قليلًا ثم قال في تردد:

*«هل كان أحدهم من القرية المجاورة»؟*

أجابه الرجل:

*«نعم ذهبت لهذا الشيخ الذي يُدعى....».*

قاطعه قناوي بحماس قائلًا:

*«شافع...».*

قال الرجل:

*«نعم هذا الذي ذكرت، أتمنى أن يحترق في الجحيم».*

تهلل وجه قناوي عندما سمع دعاء الرجل على شافع وقال:

*«لماذا تدعو عليه ألم يساعدك»؟*

قال الشيخ:

*«لم يساعدني، بل إنه استغل عِلة ابنتي، وأقنعني أنه إذا جامعها، سيظهر له هذا الجني، وسيقوم بصرفه عنها بالقوة التي لديه».*

زاد حماس قناوي لمعرفة البقية، فأكمل الرجل قائلًا:

*«لم أوافق، اشترطت عليه إذا أراد، فعليه أن يتزوجها،*

*وبالفعل أتى بمأذون وشهود وتزوجها سرًّا لغرض علاجها، وبعد بضعة أيام لم يتغير شيء، وما شُفيت ابنتي، لم أتركه يختلي بها مرة أخرى، وحملته على طلاقها، فطلَّقها».*

صمت الرجل وبدا عليه التأثر ثم تابع قائلًا:

*«بعدها بأيام ذهبت إليه ليجد طريقة أخرى لمساعدتها، بعد أن ساءت حالتها أكثر، لكنني تقابلت بأحدِ رجاله مصادفة قبل دخولي إليه، وكان هذا الرجل هو المأذون نفسه الذي زوَّجه من ابنتي، وقتها علمت أنه كان يتلاعب بي وبها».*

سعل العجوز سعلةً آلمته ثم تابع قائلًا:

*«غضبت غضبًا شديدًا، واجهته، قصصت فعلته أمام المتواجدين عنده، حتى أن بعضهم رحل بعد ما سمع حديثي، ليجعل رجاله يدخلوني لبيت آخر تابع له، وهددني بحياتي وحياة ابنتي، فتراجعت خوفًا على ابنتي التي ليس لها أحد غيري في هذه الدنيا».*

تهلل وجه قناوي أكثر حتى أنه لم يقدر على إخفاء فرحته أمام الرجل، فتركه سريعًا ليرجع إلى حور ويُقص عليها ما علمه من الرجل على شافع، وكيف أنه خداع وكاذب..

لكن عند اقترابه من البيت وجد سيارة شافع قادمة، فنظر إليه بسخرية ودخل أمامه إلى البيت..

جلس قناوي بجانب مطاوع وأمامهم حور الذي تهلل وجهها حين دخل عليهم شافع..

أخذ قناوي يراقبه بنظراته أثناء حديثه منتظرًا اللحظة الحاسمة التي سيكشفه فيها أمام حور، ويزيل عنه هذا القناع الذي يرتديه على وجهه..

وعندما همَّ بالتحدث، وجد شافعًا يقول إنه ذاهب إلى موعد هام وسيعود ليلًا، فتوقفت الكلمات في حلقه ولم تخرج..

بعد خروج شافع صعد قناوي للاطمئنان على ميمونة وتلبية احتياجاتها..

في المساء اجتمع قناوي بكل من حور ومطاوع، وسرد عليهم ما سمعه من الرجل وقصته مع شافع..

ثم اقترح عليهم إخراجه من بينهم بهدوء، وبدون إبداء أي أسباب..

كانت ملامح الصدمة تكسو وجه حور ومطاوع..

لكن مالت نظرات حور إلى تكذيب قناوي؛ لأنها تعلم جيدًا مدى كرهه لشافع وقالت:

*«سننتظر حين يعود شافع ونواجهه بكل هذا أولًا، قبل أن*

*نحكم عليه بشيء».*

لم يمر وقت طويل حتى عاد شافع، ووجد الثلاثة يجلسون وينظرون إليه بنظرات غير مريحة..

سألته حور عن قصة الشيخ وابنته وما قاله الرجل لقناوي..

أنكر شافع أنه قابل حالة كهذه من الأساس، وأنكر أنه يعرف هذا الرجل وابنته..

تحدث قناوي بغضب قائلًا:

*«كفاك خداعًا إلى هذا الحد يا شافع، فقد جاء الرجل إلى هنا وقصّ عليّ ما فعلته فيه وفي ابنته».*

رفض شافع ما يتهمهُ به قناوي، ولم يقبل تحدثه بهذا الشكل عنه..

فصاحت حور في قناوي الذي كان سيكمل في مشادته مع شافع قائلة:

*«كفى، لا أريد أن أسمع منك شيئًا آخر».*

صمت قناوي قليلًا ثم قال في هدوء:

*«في الصباح سأثبت كذبك وخداعك أمام الجميع».*

ثم اتجه إلى باب البيت وفتحه وغادر بدون أن يعلم أحد

بوجهته...

لم يعجب مطاوع ما حدث، وقرر أن يترك الجميع ويصعد إلى غرفته..

أما شافع أخذ يتحدث مع حور ليبدد أي شكوك في رأسها تجاهه، حتى قال لها:

*«أشعر أن قناوي يدبر لي شيئًا ما ليوقعني في ورطة أمامك».*

ثم صمت قليلًا وقال:

*«أتعلمين عنوان ذلك الرجل وابنته»؟*

أجابته حور قائلة:

*«نعم، لقد قال إنه يسكن بجوار بيتنا القديم، لِمَ تسأل»؟*

قال شافع:

*«لا أعرف، لكني أشعر بالقلق».*

ثم طلب منها الذهاب معه إلى الخارج، فخرجوا سويًا وصعدا إلى السيارة..

كان الوقت قبل ساعة من منتصف الليل..

دخل بها شافع إلى القرية، مرًّا من أمام بيتها، وتعرفت حور

على بيت الرجل، فتوقفا بالسيارة يراقبان البيت من نقطة قريبة مظلمة..

لا تعرف حور لمَ يُراقب شافع بيت الرجل في هذا التوقيت..

قال شافع:

*«إني أخاف أن يفعل قناوي أمرًا ما ويلقيه عليّ».*

قالت حور:

*«لا أظن أن يصل الأمر بقناوي لفعل ذلك، مستحيل..».*

ظل الاثنان يراقبان من السيارة إلى منتصف الليل، ولم يقترب أحد من البيت، فقالت حور:

*«أرأيت، قناوي لا يفعل شيئًا كهذا..».*

فنظر لها شافع وقال وهو يشير في اتجاه البيت:

*«حسنًا، إذن من يكون هذا الرجل»؟*

التفتت حور مُسرعة لترى قناوي يحاول فتح باب البيت، راقبته وهو يصعد على النافذة بقدمه ليصعد إلى السطح بعدما فشل في فتح الباب..

قالت:

*«حان وقت مداهمة البيت أثناء وجوده لنعلم ما يفعله».*

ابتسم شافع وقال:

*«لا سنتركه يفعل ما يُريد، وفي الصباح سنعرف ما دبر له، وستكونين شاهدة بعينيكِ على حقيقة ما حدث».*

بعد قليل رأى الاثنان قناوي وهو يخرج من باب البيت يتلفت هنا وهناك..

نزل شافع وحور من السيارة وسارا خلفه بدون أن يشعر بهما، وظلا يراقبانه إلى أن دخل بيته..

ثم عادا إلى السيارة بعدما رأت حور بعينيها أنه قناوي بما لا يدع مجالًا للشك..

عاد شافع بحور إلى بيت خالتها نفيسة، وغادر بعد ذلك إلى بيته، على أن يعود في الصباح الباكر، ليكشفا سويًا ما دبره قناوي..

على جهة أخرى هناك داخل البلدة، استيقظ قناوي منذ قليل بعد ما تخيل أنه سمع صوت باب البيت يُفتح ويُغلق، لكنه عندما خرج لم يجد شيئًا غريبًا، وعاد إلى فراشه يُفكر بأن هذا كله سينتهي في الصباح، حين يذهب للرجل وابنته ويحضرهُم أمام حور ليقص عليها الرجل ما حدث من شافع

مع ابنته بنفسه، ويكشفه حقيقته أمامها..

على أطراف البلدة المجاورة، وقف شافع أمام بيته بالسيارة وهبط منها، وفي استقباله خادمه من الجن وقال:

*«لقد فعلت ما أمرتني به يا سيدي».*

قال شافع وهو يأخذ نفس عميقًا..

*«أحسنت صنعًا يا قُزح، فلولا أني وصلت في الوقت المناسب ورأيت قناوي وهو يقف مع الشيخ الكبير وابنته، ما كنت سأحتاط هكذا، كنتُ أعرف أنه سيذهب للانتظار بجانبهم حتى يأتي بهم في الصباح أمام حور».*

وتابع قائلًا لخادمه:

*«لكنك كنت صورة طبق الأصل منه».*

ثم قال في غرور:

كم أحب ذكائي وقوتنا سويًا».

ضحكَ الإثنان بصوتٍ مرتفعٍ في غرور ودلفا إلى البيت...

في صباح اليوم التالي، ما إن استيقظ قناوي حتى تجهَّز وخرج سريعًا إلى بيت الرجل ليذهب به إلى حور..

عندما وصل إلى بيته وجد أناسًا كثيرين أمامه، اقترب

منهم وسأل أحدهم فأخبره أن الرجل وابنته، وُجدا مقتولين عند الفجر، عندما مر أحد الأشخاص ووجد باب البيت مفتوحًا..

تمتم قناوي بكلمات يَسُب فيها شافعًا وقال في نفسه:

«*لم يفعلها غيره، هو مَن له المصلحة الوحيدة في موت الرجل وابنته*».

ثم غادر المكان على الفور متجهًا إلى حور لإخبارها، وعند وصوله وجد سيارة شافع مصفوفة خارج البيت..

دخل وعينيه قد مُلئت بالغضب والحقد..

وأول ما وقعت عينه عليهم قال:

«*وتجلس هنا في برود وكأنك لم تفعل شيئًا*»!

تحدثت حور قائلة:

«*لا تتحدث معه، وقل لي: أين الرجل وابنته لكي يتحدثوا عما فعله شافع بهما*»؟

إبتسم قناوي وهو ينظر لشافع وقال بحنق:

«*أجب عليها يا شافع، قل: أين الرجل وابنته، ولماذا لم يستطيعا المجيء معي*»؟

قالت حور بغضب:

«*قلت لك: تحدث معي أنا*..».

نظر لها قناوي وقال:

«*لقد ذهبت لأبيت ببيتي القديم في القرية، لأعود إلى هنا في الصباح الباكر بالرجل وابنته، وعندما ذهبت لبيته منذ قليل وجدت أن الاثنين قد قُتلا*..».

ثم وجه حديثه لشافع قائلًا:

«*تُرى من قتلهم يا شافع*»؟

لم يجبه شافع واكتفى بالنظر في صمت إلى حور التي قالت:

«*لم أتوقع منك هذا أبدًا يا قناوي، لقد خنت العهد الذي بيننا، ينبغي أن يُسال دمك الآن في موضع قدمك، لكني سأكتفي برحيلك أنت وميمونة من هذا البيت، وألا تُريني وجهك أبدًا، واعلم أني إذا قابلتك مرةً أخرى ستكون نهايتك*..».

همّ قناوي أن يتحدث مدافعًا عن نفسه، لكن قاطعه مطاوع قائلًا:

«*لقد رأتك حور بالأمس وأنت تدخل بيت الرجل بعد*

*منتصف الليل، ورأتك تعود إلى بيتك بعدما خرجت من عنده تتلفت هنا وهناك، فلا حاجة للكلام، فالعين رأت، والعين أصدق من ألف حديث..».*

كان قناوي ينظر لشافع ويفكِّر فيما دبَّره له، وأقنع مطاوعًا وحور به، لكنه وجد ألا داعي من الحديث طالما صدقوا ما قاله شافع عنه، ووقفوا في صفه..

صعد إلى الأعلى وجمع أغراضه وكل ما يتعلق به وأخته وأخذها ورحل، وهو يتعهد لنفسه أنه لن يترك شافعًا هذا بدون حساب على ما فعله به، وأقسم على قتله.....

# 12

بعد رحيل قناوي وميمونة من البيت، استمر شافع بالإلحاح على حور في أمر زواجهما، حتى إنه اقترح المكوث معها في بيت خالتها.. وعاهدها ألا يُجبرها على الانتقال لبيته، في محاولة منه لإزالة كل العقبات التي من الممكن أن تكون حائلة بينهما، وبعد دَأْب ومثابرة وافقت حور، وتم الزواج بدون إقامة عُرس، في أجواء غاب فيها الفرح عن وجه مطاوع، الذي افتقد تواجد صديقه بجانبه، لقد شعر الآن ببعض الخوف، من أن تهجره أخته وتنشغل بزوجها عنه، زوجها الذي بات حوله الكثير من الشكوك...

منذ ذلك اليوم وجد مطاوع نفسه بمفرده في البيت، وأن عليه استقبال الأشخاص الذين يريدون منهم أعمالًا، كان هذا يغضبه أكثر، لأن عليه الآن العمل بمفرده بدون أخته أو صديقه أو حتى شافع.

حالته المزاجية تلك انعكست بتعامله الحاد مع رجل مُهندم الثياب، تبدو عليه الهيبة، جاء إليه من أجل أن يفعل له عملًا سحريًا لكي تقع زوجة أخيه في حبِّه، أخذ الرجل يُحدث مطاوعًا بدون حياء، أنه يُحِبُها ويطاردها منذ سنوات، لكنها لا تجاريه فيما أراد، وهذا ما دعاه للحضور هنا بين يديه، لكي يفعل له أي شيء، لأنه لا يرى امرأةً غيرها، على الرغم أنه

متزوج وله نزوات عديدة..

قال له مطاوع بنبرة حارجة:

*«وماذا عن أخيك؟ أهو متوفى أم على قيد الحياة»؟*

أجابه الرجل قائلًا:

*«بل حي وتربطني به علاقة قوية وود..».*

بدا الاستغراب على وجه مطاوع ثم قال:

*«وكيف تنظر في وجه أخيك وأنت تشتهي زوجته هكذا..»؟*

بلع الرجل ريقه ومعه إهانة مطاوع، وشعر بحرجٍ شديد، لكنه قال متماديًا في التبجح:

*«أُحبُّها وسأفعل أي شيء للوصول إليها»!*

ثم قال بنفاد صبر:

*«هل أجد حاجتي عندك، أم عليّ طرق بَاب شيخ آخر»؟*

أجابه مطاوع قائلًا:

*«سأفعل لك ما تريد..».*

تهلل وجه الرجل وقال:

*«وأنا سأدفع لك أكثر مما تطلبه..».*

هكذا مرت الأيام على مطاوع، وكأن الثلاثة انقسموا إلى فريقين، فحور أصبحت متحمسة للعمل أكثر مع شافع، ودائمًا ما تكون معه..

اعتاد مطاوع الخروج ليلًا للسير بين الحقول، والنظر إلى البلدة من أطرافها، والبيوت تبدو هادئة من الخارج، ولا أحد يدري مدى الاحتراق المشتعل تحت الرماد، النفوس أصبحت كألسنة اللهب الخفية، التي من الممكن أن تطولك في أي وقت ومن أقرب الناس..

توقف مطاوع عن سيره حين شعر بأن شيئًا ما يراقبه من الحقل، أو أن أحدًا ما يلاحقه بالنظرات من بين عيدان الذرة الطويلة، التي تُزيد الظلام ظلامًا، لقد توقف صوت الاحتكاك بأوراق الأعواد بوقوفه، صوت مميز غير ذلك المستمر إلى الآن بفعل الرياح..

نظر مطاوع حوله ليجد أنه تمادى في السير بين الحقول وابتعد كثيرًا عن البيت، لكن رغم كل هذا لم يكن هناك ما يقلقه..

تحدث بصوت جهوري واثقًا غير متلعثم وقال:

*«أيّما تكون أنت، اخرج الآن من داخل الحقل وأظهر نفسك*

*وقل ما تريد..».*

انتظر لثوان حتى سمِع حركة تقترب منه، دللتها أصوات حفيف أوراق الحقل، حتى خرج من بين أعواد الذرة كائن يشبه الليل في ظلامه، والدمُ في حمرة عينيه، لا أنف له..

ركع أمام مطاوع وقال:

«*ما أنا إلا رسول أحمل رسالةً إليك..».*

سمع منه مطاوع ما قال وتركه يرحل من حيث أتى..

شعر مطاوع بسعادة كبيرة بعد رحيل ذلك الرسول الذي جاء برسالة من قناوي يخبره فيها عن مكان إقامته الذي لم يعرفه أحد منذ رحيله، واستدعائه فيه..

بعد يومين من هذه الرسالة كان مطاوع يجلس في القطار المتجه إلى القاهرة لمقابلة صديقه، المقيم في أحد الأحياء هناك..

غادر البيت في الصباح بدون أن يذكر شيئًا لأحد عن رحلته تلك....

بعد بضع ساعات كان يقف في شارع جانبي عريض أمام أحد البيوت المكون من طابقين، ضغط على زر بجانب الباب الحديدي ليسمع صوت رنين يدوي في الطابق الثاني..

وبعد ثوان فتح الباب ووجد قناوي يظهر من خلفه ليتعانقا بحنين كمن افترقا لسنوات..

أخذ قناوي بيدِ مطاوع وصعدا إلى الأعلى وهو يقول له:

*«ما رأيك في البيت، لقد اشتريته بمعظم ما كنت أملكه من مال..».*

ابتسم مطاوع ولم يقل شيئًا..

جلسا الاثنان في إحدى الغرف يتبادلانِ الترحيب، دخلت عليهم ميمونة تسير على أقدامها ببطء بدون مساعدة أحد، مما أثار دهشة مطاوع الذي قام وسلَّم عليها بحرارة شديدة، لسعادته بشفائها مما كانت فيه، لكن سرعان ما فهم أنها ما تزال تعاني من مشكلة النطق..

لم يمر وقت طويل حتى قام قناوي بتقديم أنواع من الطعام لضيافة صديقه الذي جاء من رحلة سفر مرهقة، لقد افتقد كلاهما ذلك منذ مدة ليست بالقصيرة..

بعد الغداء وأثناء تناول الشاي الساخن قال قناوي:

*«أقسم يا مطاوع أني لم أقتل ذلك الرجل وابنته، وأن كل هذا تدبير من شافع للتفريق بيننا..».*

قال مطاوع:

*«أعرف يا صديقي أنك لم تفعلها، ولكن حور رأت بعينيها شيئًا ما هذه الليلة، ولا أحد فينا يستطيع أن يشككها في ذلك، ولقد بدا هذا جليًا بعدما تزوجت بشافع..».*

لم ير مطاوع ملامح صدمة على وجه قناوي، لم يكن هناك سوى علامات الحزن فسأله:

*«كنت تعرف»؟*

أجابه قناوي قائلًا:

*«نعم علمت..».*

تعجب مطاوع من هذا وقال:

*«كيف علمت ولم يكن هناك زفاف»؟*

قال قناوي:

*«لقد وجدته مكتوبًا في صفحات ميمونة، وعندما سألتها، أشارت أنها لا تعلم شيئًا عن هذا، ولم تكتبه، لكني علمت بصدق ما كُتب، وهذا من أسباب إرسالي لك..».*

قال مطاوع:

*«وها أنا موجود بين يديك يا صديقي..».*

تحدث قناوي عن قلقه المتصاعد من شافع، وأنه يخطّط

لشيء ما لهم جميعًا بما فيهم حور وقال:

*«ألم تر كيف فرق بينها وبيننا، وهو الذي صرّح سابقًا أننا أقوى منه، وأنه علم أننا تابعون لملك قوي من الجن..».*

أومأ مطاوع برأسه وهو يفكر فيما يقوله قناوي، وكأنه قرأ ما في رأسه..

لقد تمكن قناوي من إقناع مطاوع أن شافعًا يمثِّل تهديدًا كبيرًا لهم، وبالأخص لحور، وإلا كيف يفعل كل ذلك ليصل إليها..

لقد تلاقت أفكارهما وقررا قتل شافع بحق عهد الدم الذي نقضه، حين قتل الرجل وابنته في ذاك اليوم..

قال مطاوع:

*«ولكن كيف سنقوم بذلك»؟*

وقف قناوي وغادر الغرفة ثم عاد وفي يده الكتاب، وقال:

*«عن طريق هذا..».*

ثم قام بفتح الكتاب على إحدى الصفحات وأشار إليها، وهو يقول..

*«بهذه الطريقة..».*

نظر مطاوع للصفحة المرسوم بها كائن شيطاني له جناحان حادان كالمقص، كُتب حوله بعض الكلمات والطلاسم وقال:

«*سيكون أثر هذا الأمر بشعًا على حور*»!

وتابع..

«*لا أتذكر أني رأيت شيئًا مثل هذا في كتابي..*».

قال قناوي:

«*لقد قرأت الكتاب عدة مرات، ولم تكن هذه التعويذة فيه، أظن أنها ظهرت حديثًا، بعد انتقالي إلى هنا..*».

قال له مطاوع:

«*لم أكن أعرف أن تعاويذ الكتاب تتبدل من تلقاء نفسها*»!

ثم تابع قائلًا:

«*هذا يعني أننا نستطيع قتله من هنا*»؟

صمت قليلًا وتابع:

«*لو كان الأمر كذلك ما دعاك للانتظار كل هذا الوقت، لماذا لم تفعل ذلك بنفسك..*»؟

أجابه قناوي قائلًا وهو يمسح بيده على وجهه ويأخذ نفسًا عميقًا:

*«لأني قرأت أيضًا، أن هذه التعويذة تحتاج إلى اثنين ممن يملكون الكتاب ذاته لتفعيلها..»*.

قال مطاوع شاردًا:

*«ينبغي عليّ إحضار كتابي إذن..»*.

بعد وقت قليل، غادر مطاوع منزل قناوي عائدًا إلى بلدته ليُحضر الكتاب، وكل ما يخصه في بيت الخالة نفيسة، وما جمعه من مال، بعد أن اتفق مع قناوي على ضرورة تأمين نفسه بهذه الخطوة..

ينظر من نافذة القطار بعد أن فتحها قليلًا، ليترك الهواء البارد يصطدم في وجهه، ترن في أذنه صوت العجلات على القضبان، شارد فيما هو مُقدم عليه، لا يعرف نتيجة قراره هذا بعد..

تارة يُريد أن يُعيد شملهم مرة أخرى، وتارة يرى لو أنه تركها كيفما اختارت، لكنه يعود ويتذكر حديث قناوي عن قتل شافع للرجل وابنته بعد أن انضم معهم لعهد الدم..

ثم أخذ يتوقع ما ستفعله حور إذا علمت أنهما وراء قتله..

لقد كان مجرد التفكير في الأمر يتسبب في اختناقه..

بقي مطاوع على تلك الحالة طوال الطريق..

وصل إلى البيت في وقت متأخر من الليل، وكما توقع لم يجد أحدًا في انتظاره، فحور وشافع لم يعودا إلى البيت منذ غادره..

جمع مطاوع كل متعلقاته والكثير من المال داخل حقيبة سفر كبيرة ووضعها تحت فراشه، بعد أن قرر النوم بضعة ساعات ليقوى على السفر مرة أخرى..

لكن قبل أن يفعل ذلك دخل إلى غرفة شافع وحور، وأخذ جلبابًا من خزانة ملابسه وصورته، أيقن أنه وقناوي سيحتاجان شيئًا منهما..

في صباح اليوم التالي استيقظ مطاوع على صوت قرع على باب البيت..

نظر إلى الساعة المعلقة على الحائط ليرى أن الساعة تجاوزت العاشرة صباحًا..

هبط إلى الأسفل وفتح الباب ليجد أمامه رجلًا في منتصف الخمسينات من عمره..

قال له مطاوع قبل أن يتفوه الرجل بكلمة:

*«عذرًا لن نستقبل حالات اليوم عُد إلينا غدًا..»*.

قال الرجل:

*«لكني أتيت من بلدةٍ بعيدة، وتركت من هم أفضل منك في قريتي لكيلا يتعرف عليَّ أحد فلا تَرُدني..».*

نظر مطاوع للرجل جيدًا بعدما شعر في حديثه ببعض الوقاحة فقال:

*«فقط جئت إلى هنا، لكيلا يتعرف عليك أحد»؟*

أعاد الرجل قوله أن نعم..

تحدث مطاوع إلى نفسه قائلًا:

*«عليك أن تُدخِل ذلك الأحمق وتقلب ما أراده عليه، لكي تُلقِنه درسًا جراء وقاحته..».*

حرك جسده من أمام الباب ليفسح طريقًا لدخول الرجل، وقال وعلى وجهه ابتسامة صفراء:

*«تفضل..».*

دخل الرجل وبات يقول لمطاوع عن طلبه..

كان يحكي وعلى ملامح مطاوع آثار ما يسمعه..

الرجل جاء لكي يعمل عملًا يلعن فيه ابنه ويصيبه بالمرض؛ لأنه يغار منه!

أخذ يسرد حكايته، أنه تزوج صغيرًا، ورُزق من زوجته

الأولى بطفلٍ، لكنه سرعان ما انفصل عنها، وبعد عدة سنوات تزوج مرة ثانية، وكوَّن أسرة جديدة، وكان له الكثير من الأولاد..

لكنه دائمًا ما كان يشعر بحاجز بينه وبين ابنه الذي هو من زوجته الأولى، كأنه كلما نظر إليه رأى فيه فشله السابق..

لكنه كان يتدارك ذلك بمعاملته بقسوة وعنف في صغره..

لكن الآن قد كبر، وأصبح ابنه شابًا يُشار إليه بالبنان..

شعر الرجل بالغيرة لذلك، لقد كان يأخذ كل مدح لابنه كأنه سُبةً فيه..

لهذا تمنى له السوء والمرض ويُريد سِحره..

لقد فعل له مطاوع ما طلب، لكن ليس على ابنه بل عليه..

بعد رحيل الرجل قام مطاوع بتغيير ملابسه وأخذ حقيبته، وغادر البلدة إلى القاهرة حيث بيت قناوي..

# 13

في المساء وصل مطاوع لبيت قناوي، وما إن وضع أغراضه حتى قال:

*«لنفعل ذلك الآن..».*

قال قناوي:

*«الأفضل أن تنال قسطًا من الراحة أولًا..».*

رفض ذلك قائلًا:

*«لا لنبدأ في الأمر..».*

كانت التاسعة مساءً حين دخل كلاهما إلى غرفة قد أعدَّها قناوي لهذا العمل، وكان قد قضى وقت انتظار عودة مطاوع في رسم النجمة المقلوبة والطلاسم حولها، ثم ملأ الغرفة بالشموع والبخور..

أغلق إضاءة الطابق بالكامل بعد أن تأكد من نوم ميمونة في غرفة بالطابق الأول لكيلا تشعر بشيء مما يحدث...

جلس كل منهما في مكانه بعد أن قام مطاوع بوضع جلباب وصورة شافع في منتصف النجمة، بعد أن قَرَآ أن هذا من شأنه التسريع في عملية التحضير، بدأ الاثنان في ترديد

التعويذة ليقوما بتحضير الجني الذي سَيُكلَّف بموت شافع..

على الجهة الأخرى هناك سيارة شافع، قد توقفت أمام البيت، ترجلت منها حور من خلف عجلة القيادة، نزل شافع من جانبها يقول مازحًا:

*«لقد أتقنت القيادة سريعًا، لا أعرف إن كان هذا ذكاء منكِ، أم أنها طريقتي السلسة في تعليمك»؟*

أجابته حور ضاحكة:

*«بالطبع ذكائي، لم تكن طريقتك أبدًا..».*

ضحك الاثنان وملامح السعادة تعتلي وجهيهما..

نظرا بتأمل للحظات في السماء الصافية، والنجوم اللامعة فيها، استنشقا بعضًا من الهواء النقي في راحة، ثم دخلا إلى البيت، نادت حور على أخيها التي لم تره منذ يومين وهي تصعد درجات السُلم، لكن سرعان ما عرفت أنه غير موجود بعدما فتحت باب غرفته ولم تجده، اكتفت بإلقاء نظرة على فراشه المرتب، ورحلت من أمام عتبة الباب، لقد خمنت خروجه لاستنشاق بعض الهواء أو لفعل شيء أخر، وأنه سوف يعود بعد قليل، لكنها كانت ستعرف الإجابة الصحيحة إذا دخلت إلى غرفته وفتحت خزانة ملابسه الخالية...

تعالت ضحكاتهما من داخل الغرفة وهما يتسامران حتى بكت أعينهما، لقد اكتشفت حور بعد زواجها من شافع أن خلف وجهه وملامحه الصلبة تلك، شخصًا آخر خفيف الظل يكاد يميتُها ضحكًا من أحاديثه..

لم تكن تعرف أن الحب قادر على تغيير كل شيء، وأنه لا قواعد فيه ولا ثبات، قادر على أن يجعل من الصلب ليّنا ومن الليّن ما هو شرس فتّاك....

نامت حور هذه الليلة تضم بيدها شافع بشدة، كأنها تُريد أن يمتزج جسداهما معًا، تريد أن تغرق فيه وتتعمق في كيانه، الذي أسرها منذ اللحظة الأولى، تتشبث به كتشبث شجرة بجذورها، في منتصف إعصار شديد تُصارع للبقاء...

بينما غط شافع في النوم بين دفء ذراعيها حالمًا بمستقبل مليء بالحب معها، شعر بغرابة عندما رأى نفسه يبكي داخل الحلم..

فالبكاء عند بعض الرجال عَيب وكأن الدموع قد خُلقت للنساء..

فهل يبكي الرجل في الحب؟

هل يصل لهذه الدرجة من الهشاشة عندما يحصل على حب حقيقي..

نعم ولم لا، فبعض الأرواح تذوب فيمن أخلص في حُبِها..

ولا تسمى هشاشةً أبدًا، فرقَّة القلب لا تتعارض مع قوته..

ولا تنقصُ من صلابة الرجال بل تُجملها..

قد تكون منبوذًا من الجميع، ولكنك تستغني عنهم بشخص واحد يُشعِرك ألا قيمة لحياته بدونك وألا وطن له إلا أنت..

في ساعة متأخرة من الليل شعر شافع ببعض القلق، يسمع صوتًا بداخله يُلح عليه أن يستيقظ..

يفتح عينيه بصعوبة ينظر بجانبه على حور فلا يجدها، فيزيد هذا من توتره وقلقه..

يُحاول أن يطرد الأفكار السيئة من رأسه ويتابع نومه، يتقلب على جنبه الآخر، لكنه لمح ما جعله ينتبه، حدّق بعينيه خلف الباب بعدما شعر بحركة هناك..

اطمأن في البداية، لكن سرعان ما ذهب عنه هذا الاطمئنان، ضربات قلبه تتزايد، يستمر في التحديق ليُطمئن نفسه أنها مجرد خيالات، وأن الغرفة ليس بها أحد سواهما..

لكنه رآه، بكتلته السوداء وعينيه اللامعتين المشتعلتينِ كالبركان خلفها..

لقد شعر بالبرد حينها، أَحَسَّ بجسده وأطرافه تتجمد، تمتم بكلمات سريعة عندما شعر بتنميل شفاهه واسترخائها..

يُحاول تحريك يديه أو قدميه لكنه لا يستطيع..

اتسعت عيناه وهو يرى اقتراب هذا الكيان منه، لا يعرف أين ذهب خادمه من الجن، فهو مسئول عن حمايته من تلك الكيانات أيضًا، توقف عن محاولة الحركة، استسلم وآخر ما يتمناه ألا تُؤذى حور، تمنى أن يكون هو الهدف الوحيد لهذا الكيان الواقف عند أقدامه.

لقد بدأ بالهذيان وتشوشت رؤيته..

رأى وكأنه امتزج فيها وأصبحا كيانًا واحدًا..

شعر ببرودة شديدة عند قدميه بدأت بأطرافه، ثم إلى ساقه ففخذه، يرى هذا الكيان وهو يزحف على جسده، حتى أصبح فوقه تمامًا، تتغير هيئته من حين لآخر أمام أنظاره المندهشة مما يرى، لا حركة تستجيب ولا صراخ يُسمع.

بدأ شافع يتألم وهو ينظر على الشقوق التي تمزق صدره وما يرتديه، خدوش بسكاكين طويلة حادة، تمزق صدره ببطء من أسفل رقبته إلى نهاية النصف العلوي من جسده محدثةً شقوق غائرة..

أخاديد تنهمر منها دماء شافع في ألم صامت، تكاد تنفجر عيناه ورأسه من كتمانه..

كل ذلك يحدث ولا يشعر به سواه، كأنه معزول في عالم الجحيم هذا بمفرده..

لفظ أنفاسه الأخيرة وفي عينيه الكثير من الأسئلة التي لن يسمع لها إجابة، كيف يموت بهذه الطريقة وعلى يدِ مَن؟!

***

لقد ذابت الشموع من حولهم وخف لهيبها، ما زالا يُتمتمانِ بكلمات غير مفهومة بلا هوادة، يتصبب من رأسيهما العرق حتى توقفا بغتة، حدقت عيناهما واتسعتا، ينظران إلى الفراغ أمامهم، والذي بدأ يتضح شيئًا فشيئًا إلى أن ظهر شافع على فراشه مجوف الصدر، قد اختلط قلبه مع أحشائه، راقدًا على بركة من الدماء، بجانبه الكيان الذي كلفوه بذلك، ثم اختفى كل شيء..

انتهت الجلسة وانتهت معها طاقة كل منهما، همَّ مطاوع بالخروج من الغرفة، فأوقفه قناوي قائلًا:

«*انتظر، لدينا شيء هام علينا فعله*»!

قال مطاوع متسائلًا:

*«ماذا بعد»؟*

أجابه قناوي قائلًا:

*«في عالم الإنس نحن بعيدون بمسافة كافية عن حور، ووجودنا في هذا المكان المزدحم يصعِّب أمر وصولها إلينا».*

أومأ له مطاوع برأسه ولسان حاله يقول: إذن أين المشكلة؟

تابع قناوي قائلًا:

*«لكن تلك الصعوبة ستزول إذا استعانت حور بالجن، من الممكن أن تستعين بناصور نفسه، وفي هذه الحالة لن تأخذ وقتًا طويلًا حتى تعثر علينا، وتقتلنا بقتل شافع».*

تجهَّم وجه مطاوع وتبخَّر الريق في حلقه وقال بنبرة قلقة:

*«وما العمل الآن؟ أما كنت تعرف هذا قبل أن نفعل»؟*

قال قناوي بهدوء وثقة:

*«هناك تعويذة؛ إذا فعلناها ستؤمِّن حمايتنا من جانب الجن، فالجن لن يستطيع الوصول لنا، إلا عن طريق قرين كل منا، هذه التعويذة ستكون الجدار العازل بين قرنائنا من الجن وباقي جنسهم، فمهما حاول أحد ما العثور علينا لن يستطيع».*

قال مطاوع بوجه شبه متفائل:

«حتى *ناصور*»؟

قال قناوي:

«حتى *هذا*».

قال مطاوع بحماس.

«*لنفعلها الآن إذن*».

قال قناوي:

«*لقد جهزت ما سنحتاجه منذ الصباح، والآن عليك أن تفعل ما سأقوله لك بدون نقاش*».

كان على قناوي تحذير مطاوع من الوقوع في أية أخطاء تفسد عمل هذه التعويذة، لا سيما وأنها تعود إلى الملك دنهش، أقوى أبناء إبليس، قدرته تضعف على قوة ناصور، لذلك لن يصل أحد إليهما إذا فعلاها..

طلب قناوي من مطاوع خلع ملابسه، وخرج من الغرفة وعاد سريعًا وهو يحمل فتاة لم تبلغ الرابعة عشر من عمرها..

فتاة بيضاء شعرها أسود لامع كالليل، عارية مقيدة اليدين والقدمين، جسد أنثوي رغم ضآلته ترتجف من الخوف،

غُميت عيناها، وكُمِّم فوها بقطعة قماش، استنكر مطاوع هذا، وكاد أن يتحدث قبل أن يشير له قناوي بالصمت..

أوقفها في ركن الغرفة وأخذ يتجرد هو الآخر من ثيابه..

أغلق إضاءة الغرفة بالكامل حتى الشموع، وأخذ يردد طلاسم التعويذة بمفرده حتى شعروا بحضور أطياف كثيرة حولهم..

مطاوع كان يسمع صوت تخبط أقدامه وأسنانه في بعضهما..

قناوي لم يتوقف عن ترديد الطلاسم..

بدأ يسمع الاثنان صوت صُراخٍ مكتوم من الفتاة، وبكاء يُثير الجنون، دعاهم لغلق آذانهما بأيديهما، ودعتهم حركة الأطياف أن يغمضوا أعينهما كذلك..

ظلوا على هذا الحال لدقائق حتى توقف صوت الفتاة، فتحوا أعينهم ليروا أن حركة الأطياف في الظلام قد هدأت..

تحرك قناوي لمفتاح الكهرباء في حذر ليضيء الغرفة، وعينه تراقب الركن المتواجدة فيه الفتاة، ليرى طيفًا يختفي من أمامها..

رجل أسود يرتدي جلبابًا وعمة على رأسه لم يميز ألوانهما،

ذو عينين محمرتين كبئرين دماء ولسان طويل بحجم ذراع، يلحس الفتاة الممدة على الأرض من أسفلها لأعلاها، نظر لقناوي بغضب لتشغيله الإضاءة، في يده اليسرى ما يشبه الصليب..

قام مطاوع الساقط على ركبتيه إلى الفتاة، وتبعه قناوي ليجدا أنها مكشوفة العينين والفم، ولكن عيناها مُنطفئة ذابلة مصدومة، لا يخرج لها صوت عدا أنفاسها، على جسدها علامات أيدٍ كثيرة وخدوش أظافر عميقة، حملها قناوي بعد تردد وخوف من الاقتراب منها، لكنها لم تبد أي ردة فعل، كانت ساكنة كالقبور.....

ارتدى كل منهما ملابسه..

قال مطاوع:

*«من هذه الفتاة؟ وما الذي فُعل بها»؟*

أجابه قناوي قائلًا:

*«هذه إحدى فتيات الشوارع، لقد رأيت منهم الكثير منذ أن جئت إلى هنا، وعندما وجدت أن التعويذة ستحتاج فتاة بأوصاف معينة، ذهبت في الصباح وأحضرتها».*

وتابع قائلًا:

*«الصعب الآن هو كيف أعود بها من حيث أخذتها وهي على هذه الحالة، لا أعرف إن كانت ستنجو بعد ما حدث أو ستموت».*

ذهبا الاثنان معًا بعد أن وضعا الفتاة بين الكراسي الخلفية للسيارة، وألقيا بها في بقعة خالية من الطريق لكيلا يعثر عليها أحد بعد رحيلهم.

عادا إلى المنزل مرة أخرى، وقد استنفذا كل طاقتهما في هذه الليلة الطويلة، المليئة بالأحداث..

دخل كل واحد إلى غرفته، ليستلقيا على فراشهما كقتيلين من شدة الإرهاق....

***

أشرقت الشمس وتسلل شعاعها من النافذة على وجه حور، أحست بدفئها، فاستيقظت والابتسامة تعلو ملامحها، تسترجع في رأسها ما حدث بينها وبين شافع الليلة الماضية، والسعادة التي يشعران بها..

نظرت إليه بحب، على عينيه المغمضتين في صرامة ورجولة كاملتين..

حرَّكت يدها من تحت الغطاء لتلفُّها حوله وتضع رأسها على

صدره..

لكن سرعان ما تجمدت هذه الملامح كلها، تحولت النظرات السعيدة إلى نظرات من الفزع والذعر، تبدل كل شيء في لحظة كبرق أصاب بحيرة صافية فعكر صفاها وصعق الحياةَ فيها..

سحبت يدها في بطء ووضعتها أمام عينيها بعدما أغلقتها، تُمني نفسها بأن يكون عليها أي شيء آخر إلا هذا.

ما إن فتحت عينيها إلا ورأت كلتا يديها مخضبتين بالدماء، نزعت الغطاء بلهفة وخوف على شافع، الذي لم يعد حيًّا بعد، ارتعدت من منظر جسده، وارتعبت من شكل يديها وملابسها المخضبتينِ بالدماء، لا تعرف كيف وصل كل هذا الدمُ إليها، نظرت إلى تجويف صدره وشعرت أنه بداخلها، ضمته إلى صدرها رغم ذلك، أخذت تتمتم قليلًا في هدوء وخوف، عندما أفاقت من صدمتها كاد أن يسمع صوت صُراخِها كل بيت في البلدة..

ذهبت إلى غرفة أخيها تصرخ منادية عليه، لكن وجدتها خالية..

تملك الدوار منها، تشعر بالغثيان، فارغة من الداخل، كأن قلبها انتُزِع من مكانه..

ظلت على تلك الحالة إلى الليل، تصرخ وتنوح وتبكي وجثة شافع بين يديها..

صرخت حتى اختفى صوتها، وبكت حتى جفت الدموع..

لم تجد أحدًا بجانبها في هذا الوقت، وكان عليها أن تفعل كل شيء بمفردها..

وحيدة تائهة لا تعرف ما عليها فعله، لا تعرف لمن عليها الالتجاء وطلب المساعدة..

قررت أن تدفنه سرًّا في مقابر بلدته..

حملته إلى السيارة بصعوبة، تبكي رغم ما تدعيه من صلابة..

وحيدة تشق طريقها في جنح الظلام لتدفن قطعةً منها، حبيبها الذي كان بجانبها منذ ساعات قليلة..

الرجل الذي ما إن رأته في المرة الأولى، حتى شعرت أنها تعرفه منذ سنوات، وأنها قابلته في عالم قبل هذا، تعرَّفت عليه روحها قبل أن تفعل هي..

لكنها الآن ذاهبة لدفنه، بدون أن تعرف مَن فعل هذا به..

طلبت مساعدة ساكني القبور من غير البشر أول ما وصلت، طلبت طاعتهم بقوة الكتاب فأطاعوها..

حُفِر القبر في ثوانٍ، وألقي فيه شافع بدون غُسل ولا كفن..

فكرت جليًا أن تنزل معه إلى القبر ويُدفَنَا معًا وتكون النهاية..

لكنها تراجعت، أرادت أن تنتقم ممن فعل ذلك بهما..

عادت إلى البيت لا تعرف ما عليها فعله، دخلت غرفة أخيها، كان الفراش ما زال على حالته، تقدمت للداخل ووقفت أمام خزانة ملابسه وفتحتها، كانت خالية تمامًا، لا تعرف كيف يتخلى عنها ويرحل بهذه السهولة بدون إخبارها..

ذهبت إلى بيتهم القديم داخل البلدة ولم تجده، حتى أنها بحثت في بيت قناوي وميمونة، ولكن دون جدوى..

انتظرت طويلًا عودته لكنه لم يعد، تيقنت أنه رحل وتركها بعدما أهملته وانشغلت بشافع عنه..

وربما أثر رحيل قناوي عليه، لم تعد تعرف أي شيء..

لقد وجدت نفسها وحيدة بين ليلةٍ وضحاها..

لا عزاء، لا أقارب، لا مواساة..

لقد تركها الجميع تتألم وتحزن بمفردها، وحيدة بائسة بين أربعة جدران، كأنه لا يوجد فرق كبير بين القبور تحت الأرض

والقبور فوقها..

مرت أيام كثيرة، آملة عودة مطاوع ليخفف عنها ما تعانيه، ويساعدها في البحث عن الفاعل، لكنه لم يعد..

انغمست في الحزن ولم تعد تشعر بالوقت..

قررت استخدام الكتاب لكي تطلب مساعدة ملك الجن وملِكها ناصور بن إبليس في البحث عن القاتل والانتقام منه، لكنه لم يكن يحضر، مهما فعلت لاستدعائه، وبدا هذا الأمر غريبًا، فهذه المرة الأولى التي تستدعيه لمساعدتها..

وهو من قال لهم سابقًا:

*«أنا ناصور بن إبليس، من الآن أنتم تابعون لي، وبنو جنسي وعشيرتي تابعون لكم، فإذا اشتد عليكم أمر استدعوني واذكروا علو شأني عليكم، أحضر أمامكم وألبي لكم ما تشاءون».*

لقد فعلت كل ذلك وأكثر ولم يحضر، ولا ترى شيئًا أشد مما تعانيه الآن لاستدعائه، لكنها ما زالت تحاول، ولم تيأس..

# 14

بثياب رثة بالية تكسو جسدًا ذا رائحة كريهة لم تلامسه ماء منذ أيام، عاشت حور في حالة انعزال عن العالم، لا تخرج كثيرًا من الغرفة الخالية إلا لإحضار مزيد من الشموع والبخور، ما زالت تحاول العثور على قاتل شافع..

في الساعات الأخيرة من الليل، صعدت الى غرفتها بعدما شعرت أنها على وشك فقدان وعيها، فهي لم تأكل منذ أيام..

حملت جسدها الثقيل وصعدت درجات السلم في صعوبة، تتوقف عند كل درجتين لتستعيد عافيتها لتجاوز درجتين أخريين، إلى أن وصلت غرفتها..

استلقيت على الفراش بهدوء، تنظر إلى مكان آثار بقعة الدماء وتتحدث قائلة:

*«لن أترك مَن فعلها ما دمت أتنفس، أعدك بذلك يا شافع، أعدك بذلك يا حبيبي..».*

غفت عيناها قليلًا، ثم شعرت بأنفاس حارة بجانبها..

فتحت عينيها لترى خالتها نفيسة!

انتفضت في فزع مبتعدة عن السرير..

وقبل أن تتحدث معها تحركت إلى الباب وقالت:

«*تعالي يا حور.. تعالي معي*...».

تحركت حور في خوف خلفها..

لم يوقفها رؤية جسد خالتها التي توارى سريعًا داخل الجدار..

هبطت بعدها على السلم، رأتها تتجه نحو مدخل القبو..

فذهبت وراءها مسرعة، اندهشت حين بدا أمامها الباب الخشبي وكأنه فُتح منذ مدة قصيرة، فلم يكن محكم الإغلاق كالسابق، نزلت إلى الأسفل بعد أن أمسكت في يدها بعضًا من الشموع المخزنة عند المدخل..

اتجهت إلى غرفة الهيكل العظمي، أثار القلق والخوف داخلها عندما وجدت بجانبه سكينتين عليهما آثار دماء جافة، وضعت الشموع جانبًا والتقطت السكينتين وهي تحدق فيهما، وتنظر إلى الهيكل، لقد جاء في رأسها أن خالتها من قامت بقتل شافع بطريقة ما باستخدام هاتين السكينتين، لم تعط لنفسها وقتًا للتفكير، اهتاجت صارخة، تنظر حولها هنا وهناك، حتى أمسكت بقطعة حديدية وأخذت تضرب الهيكل العظمي قائلة:

*«لِمَ فعلتِ ذلك؟*

*لماذا قتلته؟*

*ماذا فعل لكِ»؟*

*حتى تهشم بأكمله».*

كانت في حالة هياج شديد، حتى كادت أن تؤذي نفسها..

لم يوقفها سوى صوت قادم من ركنٍ مظلم خلفها يقول:

*«ليست الفاعلة»!*

التفتت حور في فزع إلى مصدر الصوت!

لتراه يخرُج من الظلام ويُظهر جسده الرمادي الأملس شيئًا فشيئًا حتى عرفته..

كان الجني قُزح خادم شافع فقالت:

*«من الذي فعلها إذن»؟*

أجابها قائلًا:

*«لن أقدر على البوح لكِ بكل ما أعرف وإلا سيتم حرقي، ما أستطيع قوله أن من قتل شافع قد قتله بأمر من مَلِك من أبناءِ سيدنا اسمه ناصور، لا أحد قادر على أن يعصيه أو يقف أمام رغباته».*

صعقت حور جراء ما سمعته، صعقة نابعة من معرفتها بمن يكون ناصور، فقد رأته بعينيها ذات مرة..

لكن الأشد وقعًا عليها حين أخبرها قُزح أن من قام باستخدام تلك التعويذة اثنان أقوياء، يحملانِ كتابًا مميزًا، لا يحمله الكثير من البشر، كتابًا مصنوعًا في عالم الجن، لم تصدق حور ما ذهب له عقلها، لكن حديث الجني قزح أكد صحة ما ذهب إليه عقلها، حين قال:

*«أخوكِ مطاوع وصديقه قناوي هما مَن دبَّرا لهذا كله، لقتل سيدي شافع وإنه قُتل على يد...»؟!*

صمت الجني ثم قال:

*«يبدو أني أسهبتُ في حديثي، وكدت أتجاوز المسموح لي بنطقه، عليكِ أن تعلمِ ما حدث بمفردك..».*

وقبل أن يرحل قال:

*«هذا الظهور الأخير لي في عالمكم، فقد اتخذت عهدًا ألا أخدم أحدًا من الإنس بعد سيدي شافع، اذهبي إلى القاهرة، إذا أردتِ فإن انتقامك هناك...».*

في ساعة متأخرة من الليل قام قناوي من فراشه يتحسس طريقه إلى الحمام، انتبه في طريق عودته إلى صوت يخرج

من غرفة ميمونة، أكمل في طريقه لغرفته لكن شيء ما منعه من ذلك قبل أن يطمئن على أخته..

اتجه إلى غرفتها وفتح الباب بهدوء حتى هاله ما رأى..

تجمد واقفًا عند الباب وهو يرى خيال أخته جالسة على فراشها في الظلام، فتح الإضاءة سريعًا ليجد ميمونة تكتب بسرعة كبيرة في الكراسة التي تتحدث من خلالها..

أثار خوفه واندهاشه رؤية ميمونة تكتب وعيناها مغلقتان..

اقترب منها بحذر لكي يقرأ ما تكتبه..

حركة يدها سريعة إلى حد غير طبيعي..

صُعق قناوي حين وجد أنها تكتب جملة واحدة وتكررها في كل مكان..

الجملة كانت..

«*تعلم أنكم قتلة، قادمة للانتقام..*».

تعلم أنكم قتلة، قادمة للانتقام..

تعلم أنكم قتلة، قادمة للانتقام..

قدما قناوي لم تعد قادرة على حمله، يقف بجانب ميمونة ينظر في فزع إلى ما تكتبه..

لقد همس بصوت خافت مناديًا عليها..

*«ميمونة..».*

*«ميمونة استيقظي..».*

استمر في مناداته حتى استيقظت، توقفت عن الكتابة وسقط القلم من يدها..

تحدث معها..

*«أنتِ بخير.. ما الذي كنتِ تفعليه الآن»؟*

وضع قناوي القلم في يدها مرة أخرى والكراس أمامها على صفحة جديدة وقال:

*«ما الذي كنتِ تكتبينه منذ قليل»؟*

كتبت..

*«لا أعرف، لكني رأيت شيئا آخر..»*

ثم تابعت كاتبة:

*«لقد كنت أحلم أني هناك، في بيت الخالة نفيسة في القبو..*

*رأيت حور غاضبة تمسك قطعة من الحديد وتحطم عظامها».*

كان قناوي يقرأ خلفها باهتمام..

*«رأيت خادم شافع يقول لها أنكما قتلتماه عن طريق السحر، وحث حور على الانتقام وقال لها على مكانكما..».*

شدت ميمونة خطًّا بعرض الصفحة تحت ما كتبته وكتبت تحته..

*«هل هذا صحيح»؟*

قال قناوي:

*«لقد كان هذا انتقامي منه جراء ما فعله بنا..».*

كتبت ميمونة..

*«ولكنك أخذت أمامنا عهدًا بعدم استخدام تلك القوة في القتل..».*

غضب قناوي على أخته وعلا صوته قائلًا:

*«لقد هدم كل ما حلمت به وسعيت من أجله، لقد أخذ مني حور، واتهمني بالقتل كذبًا، أبعدني عنها وفرَّقنا، لقد استحق ذلك الجزاء..».*

غادر قناوي غرفة أخته غاضبًا متجهًا إلى غرفته.

في صباح اليوم التالي هبط قناوي إلى الطابق الأول حيث

يستضيف مطاوعًا منذ ذلك اليوم..

أخبره بمعرفة حور أنهم وراء مقتل شافع، وأنها ستسعى للانتقام منهما، وعليهم الآن عدم الاعتماد على حماية دنهش لهما، فمن يدري ما سوف تقدر حور على فعله.

رحل مطاوع من بيت قناوي بعدما اتفق كلاهما على ذلك..

لم يقدر على العودة لأخته بعدما قتل زوجها، خاف من عدم القدرة على التصنُّع أمامها بأنه ليس له علاقة بما حدث، كان يخاف أن تعرف بطريقة ما، إذا ما طلبت مساعدته في البحث عمن فعلها، لذلك قرر البقاء في القاهرة المدينة المكتظة بالناس، التي يصعب العثور على أحد فيها.

كان يخاف أن يحدث كل ذلك، وبعد ما سمعه اليوم من قناوي تأكد أن خوفه كان في محله.

اتخذ مطاوع بيتًا في مدينة أخرى بجانب قناوي على الرغم من طلب الأخير منه الابتعاد عنه بقدر الإمكان، لكي يصعب الوصول لهما، كان يقصد بذلك محافظة أخرى، لكن مطاوع فضَّل عدم الابتعاد؛ لأن ذلك يشعره بالاطمئنان أكثر ليس خوفًا هذه المرة، بل حبًا في صديقه وحب القرب منه..

كان ذلك ما في نفس قناوي، فقد كان يراقبه منذ خروجه ليعرف مكانه الجديد، بعدما شعر أنه لن يبتعد كثيرًا، وهذا ما

حدث...

***

في حركة بطيئة جمعت ميمونة بعض ملابسها ومبلغًا من المال، وغادرت بيت أخيها بعد أن تركت له رسالة تحثه فيها أن يكمل حياته بدون البحث عنها، وأنها اختارت أن تبتعد عن هذه الحياة والاكتفاء بما جنته منها، رحلت ميمونة عن البيت إلى وجهة لم تعرفها بعد، إلى عنوان مجهول، كل ما يجول في خاطرها، الهروب من لعنة ذلك الشيطان، تُريد أن تتخلص من خطأ اختيارات الماضي القريب، وتركن في عزلة، لعلها تستطيع التحرر والرجوع وطلب الغفران.

جُنّ جنون قناوي عندما عاد إلى البيت ولم يجد أخته، يعيد قراءة رسالتها أكثر من مرة لعلها تبوح له بوجهتها..

ينزل إلى الشوارع كالتائه، تزيغ عيناه هنا وهناك على أمل العثورِ عليها، يسأل أصحاب الأكشاك وحارسي العقارات، لم يترك مكانًا إلا وبحث فيه، ولم يترك مارًّا في تلك الشوارع إلى وسأله عنها..

عندما جَنّ عليه الليل دلف إلى أحد نقاط الشرطة وأبلغ عن اختفاء أخته التي تعاني من صدمة عقلية، في محاولة بائسة منه للعثور عليها.

على الجهة الأخرى كانت ميمونة تجوب الشوارع طويلًا حتى وجدت نفسها أمام محطة القطار.

دخلتها ومن ثَم صعدت إلى أحد القطارات التي لا تعرف وجهتها بعد...

سمعت أحد الأشخاص يقف على الباب ويسأل مَن بداخله قائلًا:

*«هل هذا القطار المتجه إلى الفيوم..»؟*

أجابه بعض الركاب في وقت واحد أن نعم..

علمت ميمونة وجهتها لأول مرة منذ أن غادرت بيت أخيها..

بعد عدة ساعات توقف القطار في محطته الأخيرة، وكان الليل قد أوشك على منتصفه..

لم تعرف إلى أين تتجه في هذا الوقت، ورأت أن الأفضل لها البقاء داخل المحطة هذه الليلة..

في الصباح الباكر فتحت عينيها بعد أن لسعتها نسائم الهواء الباردة، لقد قضت ليلة صعبة بين خوفها وقلقها من جانب، وأصوات القطارات التي كانت تُفزعها طوال الليل من جانب آخر..

عندما أفاقت وتحسنت رؤيتها الضبابية رأت سيدة تجلس على الرصيف الآخر، أمامها إناء كبير مليء بقطع الجبن البيضاء، وبجانبه كيس آخر تلمع منه حلقات الفطير..

شعرت ميمونة فور رؤيته بالجوع والعطش معًا..

تحسست بيدها على كيس نقودها وذهبت إلى السيدة لكي تبيعها شيئًا لتأكله..

باعتها السيدة هِدية كما يناديها الزبائن ما أرادت وأكلت حتى امتلأت معدتها..

ظلت ميمونة جالسة بجوار السيدة بعدما بدا لها من معاملتها الحسنة، كما انجذبت السيدة هِدية لميمونة بطريقة ما، بعد أن انتهى عملها سألت ميمونة إذا كانت منتظرة لقطار أو أحد فأومأت ميمونة برأسها نفيًا.

أبت السيدة هِدية تركها بمفردها في المحطة خوفًا أن يتعرَّض لها أحد بأذى، فدعتها للذهاب معها إلى بيتها مُرحِبةً بها، ذهبت معها ميمونة في خجل.

خرجتا من المحطة وركبتا في صندوق إحدى السيارات، التي أنزلتهما داخل قرية تبدو فقيرة من بيوتها التي كان معظمها من الطوب اللبن (الطيني).

توقفت السيدة أمام أحد الأبواب وطرقته فخرجت سيدة أخرى مرحبةً بهما.

دعتها للدخول هي وضيفتها، شكرتها السيدة، ثم أخرجت كيس النقود من صَدرِها وأعطتها بعض المال وهي تقول:

*«لقد بيعت جبنتك اليوم بالكامل، عليكِ تجهيز إناء مثله في الصباح».*

أخذت صانعة الجبن المال في فرح وبشرى ووعدتها بتجهيز ما طلبت.

أكملت السيدة طريقها ومعها ميمونة التي تحمل حقيبتها في حياء خلفها، إلى أن توقفت السيدة أمام أحد الأبواب الخشبية القديمة، دعت ميمونة للدخول، أخبرتها أنها تعيش بمفردها لكي تطمئن، وأن تعتبر هذا البيت ملكها أيضًا.

وسط بيت ضيق بعض الشيء، به فرن طيني بجانبه حِزَم من البوص وقوالح الذرة وبعض الحطب، في الجهة المقابلة يوجد زير مياه فخاري مثبت على قاعدة حديدية غطت فوهته بقطعة خشب دائرية لها مقبض، عليها كأس من الألومنيوم للشرب.

فتحت السيدة باب غرفتها وتحدثت لميمونة قائلة:

*«ستنامين هنا معي على هذا السرير، فهو كبير وسيسع كلانا، لا تخجلي مني فأنا في مقام والدتك، وإن أردت ابتعت لك سريرًا آخر لهذه الغرفة».*

قالتها وهي تشير بيدها على باب غرفة ثانية.

لم تعترض ميمونة على المكوث معها في ذات الغرفة، لقد اطمأنت للسيدة، خاصة بعدما لم تسألها عن حياتها الماضية.

مرت الأيام، شعرت فيها ميمونة باهتمام الأم من معاملة السيدة هِدية وحسن معاملتها، وقد بدأت تُساعدها وتتعلم منها كيفية صنع الفطائر، وتخرج معها للبيع..

أما قناوي فبدأ يستسلم مع مرور الوقت، بعد أن قام بعمل أكثر من جلسة تحضير على ثياب أخته لكي يستدل على مكانها بمساعدة الجن، لكن دائمًا شيء ما كان يحول بينه وبين الوصول إليها..

# 15

تعالت أنفاس حور اللاهثة، تهلوس بكلمات غير مفهومة، يتصبب جسدها عرقًا، كمَن صُلبت على سفح جبلٍ تحت أشعة شمسٍ حارقة بلا طعام ولا ماء، قد أوشكت على الموت، واقفة أمام بيت مشتعل، تتأجج منه ألسنة النيران في غضب لم تر مثله من قبل، تُريد أن تبتعد لكن قدماها تأبى، جامدة في مكانها لا تتحرك، مجبرة على الرؤية..

يُزعجها أصوات الصُراخ القادمة من الداخل، تتساءل عن تلك المرأة الواقفة خلف إحدى النوافذ، تنظر إليها في هدوء تام غير مبالية بالنيران حولها، بينما يرتجف داخل حور من سماع أصوات زمزمة اللهب وأجيج النار التي تأكل جدران البيت ليتساقط جدارًا تلو الأخر، تعود بنظرها إلى نافذة المرأة لكن لم تجدها، وما إن رمشت حتى وجدتها أمامها بجسد مشتعل تصرخ في وجهها قائلة....

حوووووور...

استيقظت حور في فزع تمسح العرق على جبينها، تتحسس بيدها على إناء الماء لتروي ظمأها، تشعر بحرارة جسدها كأنها وقفت أمام النار طويلًا بحق..

نظرت إلى الساعة التي أشارت إلى السادسة صباحًا،

فقامت إلى الحمام لتجعل المياه الباردة تنساب على جسدها لكي تخفف من حرارته..

بعد مرور حوالي ساعتين أو أكثر سمعت صوت طرق على باب البيت طرقات عشوائية تنهال بغزارة..

ارتدت عباءتها ولفت إيشارب على رأسها، ثم هبطت لترى من الطارق..

وجدت أمام الباب فتى يرتدي جلبابًا رماديًا مهترئًا، يلهث كمن جرى دهرًا فسألته قائلة:

*«ماذا تريد؟ لِمَ كل هذه الجلبة»؟*

تقلص فمه وأصابه بعض الاعوجاج كأنه يجد صعوبة في نطق ما يريد قوله، ثم بعد صبر قال متهتهًا:

*«إ إ إنهم قادمون إليكِ، ل ل لقد قال لهم ا ا الرجل أ أنكِ الفاعلة»!*

لم تفهم حور ما يريد الفتى قوله:

تابع قائلًا:

*«تت ت تلك السيدة التي أ أنقذتي ر رضيعها م من الموت..».*

أومأت حور برأسها ليتابع.. فقال:

*«ل ل لقد إ إحترق البيت ب ب بهما قبل سس ساعات قليلة، و و وسمعت زوجها ي يخبر رجال ا ا القرية أ أنكِ من جلبتي ل ل لعنة الجن ل لبيته..».*

بدا على وجه حور ما سمعت من الفتى، وأدركت أنها لن تستطيع الوقوف بمفردها أمام كل رجال القرية..

أغلقت الباب في وجه الفتى وصعدت سريعًا إلى أعلى..

جمعت ملابسها ووضعت الكتاب بينها، ثم حملت الحقيبة إلى السيارة..

كان الفتى ما زال واقفًا أمام البيت ينظر إليها..

عادت مرة أخرى للداخل فتحت باب القبو على عجل وأخرجت منه حقيبة أخرى حملتها بصعوبة، كانت مليئة بالكثير من الأموال التي كسبتها من عملها مع ما تركه شافع بعد موته..

هرع إليها الفتى عندما رآها ليساعدها على حمل الحقيبة ووضعها داخل السيارة..

حرصت على إغلاق باب البيت، وصعدت إلى السيارة، أوقفها الفتى وتوسّل كثيرًا لكي تأخذه معها ليخدمها..

أخبرها أن اسمه راشد يتيم الأبوين وأهل القرية يعاملونه بسوء دائمًا، ولن يلاحظ أحدًا غيابه..

تردَّدت حور في البداية، لكنها وافقت..

صعد الفتى ذو السبعة عشر عامًا إلى السيارة، واتجها إلى محطة القطار سويًّا، لتذهب حور إلى المكان التي كانت ستذهب إليه قريبًا على كل حال..

إلى القاهرة حيث المكان الذي ستبحث فيه عن انتقامها لموت شافع..

صفت سيارتها في مكان بقرب المحطة، وودعتها بنظرات متأثرة، فلم تكن تمتلك المهارة الكافية للسفر بها بعد، كما لم تمتلك الأوراق اللازمة لتفعل..

دخلت في حذر لتجلس في مكان بعيد عن الأنظار في انتظار القطار المتوجه إلى القاهرة..

لم تنتظر طويلًا حتى أتى القطار على الرصيف الآخر، فأسرعت إليه وخلفها الفتى راشد يحمل الحقائب..

ظلت حور في توتر إلى أن تحرك القطار وبدأ رحلته وكذلك رحلتها...

تجلس واضعةً يدها على الحقيبة بجانبها تنظر إلى راشد

الجالس أمامها، وقد تعلّق بنافذة القطار يراقب البيوت والحقول الخضراء التي تسير باتجاه عكسي مثل الأطفال، يمد كف يده إلى الخارج ليصطدم بها الهواء في سعادة...

رغم جسده الكبير وملامح وجهه الناضجة، إلا أنه ما يزال يحتفظ ببعض الطفولة بداخله على ما يبدو..

لا تعرف لماذا وافقت على اصطحابه معها، فهل كان ذلك بداعي العطف أم الخوف من فكرة المكوث بمفردها في بلد آخر بين أُناس غريبة..

بعد عدة ساعات وصلت حور وفتاها إلى القاهرة، المدينة التي أدهشتهم بازدحامها، يتدافع المارة بعضهم ببعض، لا أحد يرى من بجانبه، الضوضاء في كل مكان، أصوات الأشخاص، السيارات ومنبهاتها، أمر لم يعتداه من قبل..

صاحت حور في راشد ليحمل إحدى الحقائب، بينما حملت هي الأخرى، جعلته يمشي أمامها لكيلا يضيع أحدهما من الآخر..

كان الوضع أكثر ازدحامًا خارج المحطة..

توقف كلاهما حينما اقترب منهما أحد الأشخاص قائلًا:

*«تاكس..»؟*

وقفا الاثنان صامتين لا يفهما أن الرجل يعرض عليهم خدماته بإيصالهما بسيارته إلى المكان الذي يريدونه..

استشف السائق ذلك بذكائه الحاد، وأعاد القول وهو يشير بيديه إلى سيارته..

«*تريدون سيارة*»؟

قالت حور وهي تومئ برأسها علامة على معرفة ما يقوله الرجل:

«*نعم..*».

حمل السائق من يدها الحقيبة في خفة، وذهب بهما إلى سيارته، ففتح صندوقها الخلفي ووضع الحقيبتين فيها، صعدت حور وراشد وانطلق السائق بهما إلى خارج ميدان المحطة، قبل أن يسألهم عن المكان الذي يقصدونه..

أخبرت حور السائق أنها تبحث عن بيت لتسكن فيه فقال:

«*تريدينه للشراء أم الإيجار..*».

أجابته حور:

«*للشراء..*».

قال السائق:

*«لا يوجد هنا الكثير من البيوت لكن لو أردت سنعثر لكِ على شقة بسهولة، لكن سيكون السعر مرتفعًا..».*

قالت له:

*«من الأفضل لو ساعدتنا على العثور على بيت..».*

ابتسم السائق وقال:

*«حسنًا كما تشائين..».*

انطلق بهما وظل معهما يتنقل من حارس عقار لآخر، ومن سمسار لآخر حتى وجدوا بيتًا كبيرًا من طابقين داخل أحد الشوارع البعيدة نسبيًا عن الازدحام، وبذلك تكون حور استقرت بحي السيدة زينب في جنوب القاهرة..

أثار دهشتهم تميز الحي بالعقارات والمساجد الأثرية، وتنوع فئات المجتمع التي تسكن فيه، بين طبقات غنية ومتوسطة وفقيرة..

مرت الأيام وأخذت حور على التعود شيئًا فشيئًا على بيتها الجديد يومًا بعد يوم، تجلس بمفردها في الطابق الثاني، بينما راشد يقيم في غرفة بالطابق الأرضي متأهبًا لخدمتها طول الوقت..

جهزت حور غرفة لعملها، رسمت على أرضيتها النجمة

الخماسية المقلوبة، وأحاطت الغرفة بالشموع والبخور..

تناجي شيطانها ناصور كل ليلة، لكي يساعدها على العثور على مطاوع وقناوي بدون أن يتسلل إليها اليأس، لطالما تمنت العثور على مطاوع لتنتقم منه أولًا، فحقدها عليه أكبر من غيره، فهو أخوها، الذي بدلًا من تلقي الطعنات عنها، طعنها هو من الخلف، لذلك تُريد العثور عليه أولًا، تعلم أن البحث عن شخصين داخل محافظة يقارب تعداد سكانها الثلاثة عشر مليونًا لهو أشبه بالمستحيل، بل هو المستحيل ذاته، ورغم ذلك لا ترى هدفًا آخر لحياتها سوى العثور عليهما لكي تنتقم منهما على قتل الشخص الوحيد الذي أحبته، وتدمير حياتها..

# 16

عمل كل من مطاوع وقناوي وحور في تلبية احتياجات من حولهم على استحياء، مستخدمين قوة الكتاب..

حتى أصبح كل واحد منهم معروفًا نسبيًا في أوساط تلك المهنة، ولدى الأشخاص الذين لديهم رغبة لمثل هذه الأعمال..

لم يمر وقت طويل حتى تزوج قناوي من فتاة أحبها، كانت تتردد عليه لعمل الأحجبة والتمائم، في الوقت الذي كانت ميمونة تشعر فيه بالرضا بحياتها الجديدة مع السيدة هِدية صانعة الفطائر، التي جاءتها ذات يوم بامرأة كبيرة في السن، لكنها ما تزال تحتفظ بعافيتها تُسمَّى الحاجة سِراج البدوية، كانت هذه السيدة تعمل منذ قديم الزمان في الدق ( الوشم ) على جلود النساء، وقد جلبتها السيدة لتُوشم ذقن ميمونة لعله يفك عقدة نُطقها ويساعدها على الزواج.

اختارت ميمونة رسمة هلال، فبدأت السيدة بوخز ذقن ميمونة بالإبر وأخذت أثناء ذلك تتحدث معها عن الدق، وأن له أغراض مختلفة وأنواع، فمنه ما يستخدم للحسد، ويُرسم للنساء شديدات الجمال، ومنه ما يستخدم للزينة والجمال، ومنه ما كان يستخدم للعلاج، وكان يكثر بين النساء

البدويات أكثر من غيرهم، حيث كان الرجال يُفضلون الزواج من النساء الواشمات ويعتبرونها ميزة للجمال..

***

بعد صراع داخلي شديد عاد مطاوع إلى البلدة في الخفاء لكي يعرف أي شيء عن أخته وطريقة عيشها، لحاجة في نفسه..

لكن وجد بيت خالته نفيسة محترقًا، وعرف من أحد الأشخاص أن أهل القرية فعلوا هذا انتقامًا لموت السيدة التي احترق بها المنزل مع طفلها..

عرف مطاوع أن أخته حور قد ذهبت خلفهم إلى القاهرة لتنتقم منهما بعدما تأكد من عدم تواجدها في بيت شافع في البلدة المجاورة، وأن حديث ميمونة عن ذلك كان حقيقة..

عاد إلى القاهرة مرة أخرى وأخذ يعمل ويعمل حتى كسب الكثير من المال، قرر بعدها أن يتزوج، وجد أن وحدته ستجعله لا يفكر إلا في انتقام حور منه...

افتقد صديقه بجانبه في ذلك الوقت، كان يريد أن تكتمل فرحته بدعوته في ليلة زفافه، لكنه تراجع والتزم بالاتفاق، لم يكن يعلم أن قناوي كان متواجدًا هذه الليلة، ينظر إليه من بعيد، قد تمالك رغبته بصعوبة في اقتحام الزفاف، وأخذه

بين ذراعيه، ليكمل فرحته كواحدٍ من أهله..

لم يعلم مطاوع أيضًا، أن قناوي يأتي من وقت لآخر ليراقب بيته من بعيد، ويتحسس أخباره بطرق غير مباشرة..

أخذت السنوات تمر وتمر، سنوات كثيرة لم تترك حور فيها شيئًا إلا وجربته، لم تدع جنيًا إلا واستجوبته عن مكان اختباء أخيها وصديقه، لقد حرقت العشرات من الجن أثناء ذلك، ولا مانع لديها أن تحرق كل العالم لكي تصل إلى ما تريد، حينما تحترق روحك ستمتد نارك وتحرق الجميع، تلك قاعدة نعلمها جميعًا..

أخذت تمر الأيام والليالي عليها وهي تتوسل وتناجي شيطانها ناصور كمناجاةِ عبدٍ لربه، كي يرشدها على أماكنهم، لكن في كل مرة تعود خالية الوفاض خائبة الرجاء، مهزومة، بدأ اليأس يتسلل إليها، تعاظمت النقمة داخلها على الكتاب بل على ناصور ذاته..

كلَّت وملَّت من الخيبات المتتالية سنة تلو الأخرى..

فعلت كل شيء من أجل الوصولِ لانتقامها، ورغم ذلك لم تصل ولم تحرز تقدمًا ولو يسيرًا.

انغمست في السكر والملذات أكثر، إرضاء للشيطان، لعله يرضى، ويحقق لها ما تسعى إليه باستماتة، لم تزد تلك

السنوات قلبها إلا جحودًا وسوادًا، بدأت تعيث في بيوت الخلق الفساد، تُفرق هذا عن زوجه، وتفجع هذا في ولده، أصبحت لعنة بين الناس، تمادت إلى درجات جعلت منها إحدى رُسل الشيطان، تفعل كل هذا وتتقرب بأي شيء لتصل إلى ما تريد..

لم تتزوج، أبت أن لو سلمت قلبها لرجل آخر، قد ينسيها شافعًا والانتقام الذي تسعى إليه....

لكن لم يمنعها ذلك من تعدد علاقاتها الجنسية، طيلة السنوات الماضية، فلم يسلم من فتنتها رجل أو امرأة، حتى خادمها المخبول راشد، قد نال منها في بعض الأحيان ونالت منه..

***

على الجهة الأخرى قد تغيرت حياة قناوي، فقد رُزق فيها بابنتيه حور وهُيام بعد بضعة سنوات عجاف في بداية زواجه لم ينجب فيها، حتى رُزق بابنته البكر حور، لا يعلم سبب تسميته لهذا الاسم بالتحديد، لتُذَكِّره بحبه القديم، أم بالوعيد الذي يترقبه..

أما ميمونة فأخذت تمضي في حياتها، بعد وفاة السيدة هِدية قد وهبت نفسها للعبادة ومساعدة الناس، تبيع

صباحًا الفطائر والجُبن الأبيض على محطة القطار، وتعود قبل غروب الشمس إلى بيتها البسيط، تعيش وحيدة بين جدرانه..

مطاوع ألقى الماضي وراء ظهره منذ مدة، بعدما توفي ابنه البكر قناوي الذي يبلغ ثلاث سنوات، أورثه ذلك حسرة كبيرة في قلبه، حتى بعدما رُزق بولده غلّاب الذي أتم منذ شهور عامه الثاني والعشرين، ثم ولده عادل ذو العشرة أعوام..

كان يوم ميلاد غلاب هو نفس اليوم الذي فقد فيه مطاوع ابنه قناوي، فقضت هذه الفاجعة على فرحته يومها، لقد كان شديد التعلق بطفله الأول، قد أسماه على اسم صديقه قناوي الذي حُرم من صحبته، كان يحاول معاملة غلاب بلطف، لكن دائمًا ما كان يذكره بيوم موت أخيه الأكبر، كأن غلابًا له يد فيما حدث لأخيه، كأنه أخذ مكانه في الدنيا وحصته من الحياة..

كبر غلاب وهو يشعر بتحميل أبيه له هذا الذنب، رأى ذلك كثيرًا في عينيه الباردتين وأحضانه الجافة التي لم يذُق فيها طعم الأبوة يومًا..

زادت هذه الفجوة بعدما قدم أخوه الأصغر عادل إلى الحياة، ورأى فرحة أبيه به وسعادته حينما رآه يتقدم في العمر يومًا بعد يوم، أشياء لا يتذكر أنه شعر بمثلها من قبل،

ورغم كل ذلك كان غلاب شابًا عاقلًا قويًا لم يشعر بالكره تجاه والده يومًا رغم شعوره بالأسى..

لذلك وفي أول فرصة واتته، ترك البيت وذهب للعمل في محافظة الإسكندرية بعد تخرجه، ولا يأتي إلى القاهرة إلا أيامًا قليلة كل بضع شهور..

***

يجلس متكئًا على أريكة، بين يديه جريدة ورقية، وفنجان القهوة على منضدة صغيرة أمامه كعادته.

الكثير الآن أصبح يتابع الأخبار عن طريق الهواتف الذكية، لكن قناوي صاحب الأربعة والخمسين عامًا يجد صعوبة في التعامل مع مثل هذه الأشياء المعقدة، لقد اعتاد على ارتداء نظارته وإمساكه بصفحات الجريدة بين أصابعه..

قد تغير شكله كثيرًا، أصبح أصلع بعدما تخلى الشعر عن فروة رأسه، فأغلقت مسامها ولم تنبت بعده..

تشتت تركيزه من أصوات صُراخ وأقدام خفيفة تخرج من الغرفة المقابلة قادمة في اتجاهه..

كانت ابنته الصغرى هُيام ذات الثماني سنوات تقف أمامه، فوضع الجريدة جانبًا ونظر لها مبتسمًا، فدنت من أذنه

وقالت:

*«أريد أن أخبرك بسر..».*

قالتها وهي تنظر إلى أختِها حور، الواقفة عند باب غرفتهما تحُثُّها على التراجع عما ستقول وتلوّح لها بغضب:

همست هُيام في أذن أبيها بكلمات نادى بعدها على حور بنبرة صوت قوية.

جلست حور أمام والدها بعينيها الواسعتين، ووجهها المضيء المتوج بشعر غجرِي ساحر في خجل، فسألها قائلًا:

*«من ذاك الشاب الذي سيأتي لخِطبتك قريبًا، ولماذا لم تخبريني عنه قبل اليوم»؟*

احمر وجه حور خجلًا وخوفًا ثم قالت بعقلانية مُتلعثمة:

*«لا أعرف إذا كان سيحضر كما قال أم لا، إنه شاب يعمل ممرض في مشفى، رآني عندما كنت أزور والدة فاطمة صديقتي..».*

صمتت حور لبرهة فأشار لها والدها لتتابع حديثها فقالت:

*«لقد اقترب مني أثناء خروجي، وأراد رقم هاتفي لأنه يريد خِطبتي بحسب قوله، لكني لم أعطه إياه..».*

أقسمت حور على ذلك وتابعت:

*«لقد أعطيته عنوان منزلنا، وقلت له: إذا كنت تريد ذلك حقًّا فلتقابل والدي أولًا، وعندما عدت أخبرت أمي بكل شيء..».*

كانت الأم تقف جانبًا فأكّدت على حديث ابنتها..

قال قناوي:

*«قد أحسنتِ التصرف يا حور، فأنا أعلم جيدًا مدى عقلانيتك وأثِقُ بك...»*

# 17

عاد طارق من عمله في الثامنة صباحًا، كان شابًّا وسيمًا أبيض البشرة ذا عينين خضراوين، في وجه ممتلئ بعض الشيء، مر على غرفة أمه ليطمئن عليها كعادته كل يوم، يعيش الاثنان وحيدينِ من بعد وفاة والده منذ سنوات قليلة..

انحنى على رأسها وقبّل جبهتها، فاستيقظت، نظرت إليه من خلف ستائر النُعاس المنسدلة على عينيها، ثم ابتسمت بحنان وقالت:

«*كيف حالك يا حبيبي..*»؟!

أجابها باسمًا:

«*بخير يا حبيبتي، أعتذر لم أقصد إيقاظك..*».

قالت:

«*لا عليك حمدًا لله على سلامتك..*».

وتابعت قائلة:

«*هل تريد الفطور الآن*»؟

قال طارق:

*«أكلت في العمل قبل خروجي، لا أحتاج سوى النوم لأكون بكامل تركيزي في المساء..».*

وتابع..

*«سنذهب لنقابل عائلة حور، الفتاة التي أخبرتك عنها..».*

قالت الأم في سرور:

*«حسنًا سنذهب وبالخير إن شاء الله..».*

خرج طارق من غرفة أمه يملأه الحماس لتلك الزيارة، متجهًا إلى غرفته لينام..

في المساء، وفي صالون البيت، يجلس كل من طارق وأمه وأمامهم قناوي أو الشيخ قناوي كما عرَّف نفسه لهم..

يستمع إلى إجابات الأسئلة التي وجهها لطارق..

كان الشاب ذو الجسد البدين بعض الشيء، يتحدث بصدق وعفوية تدل على جديته..

قطع حديثهما دخول حور بصينية عليها أكواب المياه الغازية، وقطع الكيك التي صنعتها بنفسها، كما هو مألوف في مثل تلك المناسبات، وضعتها أمامهما بخجل، صافحت بحياء والدته، التي تفحصتها جيدًا وهي تومئ برأسها في رضا عن اختيار ولدها..

حور، فتاة جميلة، فاتنة، ذات جمال ساحر، أخاذ للعيون..

ناهيك عن وزن أمها الزائد، وصلعة أبيها، فهذا ما يفعله بنا الزمن حين نتقدم في العمر..

كان قناوي حازمًا بعض الشيء، يريد أن يطمئن على ابنته حور، لذلك أعطى مهلة محددة لطارق، إذا لم يتجهز حينها تعتبر هذه الخِطبة كأنها لم تكن..

لم يقصد شيئًا بهذا، إلا اختبار مدى صلابة الشاب، وعزمه على تحمل المسئولية..

لقد كانت ليلة سعيدة على حور وطارق، وعلى العائلتين أيضًا..

كان كل شيء يبدو مثاليًا، لكن هناك ما يشغل بال طارق ويُنغص عليه فرحته، فهو لا يحب عمله، يريد أن يعمل في أي وظيفة أخرى عدا التمريض، قد أجبرته ظروف ما على هذا الاختيار، لكنه اصطدم بالواقع السيء للوظيفة، من تمريض كبار السن وتلبية طلباتهم التي لا تنتهي، اكتشف أن لديه فوبيا من جو المشافي والمرضى..

وها هو والد الفتاة التي يُحبها قد حدّد له عامًا واحدًا ليجهز لوازم الزواج من شقة وأثاث، لا يريد أن يُظهر له أنه لا

يُحب الاستقرار في عمل واحد، إذا ما أراد أن يترك وظيفته هذه ويبحث عن أخرى..

أرجأ طارق قرار البحث عن وظيفة أخرى إلى ما بعد الزواج، فهو لا يضمن العثور على وظيفة جيدة وفي مستوى الراتب الذي يتقاضاه الآن من عمله بالتمريض..

***

يجلس خلف مكتبه في وقار، مرتديًا جلبابًا رماديًا، قد امتلأ رأسه بالشيب، أتم عامه السادس والخمسين منذ أيام، بين يديه كتاب يقرأ فيه إحدى أساليب الشعوذة التي ما زال يمارسها بين الحين والآخر...

يسمع طرقات على الباب، يدخل بعدها ابنه الأصغر عادل في هدوء ويقول وهو يمد يده بالهاتف:

«*أخي يُريد مُحادثتك..*».

يترك مطاوع الكتاب من يديه ويمدها لالتقاط الهاتف ليرد بلهفة، لكنه تمهل محاولًا أن يكتم لهفته تلك ويُخفيها، فقال بنبرة هادئة: «*كيف حالك يا غلاب، هل عملك بخير*»؟.

لم تكن هناك موضوعات بينهما للنقاش، لذلك أغلق كل واحد منهما هذا الباب وانعزل عن الآخر منذ سنوات

بعيدة، فما كان بينهما سوى الاطمئنان على بعضهما، وبعض المحادثات السطحية..

أنهى مطاوع مكالمة ابنه قائلًا:

«*احرص على حالك، مع السلامة..*».

كانت الكلمات قليلة مقتضبة تعكس مدى العلاقة بينهما..

كان مطاوع يعلم جيدًا أن جدارًا ما يحول بينه وبين ابنه منذ سنوات، ولن يقدر أحدهما على إزالته بسهولة..

نادى على ابنه عادل وسأله بقلب رقيق:

«*ألم يخبرك أخوك على موعد عودته*»؟.

أجاب عادل قائلًا:

«*لا لم يقل..*».

أومأ مطاوع برأسه في تَفهم وعاد ليقرأ في كتابه مرة أخرى..

***

دخلت حور التي تجاوزت السابعة والأربعين من عمرها، وما زادها ذلك إلا الكثير من القوة والجنون معًا، لقد علمت منذ البداية أن قلبها يرى في الظلام قوته وأمانه، ويرى في

الخوف فقره وموته، إلى الغرفة الخالية، في يدها حقيبة مليئة بقنانِ النبيذ، قد اشتراها راشد منذ قليل، الغرفة مضاءة بالشموع السوداء، تعج منها رائحة البخور المخلوط ببعض الأشياء الأخرى، كاللبان الدكر والشعر المأخوذ من أماكن حساسة بالجسم.

أفرغت النبيذ بأكمله في وعاء به كوب نحاسيّ، تجردت من ملابسها وجلست داخل وعاء آخر أكبر وأوسع، أخذت تملأ بالكوب من وعاء النبيذ وتستحم كما تستحم بالماء، إلى أن صار كل النبيذ في الوعاء الذي تقف فيه..

خرجت من الوعاء، توجهت إلى كيس وضع في ركن الغرفة أخرجت منه قطعة من الملابس الكتانية تُشبه الجلباب، ذات لون أسود، صُممت كي تكون غير ساترة للعورة..

جلست بعدها بجانب الوعاء الكبير، وأخذت تملأ بالكوب من النبيذ التي اغتسلت به منذ قليل وتشرب..

شربت حتى امتلأ بطنها..

جلست داخل النجمة الخماسية المقلوبة تردد اسم مطاوع أخيها واسم أمها وتقول بصوت مرتفع:

«منلطوش عنطش شملاخ كمش مرطوش عمهاش ديباج، احضر في الحال عون قرين مطاوع ابن عزيزة، بحق

علينكش بقوة ملينكش، بحق ما نؤمن به وأنتم به عالمون، أطيعوا ونفذوا....

أقسمت عليكم يا معاشر السفليين، أصحاب القوة والجبروت، أقسمت عليكم بأمليخا، ومن معه من الأعوان، قسمًا تهتز له الجبال، وتنهار من سماعه الأجيال، وينزل عليكم كالبرق العاصف، والريح القاتل إن لم تخضعوا له، وتذعنوا بما فيه من طاعة عليكم، لكم قوتكم ولي عهدي الذي يمنحني القوة معكم، عهد الملك ناصور، سيدي وملِكي، لن تخذلوني وإلا تكونوا لآدم أبي البشر من المطيعين، ولعزازيل من العاصين، وأنتم عالمون بقوته وزلزلة أحكامه، هيلا والوحا في عجاله.

أخذت تردد هكذا طيلة ساعتين حتى انطفأت الشموع، وساد الظلام، سمعت بعدها همسات بعيدة، حاولت الإصغاء أكثر حتى سمعت صوت أخيها مطاوع في وضوح فاستبشرت بالاقتراب منه ومعرفة عنوانه..

ابيضت عيناها، رأت صورًا من أماكن لا تعرف عنها شيئًا..

لم ترها من قبل، مبنى رمادي قديم مميز، وقبل أن تبحث عن أي علامة أكثر وضوحًا اختفت الصور وانقطع التواصل، لتقوم حور وتشعل الإضاءة التي اشتعلت معها غضبًا من فشلها للوصول لمطاوع مرة أخرى..

لقد أخذت في الصُراخ وتدمير كل شيء حولها..

سكبت النبيذ على رسم النجمة، محت الطلاسم حولها، مسكت الكتاب بغضب ومزقت بعض صفحاته وهي تصرخ قائلة..

*«ناصووور أيها الشيطان اللعين، من الآن لا عهد بيني وبينك، أنت كاذب، مخادع، سنوات أطلب منك المساعدة ولا تساعدني، سنوات لم أصل لانتقامي..».*

انفجرت في البكاء وهي تقول هاذية:

*«حياتي تدمرت بموت شافع، احترق قلبي ولم تفعل لي شيئًا، من هذه اللحظة انتهينا..»*

قالت حور كلماتها وألقت الكتاب وخرجت من الغرفة..

دخلت غرفتها واستلقت على فراشها تبكي..

في الطابق الأسفل كان راشد يقف عند أول درجات السلم ينظر إلى الأعلى، يستمع إلى صُراخها وبكائها، يحزنه ذلك، لكن لا يعرف كيف يساعدها..

دخل إلى الغرفة ليرتب ما ألم بها من فوضى، نظر إلى الكتاب المُلقى على الأرض، فتحرك شيء بداخله، جعله يلتقط الكتاب الذي يقع بين يديه للمرة الأولى ويقرأ

صفحاته، لعله يعثر على شيء يستطيع مساعدة سيدته به..

وظل الاثنان على هذه الحالة إلى الصباح...

# 18

لا تعلم حور سر إخفاقها المتكرر في العثور على قتلة زوجها، طيلة تلك السنوات، وأن كيف يعجز ناصور بقوته في مساعدتها..

لا تعرف ما قام به مطاوع وقناوي لكيلا تصل إليهم، لقد استخدما تعويذة شديدة الخطورة، جعلت أقوى أبناء إبليس يحميهما وقد كلفهما ذلك تقديم قربانًا بشريًا، وإلا كانت عثرت عليهم منذ سنوات وحصلت على انتقامها..

لكنها لا تعلم كل ذلك، وهذا ما دعاها لحالة اليأس التي أصبحت عليها، ترى الآن أن الوسيلة الوحيدة التي ستجمعها بشافع أن تموت مثله، لقد أخذت هذه الأفكار تتردد على عقلها المتخم بالثمالة..

لقد كفرت بكل ما آمنت به يومًا...

مرت الأيام وحور تتعمق أكثر فأكثر في غياهب الظلام، ترى كل الأبواب مغلقةً أمامها، طريق الشيطان موصد وطريق الرجوع عنه موصد..

أصبحت ترى التجاعيد بارزة على وجهها للمرة الأولى،

تشعر أن قواها قد خارت، لا تعرف إن كان هذا عقاب الشيطان لها..

لكنها رغم ذلك لم تأبه، على كل حال، هي الآن تسعى إلى الموت سعيه إليها، لا تخاف منه..

ذات يوم وفي ساعة متأخرة من الليل عزمت على العودة إلى بلدة شافع لتدفن نفسها بجواره، أو تجلس بجانبه إلى أن تموت..

خرجت من الباب لم يشعر بها راشد الذي كان ينكفئ على الكتاب كل ليلة، ليتعلم ما فيه حتى الصباح، ساعده في ذلك عدم استخدام حور للكتاب وإهماله..

كان يتعلم ليساعد سيدته، التي لم يشعر بخروجها بما كانت ترتديه في البيت، في حالة من الثمالة، بلا هاتف ولا نقود..

أوقفت سيارة، عندما سألها السائق إلى أين قالت:

*«إلى محطة القطار..»*

كان السائق يشعر بالقلق من مظهرها وطريقة حديثها، بعد عدة دقائق في الطريق، سألها عن النقود، دعته إجابتها بالتوقف والتهديد بإنزالها، لكنها لم تنزل، تمتمت بكلمات لم

يفهمها، كأنها تندب حظها، انطلق السائق مرة أخرى حين رآها على تلك الحالة، بعد أن لمعت عيناه بشيء ما.

أما حور، فلم تكن في كامل وعيها، كانت تفكر فيما مضى من سنوات، وكيف أنها سعت للمال وتعلقت به، فعلت الكثير ليأتيها، وعندما أتاها، تعلق قلبها بشيء أقوى منه، الحب، عندما تجد الحب تستغني به عن أي شيء آخر، هو غذاء الروح، نوع أكثر نقاءً من الهواء الذي نتنفسه، كلاهما يبقينا على قيد الحياة وغياب أيهما يعني الموت، إلا أن الحب أقوى، فالحياة بدون حب موت، وإن بقى الجسد يتنفس..

بعد مرور ساعة انتبهت حور حين توقفت السيارة، تنظر إلى الخارج المظلم لا ترى بنايات، لا إضاءة، لا تسمع صوت قطارات، لم تسمع إلا صوت السائق يفتح الباب بجانبها ويقول:

*«ليس معك نقود، حسنًا لا مشكلة، فأنتِ ما زلت تتمتعين ببعض الجمال أليس كذلك»؟!*

قال السائق جملته وهو يتحسس بيده على أرجل حور، دفعته بيديها، صفعته على وجهه بقوة، لكن الأخير اهتاج عليها أكثر، أخذ يسُبها ويكيل لها اللكمات، جذبها من شعرها إلى الخارج بعد أن خارت قواها، ألقاها على الرمال الباردة، جردها من ثيابها في هياج، وتجرد، وطأها بعنف، قبَّلها بشره،

كيّل لها الصفعات أثناء ذلك، كما يضرب العربجي فرسه بالسياط، دوت صرخاتها الباكية مستنجدة، لكن لم يصل صوتها إلا لرمال الصحراء وحصاها..

تناوب عليها السائق حتى اكتفى، حتى كادت الرمال تحتهما تشتعل من حرارتهما، تركها على حالتها مثل خرقة بالية ورحل في عدم مبالاة...

وجهها مدفون في الرمل، تشعر بالكثير منه داخل فاها، ما زالت عيناها تذرف الدموع، تهلوث بأسماء شافع ومطاوع وقناوي، تلعن ناصور والكتاب والسحر..

تلعن خالتها، تلعن إرثها الملعون، تلعن فقرها، ظلت هكذا حتى فقدت الوعي تمامًا........

في اليوم التالي كان راشد يبحث عن سيدته حور في كل مكان، انتابه قلق شديد عندما استيقظ ولم يسمعها تنادي عليه كعادتها، بعد مرور حوالي ساعتين ظن خلالها تأخرها في النوم، صعد إلى الأعلى ليجد الغرف فارغة، ليتأكد من عدم وجودها في البيت بالكامل.

كانت حور بمثابة عائلته، أبًا وأمًّا وأختًا، وفي بعض الأحيان زوجًا، وذلك حين تستدعيه إلى فراشها، في تلك الليالي التي تفقد فيها عقلها من الثمالة..

لذلك ظل يبحث عنها في كل مكان طوال نهاره، لعله يجدها، لكن ذلك لم يحدث....

بعد يومين كان طارق في الغرفة الخاصة بالممرضين في المشفى، يغيِّر ثيابه بعد أن استلم مكانه في النوبة الليلية من زميله..

سمع طرقات على الباب، دخل بعدها الطبيب المناوب يمد يده بملف ويقول:

«*طارق، هذا الملف خاص بحالة غرفة رقم ستة وستين فيه مواعيد دوائها وحالتها..*».

أخذ طارق الملف وهو يقول:

«*متى جاءت*»؟.

قال الطبيب:

«*جاء بها أحد الأشخاص صباح أمس، قال: إنه وجدها في بقعة خالية من جبل المقطم فاقدة للوعي، أسفر الفحص الأول أنها تعرضت للاغتصاب، لكن ننتظر تحسن حالتها لتؤكد لنا ذلك..*».

قاطعه صوت رنين هاتفه، فتوقف وأخرجه من جيبه، نظر إليه ثم تابع في عجلة..

*«السيدة كبيرة، يبدو أنها تعاني من مرضٍ ما، سننتظر باقي تحاليلها لنحدد مما تعاني، لكن أيًّا كان هذا المرض فهو ينهش فيها، وقد لا يتبقى لها سوى أيام قليلة قادمة ...».*

رحل الطبيب وتمتم طارق ساخرًا..

*«بداية أسبوع مبشرة..».*

في الطرقة المؤدية إلى غرفة رقم ستة وستين يمشي طارق مبتسمًا لأحد مرافقي المرضى، وهو يأخذ حالته إلى المرحاض، في داخله عميق الامتنان لوجود هذا المرافق؛ لأن عدم تواجده يعني أن على طارق أن يفعل ذلك بنفسه، وهذه من الأشياء التي يكره عمله بسببها.

طارق لم ير أن خدمته لهؤلاء المرضى عملًا نبيلًا، لا يقل أهمية عن عمل الطبيب، فإن كان الطبيب يقوم بالفحص ويحدد الدواء، فالممرض هو مَن يعطيه للمريض في أوقاته، ويتابع جدواه من عدمه، حتى عندما يأخذ مريضًا غير قادر على الذهاب إلى المرحاض بمفرده، فهذه خدمة إنسانية قبل أن يكون مُكلفًا بها.

لم يتخيل يومًا مدى امتنان هذا المريض على مساعدته في أصعب وأضعف أوقات حياته، مهنة التمريض شيء عظيم ينبغي على كل من يعمل بها أن يكون فخورًا بما

يقدِّمه، لكن طارق لا يرى كل هذا، لقد اكتشف منذ أيام عمله الأولى اختناقه من رائحة المشفى، وعدم احتماله القرب من المرضى كبار السن، يُهيأ له أن الموت قريب وسيتسرب إليه منهم بطريقة ما، لقد اكتشف مؤخرًا أنه يعاني نوعًا ما من رهاب المستشفى..

أكمل طريقه إلى غرفة الحالة الجديدة ليلقي عليها نظرة..

فتح الباب بهدوء ودخل، لأول مرة يشعر أنه دلف إلى مقبرة، شعر بقتامة الجو حوله، ضاق صدره، وقف أمام السرير ينظر إليها وينظر إلى الملف في يده، يسأل نفسه متعجبًا:

«*كيف ذلك*»!

لم يحتمل المكوث أكثر، أخذ في أداء مهام عمله، فحص حرارتها ثم نبضها، وما زالت علامات الضيق والتعجب تعتلي وجهه..

دوَّن ملاحظاته في قائمة تقييم الحالة، ثم علَّقها مرة أخرى على السرير وخرج..

شعر وكأن صخرة ثقيلة قد أزيلت من على صدره، فبدأ يستعيد أنفاسه مرة أخرى...

نظر إلى ملف الحالة مرة أخرى وبالتحديد على خانة العمر، التي لم يُكتب فيها شيء، لعدم العثور معها على أي شيء يدل عليه، كان عمر الحالة يثير دهشة طارق؛ لأنه وجدها كبيرة في السن ذات جسد هزيل ووجه مجعد، كيف يتم اغتصاب سيدة في عمرها...

كان ما يزال واقفًا أمام غرفتها، توقفت أنفاسه، عندما سمع أصوات تمتمة غير واضحة تخرج من الغرفة..

فتح طارق الباب في هدوء وهو ينظر إليها، ليجدها تنظر إليه ما زالت تتمتم بكلمات غير واضحة..

دخل إليها سريعًا بجسده الممتلئ اقترب منها ليسمع بوضوح ماذا تقول..

«*خذني إلى المرحاض*...».

قالتها بصوت خافت اختفى خلف حشرجة قوية..

همّ طارق سريعًا لمساعدتها على القيام والنزول من السرير بحذر، خطى بها عدة خطوات حتى أجلسها على الكرسي المتحرك..

ذهب إلى المرحاض، أخذتها منه هناك إحدى العاملات لترافقها في الداخل...

كانت حور لا تعرف ما أصابها، أين ذهبت قواها، لماذا لا تستطيع الوقوف على قدميها، تسأل نفسها أهو عقاب الله أم شيء آخر؟

انتهت وقامت المرافقة بتنظيفها وخرجتا، في طريق الخروج وقفت حور أمام المرآة، تنظر لتلك السيدة الطاعنة في السن أمامها، لم تُصدق أنها تنظر لنفسها، تمنت أن تكون المشكلة في المرآة، في عينيها حتى، لكن لا تكون على تلك الحالة، حرّكت يديها بصعوبة على وجهها لفحصه، وهنا أخذت تبكي وتصرخ لكن الصراخ بات أنينًا مكتومًا، يُفزع السيدة التي بجانبها..

حاولت تهدئتِها والتحرك بها من أمام المرآة إلى الخارج..

سلمتها لطارق، الذي عاد بها إلى الغرفة وأودعها سريرها وغادر....

مر سريعًا على باقي الغرف المسئول عنها، ثم عاد إلى غرفة الممرضين لكي يأخذ قسطًا من الراحة، ويصنع لنفسه كوبًا من القهوة لكي يحافظ على انتباهه..

أخذ طارق في أداء مهام عمله حتى السابعة صباحًا موعد رحيله، بعد أن استلم منه زميله، النوبة الصباحية.....

# 19

في مساء اليوم التالي دخل طارق المشفى كعادته، وجد أن هناك حالة من الاضطراب حوله، يبدو أن حادثًا ما وقع على طريق قريب، أسرع في خطواته لكي يرتدي ملابسه ليقدم المساعدة مع زملائه إذا ما احتاجوا ذلك...

لكنه حين صعد إلى غرفة التمريض، وجد أن هناك مشكلة أخرى بانتظاره، حين قال له زميله الذي كان على وشك أن يغادر:

*«إن حالة السيدة التي في الغرفة رقم ستة وستين قد تدهورت، محتمل أن تكون هذه ليلتها الأخيرة، تم وضعها على جهاز التنفس الاصطناعي..».*

وأضاف....

*«عليك متابعتها ورعايتها جيدًا، فلا يوجد ممرض غيرك في هذا الطابق، أخذوا الجميع لتقديم المساعدة في الأسفل...».*

تجهّم وجه طارق، تشنجت أعصابه أثناء ارتداء الزي الأزرق الخاص بالعمل، بدأ يشعر ببعض التقلصات في معدته، يعلم أن هذا الشعور لا يأتي إليه، إلا كان بعده شيء سيء على وشك الحدوث؛ وقد اغتم لذلك..

فَضّل طارق المرور على جميع الغرف قبل أن يذهب للغرفة رقم ستة وستين، ليكون لديه متسع من الوقت لتلبية احتياجات المريضة هناك....

في الواحدة صباحًا دوّت المشفى بصراخ أحدهم، يعني هذا أن شخصًا قد مات إثر ذلك الحادث، مما زاد ضيق طارق أكثر.

اتجه إلى تلك الغرفة في هدوء، سكون لا يعكس ما بداخله من ضجيج وجَلَبَة؛ وقف أمام سرير الحالة، وجدها كما أخبره زميله، قد لا يطلع عليها النهار، لمِعت عيناه، جز بأسنانه على شفتيه، اقترب منها، يدقق بنظره في الهالات السوداء حول عينيها، يكاد يوقن أن هذه المرأة ليست طبيعية، ما يحدث معها وراءه طويّة ما، سرّ ليس لديه رغبة في اكتشافه، ارتعد جسده حين فتحت عينيها العميقتين، اللتينِ بدتا كأنهما يُضيئان بنظراتِهما الأخيرة...

حركت شفتيها بصعوبة قائلة:

«*خذني إلى المِرحاض..*».

تحرك طارق ليأتي إليها بالكرسي المتحرك قائلًا في نفسه:

«*سيكون عليك تحريرها بنفسك، فلتفعل ذلك لكي ترحمها*

*مما تعانيه ...».*

وضع الكرسي بجانب السرير وساعدها للجلوس عليه، ثم تحرك بها إلى المرحاض..

كانت حور على وشك الموت حقًّا، لقد فهمت الآن ما تعانيه، لقد لعنها ناصور حين خرجت من عهده كما لعن ميمونة، وخالتها نفيسة من قبلها، ظلت حبيسة في سرداب سري تحت بيتها حتى تحولت لهيكل عظمي، لا أحد يعلم كم عانت في أيامها الأخيرة قبل الموت، حتى بعد اختفائها لم يجرؤ أحد على الاقتراب من المنزل..

لم ترغب حور في هذه النهاية، ستدخل المرحاض وتردد التعويذة لتستدعي ناصور وتقر بخطيئتها وتعود لعهده كي يعفو عنها ويُنقذها...

على باب المرحاض قال طارق بخجل:

*«لا أحد غيري هنا، ولن أستطيع الدخول معكِ، هل تقدرين على تدبير أمرك..»؟*

أجابته حور بصوت بالكاد يُسمع..

*«سأدخل بمفردي، ولكن مهما طال وقت مكوثي لا تدخل عليَّ، عليك الانتظار هنا..».*

أومأ برأسه موافقًا، أدخلها وأغلق عليها الباب وجلس على أحد مقاعد الطرقة ينتظرها..

رفعت يدها لتضغط على مفاتيح الإضاءة لتغلقها بالكامل، انتظرت برهة تعليق الممرض لكن ذلك لم يحدث..

استجمعت قوتها لتتحرك من على الكرسي، لكنها لم تمتلك القوة الكافية، لذلك سقطت أرضًا، أكملت طريقها لأحد المراحيض حبوًا، وقد بدأت تتمتم بتعويذة إحضار ناصور، تمسح بيدها على الأرض بشكل النجمة المقلوبة، أخذت تدعو وتناجي شيطانها، تُبدي الندم على فعلتها، تتعهد بعدم الوقوع في تلك الخطيئة مرة أخرى، ظلت على هذه الحالة طويلًا، تبذل ما تبقى من جهدها للخضوع الكامل للشيطان، لتستعيد قوتها، حتى سمعت طرقات على الباب الخارجي، صوت طارق يطمئن عليها حين مر من الوقت ساعتان على دخولها..

أجابته باقتضاب..

«*أنا* بخير..».

ثم عادت لتكمل توسلها لشيطانها وتسأله العفو، فرأت ما يبشر بعفوه وقبوله، رأت القط الأسود التي أغلقت عينيه وفمه يومًا، القط الذي صرفته بعد زواجها من شافع عندما طلب منها ذلك، فرغم قوته إلا أنه كان لا يرتاح لوجود ذلك

القط معهم طيلة الوقت، لهذا طلب منها التخلص منه حينها..

شعرت في هذه اللحظة أنها استعادت بعض عافيتها، حتى أنها جاهدت بشيء من الصعوبة لتجلس على الكرسي بمفردها لإثبات ذلك..

فتح طارق الباب بعد أن نادته، عاد بها إلى الغرفة وهو على يقين أنه سيفعل الصواب، وسيخلصها مما هي فيه..

ساعدها في الصعود إلى السرير مرة أخرى، ووضعها على جهاز التنفس..قال لها:

*«سأذهب لإحضار دوائك..»*.

فتح حقيبته الشخصية في غرفة الممرضين، وأخرج حقنة، عاد إلى الغرفة رقم ستة وستين بعد أن أخفاها في جيبه..

أخذ يتلفت هنا وهناك قبل أن يدخل..

بصوت هادئ قال في اتزان»

*«لديكِ بعض المشاكل في النبض وهذه الحقنة ستفيدك..»*.

أخرجها من جيبه وطلب منها أن تسترخي ثم شمر عن ذراعها وأفرغ بضعة مليميترات من العقار في وريدها..

نظرت إليه، فابتسم في توتر وهو يعيد الحقنة إلى جيبه

مرة أخرى..

لقد تبقى على انتهاء عمله ثلاث ساعات تقريبًا، وهو وقت كافٍ ليتوقف قلبها جراء جرعة العقار الذي حقنها به..

خرج من الغرفة بعد أن طلبت منه تركها لترتاح، لا تعرف أنها على وشك الانتقال إلى الراحة الأبدية...

عن طريق وصفة أبيه التي لم تخطئ هدفها يومًا..

عاد إلى غرفته، لتدوي بعض الصرخات مرة ثانية، تقول إن بضعة أرواح أخرى قد تحررت، وكأن رُسُل الموت تحوم فوق بناية المشفى هذه الليلة...

جلس طارق الساعات المتبقية في توتر، يُريد الرحيل من المشفى في أسرع وقت، حتى عندما اتصل زميله في النوبة الصباحية يستأذنه في التأخر لبضعة دقائق، رفض ذلك، تحجج أن لديه ميعادً هامًا، فاتفقا على أن يرحل ولا ينتظره، ولكن عليه أولًا أن يثبت حضوره في الكشوف في السابعة قبل خروجه، خدمة لزميل عمله، ألقى طارق نظرة أخيرة على الغرفة من بعيد وغادر المبنى في السابعة تمامًا..

يشعر بالقلق والخوف من صدى ما فعله اليوم، لا يعرف سر ذلك فهو لم يتم كشفه في المرتين السابقتين، يسأل نفسه ما الذي تغيَّر الآن ليشعر بكل ذلك الخوف؟

أكانت خِطبته من الفتاة التي يُحبها أم شيئًا آخر؟

وصل إلى البيت، دلف إلى غرفة أمه ليقبل جبهتها كالعادة، ثم دخل غرفته، أغلق خلفه الباب دون جَلَبَة، جلس على فراشه ينظر لهاتفه، ينتظر اتصالًا من المشفى يبلغونه بضرورة عودته للتحقيق فيما حدث..

لكنه لم يتلق أي اتصال، مدد جسده على السرير وأغمض عينيه لعله يُغط في نوم عميق يرحمه من التفكير، استمر في التقلب على جانبيه لساعات، أخذ ينسج الأحداث في مخيلته ويطمئن نفسه، أنهم بحلول هذا الوقت قد اكتشفوا موت المريضة، ولعلهم قاموا بإصدار قرارهم بالدفن سريعًا؛ لأنها وحيدة على ما يبدو أو مشردة، لم يسأل عليها أحد منذ أن جلبها السائق، لم يُنشر لها إعلان تنويهي في الجرائد، لم تبحث عنها الشرطة، كل تلك الأحاديث في رأس طارق، جعلته يطمئن بعض الشيء، وما إن أغلق عينيه وبدأ في الاسترخاء، حتى سمع صوت أمه تُوقظُه لاقتراب موعد عمله.....

قام أول ما قام على هاتفه، ينظر إلى جملة مكالمة فائتة، فتح الهاتف سريعًا ليرى اسم: حبيبتي حور، كانت هي المتصلة، ولا شيء من المشفى حتى الآن...

ثلاث ساعات أخرى قضاها مع والدته قبل أن يذهب إلى العمل..

بخطوات باردة ودقات قلب تسابق عقارب الساعة، دخل طارق إلى المشفى، تبادل التحية مع عامل الأمن كالعادة، صعد إلى الأعلى ودخل غرفة الممرضين بعد أن ملأ رئتيه بالهواء وأفرغها عدة مرات ليطرد التوتر، يستدعي بعض الاسترخاء..

زميله يقوم بتغيير ملابسه استعدادًا للرحيل، على وجهه بعض العبوس، حاول طارق استيضاحه عندما قال:

*«لقد كانت ليلة أمس مرهقةً جدًا، من سماع أصوات صريخ أهالي الأشخاص الذين ماتوا في الحادث، إلى العمل المرهق مع الحالة في الغرفة رقم ستة وستين..».*

نظر له زميله قائلًا:

*«نعم كانت ليلة صعبة بالتأكيد..».*

عاد طارق بنبرة معتذرة وقال:

*«لذلك لم أقدر على انتظارك في الصباح..».*

أجابه قائلًا:

*«لا عليك، قد جئت في الوقت المناسب..»*

ثم تابع بشيء من الغموض:

*«لأكون حاضرًا لتلك المعجزة التي حدثت في الصباح»*!.

نظر طارق في عينيه وقال:

*«أي معجزة»*؟.

أجابه زميله قائلًا:

*«عندما أتيت كانت الحالة في غرفة رقم ستة وستين فاقدة للوعي، كان قلبها على وشك التوقف، أو توقف بالفعل، استدعيت الطبيب لإنعاشها على الفور، وبعد عدة صدمات بالكهرباء، تم انعاشها واستعادة قلبها للعمل بالشكل المطلوب، كانت تعاني مشكلة في جهاز التنفس والتي تم تداركها أيضًا..»*.

كان طارق يسمع لزميله باهتمام يراقب إن كان في كلماته أي تلميح باتهامه بالتقصير، لكنه تفاجأ عندما تابع زميله قائلًا:

«المعجزة يا صديقي أن بعد ست ساعات فقط من كل ذلك، رأيت هذه السيدة تمشي على قدميها إلى المرحاض بمفردها بدون مساعدة.. «!.

قال طارق محاولًا إخفاء علامات الدهشة على وجهه:

*«حقًّا إنها حالة غريبة، سأذهب لها بعد قليل لأعرف قصتها..».*

قال زميله ضاحكًا:

*«لن تستطيع فعل ذلك، فالسيدة غادرت المشفى منذ قليل..»!.*

قالها ورحل، وترك طارق في صدمة كبيرة، مشاعر متضاربة.. عن نجاة السيدة وعدم موتها، خروجها المفاجئ، هل تعرف عن محاولته لقتلها، تمنى أن يمر هذا الموقف على خير، كأنه لم يحدث...

قضى ليلته في خوف وترقب قاتلين، يشعر أنها ستعود في أي لحظة لتنتقم منه.. يكاد يُجزم أنه سمع صوتها أثناء مروره من أمام الغرفة..

قضى ليلة عمله التالية كذلك، مما جعله يطلب تغيير عمله بالليل إلى الصباح، وكان قد اتفق مع زميلة توفيق على ذلك بعد ما وجد بعض الصعوبة في إقناعه ولكنه في الأخير قبل ذلك...

بعد مرور عدة أيام على عمله بالنوبة الصباحية، نسي طارق ما حدث مع حور تلك الليلة، أو لنقول أنه تناسى، ليس

من الجيد أن تقف عند كل مصيبة تقابلك وتظن أنها نهاية الحياة، الحياة تستمر وعليك أن تتكيف معها...

الساعة الحادية عشرة مساءً خرج طارق من المشفى بعد انتهاء عمله، وقف بضعة دقائق في انتظار سيارة حتى وقفت له واحدة..

صعد إليها بعدما أخبر السائق عن وجهته، فأومأ له موافقًا بدون أن يتفوه بكلمة..

أثناء الطريق وجَّه طارق بعض النظرات للسائق المنحني الظهر، الذي يرتدي قميصًا من الصوف الثقيل الغير مناسب مع الجو هذه الأيام، لكنه لم يتوقف عند هذا كثيرًا..

بعد صمت طويل أخيرًا تحدث السائق قائلًا:

«*يوجد حادث في آخر الشارع، علينا السير من طريق آخر لكي لا نعلق بها..*».

أجابه طارق قائلًا وكأنه يريد أن يكافئه على سماع صوته..

«*حسنًا اسلك بنا طريقًا آخر، افعل ما تراه مناسبًا..*».

أومأ السائق برأسه مرة أخرى..

فهم الآن طارق سبب عدم تحدث السائق كثيرًا بعدما اتضح له أنه يعاني صعوبة في النطق ويتهته أثناء الحديث..

وضع عينيه في هاتفه وترك مهمة إيصاله للسائق..

بعد مرور أكثر من نصف ساعة نظر طارق من النوافذ على يمينه ويساره لا يرى سوى الظلام، قال ببعض القلق:

*«ما كل هذا الظلام أين نحن الآن»؟.*

لكن السائق لم يجب عليه..

عاود سؤاله بنبرة صوت أغلظ وأعلى..

لكن سمع في المقابل الصمت..

شعر طارق أن سرعة السيارة زادت من بعد سؤاله..

صاح وصرخ حتى أنه كيّل له السُباب، لكن بدون جدوى كفرقة موسيقية أقامت حفلًا صاخبًا لرجل أصم...

شعر طارق بالقلق ثم تمكن الخوف من أطرافه حين تردد في عقله الحكايات التي يسمعها عن تجارة الأعضاء البشرية، وأنه اخْتُطِف الآن من أجل ذلك..

فكر سريعًا ثم اتخذ قراره، مد يده إلى الباب وفتحه، قفز بدون تردد أثناء سير السيارة بتلك السرعة، وجد أن ذلك أهون عليه من أن يستسلم للموت بدون أن يحاول، لعله يجد من ينقذه..

ارتطم جسده الثقيل بالأرض، ليسمع صوت طرقعة عظامه صاحبها ألم شديد في قدمه اليمنى..

أخذ يتدحرج على الرمال بسرعة السيارة، يخدش الحصى جسده ويؤلمه، من حسن حظه أنه لم يرتطم بصخرة كبيرة لهشمت رأسه في الحال، ويكون قد هرب من الموت للموت..

استقر جسده، يشعر بكل شيء يتألم فيه، لكن الأكثر ألمًا قدمه اليمنى، فتح عينيه ليرى السيارة في مكان ليس ببعيد عنه..

تفاجأ بوجود سيارة أخرى خلفه..

بصوت لا يكاد يتجاوز حلقه قال:

«*ساعدوني، أنا مصاب ....*».

أنوار السيارة العالية تمنعه من رؤية الشخص القادم، يرفع يده بصعوبة ليحجب الضوء عن عينيه، ليرى بوضوح، يقول: «*ساعدني، ساع ........*».

ابتلع الكلمة مرة أخرى، عندما نظر إلى الشخص الواقف فوقه، يُرمقه بنظرات، ارتجف قلبه منها.....

# 20

ينظر إلى الشخص الواقف فوقه بذهول، ترتعد مفاصله كلها

عدا ذلك المفصل المكسور في قدمه اليمنى..

وقبل أن يتفوَّه بكلمة واحدة تلقى ضربة قوية على خلفية رأسه ليفقد الوعي مباشرةً..

بعد عدة ساعات...

يفتح عينيه بصعوبة، ما زال الضجيج يعصف برأسه من شدة الضربة، يُحاول أن يتنفس بشكل جيد، لعل ذلك يهدئ من تخبط أفكاره..

مقيد على كرسي خشبي، يُحرك يديه المكبلة بحبال سميكة خلف ظهره، لم تُغلق عيناه ولم يُكمم فمه، قد شعر بكل ذلك قبل أن يفتح عينيه، وما إن فتحها حتى رأى أنه داخل مستودع كبير، سقفه من صفيح مُتهالك، يصدر أصوات صرير خفيفة مع الرياح، حرك رقبته في صعوبة وحذر، ليستكشف باقي المكان، شعر بتقلصات حادة في معدته، عندما وجد في الركن المقابل له رجلًا آخر مقيدًا على كُرسي خشبي مثله، تلفّت حوله سريعًا قبل أن يقول بصوت خافت:

«*أنت، أين نحن*»؟.

لم يتلق أي إجابة منه..

حاول التواصل معه أكثر من مرة، لكنه لم يسمع من الرجل سوى أنين، فقط أنين..

صمت طارق ودقق في وجه الرجل أكثر حتى كاد يُبلل بِنطاله مما رأى، عندما وجد الرجل وقد فُقئت عيناه..

ارتعد طارق من تفكيره في مصير مماثل قد يؤول إليه..

لكنه أظهر بعض التماسك حين سمع أحد الأبواب تُفتح..

صوت خُطى الأقدام إليه كادت أن تُوقف قلبه..

إلى أن جاءت ووقفت أمامه وقالت:

«*من أرسلك لقتلي*»؟.

كانت علامات الدهشة والتعجب على وجه طارق من تغير حال السيدة، أكثر ما يفترض أن يكون بداخله من الخوف..

مما جعله يجيب على سؤالها بسؤال قائلًا:

«*كيف استعدْتِ عافيتك بتلك السرعة*»؟.

أجابته حور قائلة:

*«ألم يُخبرك من أرسلك لقتلي عمَّا أستطيع فعله»؟.*

قال طارق:

*«ولكني لا أعرفك، ولم يُرسلني أحد لقتلك..».*

نزلت صفعة قوية على قفا طارق كادت أن تذهب ببصره من قوتها..

نظرت حور إلى راشد الواقف خلفه، والذي رأى أن بإمكانه أخيرًا أن يلعب دور المخبر الذي يراه دومًا يفعل ذلك في الأفلام، ليعترف المجرمون بخطاياهم..

أقسم طارق على صدقه فيما قال..

قالت حور:

*«أترى ذلك الرجل المقيد هناك..».*

قال طارق بدون أن ينظر:

*«نعم..».*

قالت:

*«لقد استغل ضعفي تلك الليلة واغتصبني لعدم قدرتي على دفع أجرة توصيلة، هو صاحب السيارة التي أتت بك بالأمس إلى هنا، هل تعلم ما فعلت به»؟.*

أجابها طارق بارتجاف..

*«فقأتِ عينيه...».*

ضحكت حور قائلة..

*«نعم، ولكن لم يكن هذا كافيًا لمعاقبته على ما فعل، بالأخص حينما اعترف أني لست الضحية الأولى له؛ كان يوجد قائمة صغيرة قبلي من الفتيات والنساءِ اللَّواتي يخفن من مواجهة أمثاله، لذلك كان عليَّ معاقبته بما فعل».*

صمتت حور بعدما أشارت لراشد ليحضر الرجل أمام طارق واقفًا مجردًا من ثيابه.. ثم قالت حور بغضب..

*«قد فقأت عينيه، ثم قطعت لسانه، ثم قطعت ذلك السلاح القاطن بين فخذيه، الذي كان يفتخر به كثيرًا، قد رأيت ذلك بنفسي..».*

توقفت عن الحديث شاردة وكأنها تتذكر تلك الليلة ثم تابعت..

*«تُرى كم سيدة وفتاة دمرهن هذا الحيوان بنزواته تلك، كم حياة توقفت وكم نفس نزفت، لكن الآن أصبح كما ترى لا رجل ولا حتى امرأة، لن أقتله سأدعه يرحل هكذا، ومن الممكن أن تختار أنت أيضًا بين مصيره، وبين الموت*

*والراحة..».*

ابتلع طارق ريقه بعدما جف حلقه من مجرد التخيل في هذا المصير، وقال:

«*أبي*»!.

قالت حور قبل أن يكمل حديثه:

«*من أباك وهل يعرفني*»؟.

تابع طارق قائلًا:

«قد مات أبي منذ بضعة سنوات قليلة، كان يعمل ممرضًا في مستشفى حكومي طيلة أربعين عامًا..

في آخر أيامه أصيب بالمرض الخبيث، دعاني إليه وقتها وقال لي عن السر الذي أخفاه عن الجميع..».

صمت طارق قليلًا ثم تابع:

«*كان أبي يؤمن بنظرية القتل الرحيم، وقد آمن بها بعد أن طلب منه أحد الأطباء ذلك، بعد إصابته بمرض نادر يقتله كل يوم بالبطيء، أخذا حينها يتناقشا ويتبادلان الحجج حتى أقنع الرجل أبي ودلَّه على العقار الذي سيستخدمه لذلك، عقار يُضعف عضلة القلب ويؤدي إلى السكتة القلبية، بدون أن يُلاحظ بها شبهة جنائية..».*

دمعت عينا طارق عندما قال:

*«لقد طلب مني حين مَرِض، أن أفعل الشيء نفسه معه، قال: إنه لن يستطع تحمل هذا الألم كل يوم، قال: إنه لم يندم قط على هذا، بل كان يشعر بالرضا العميق عند كل مرة يحرر فيها روحًا من العذاب بهذه الخدمة الجليلة، وأوصاني أن أمتهن التمريض لأكمل مسيرته وأخطو على نهجه، وقد فعلت..».*

وأضاف طارق..

*«أصعب وقت حين حقنته بالعقار ورأيته يموت أمامي، والابتسامة تعلو وجهه، شعرت حينها أني قتلت أبي، لكن بعد ذلك ذهب عني ذلك الشعور وتبدل، اليوم أرى أني قد أنقذته من العذاب، وكذلك كانت نيتي عندما فعلتها معك..».*

نظرت حور إلى راشد الذي أزال الغطاء عن قبرين قد تم حفرهما مسبقًا، ثم تم إلقاء قطعة حديدية في أحدهما أمام أعين طارق ليسمع صوت ارتطامها بالقاع بعد بضعة ثوان مما يدل على عمقها الكبير..

تحدث طارق قائلًا:

*«كنت أعتزم ترك العمل في التمريض، أنا أكره رائحة*

*المشافي، أشعر أن الموت يتسلل هناك ليبحث عن ضحية جديدة باستمرار، أكره المرض، قررت أن أترك العمل لولا .....».*

صمت طارق قليلًا ثم قال:

«*لولا أني أحببت فتاة وتقدمت لخِطبتها، والدها حدَّد مهلة قصيرة لكي أتمم كل شيء وإلا لن يُزوجها لي، لولا حور لكنت الآن أبحث عن وظيفة أخرى*...».

لفت اسم الفتاة انتباه حور، قالت في نفسها تلك مصادفة لا أكثر، فهي لم تعد تؤمن بالإشارات التي توحي بأشياء من مثل هذه المواقف ولكن قالت على سبيل اللا شيء:

«*ما اسم والدها*»؟.

قال طارق وكأنه يُريد أن تُعيد سؤالها على أذنيه مرة أخرى..

«*عذرًا*...».

أعادت حور السؤال عليه..

أجابها تلك المرة وقال:

«*الشيخ قناوي*...»

وقعت الحروف على أذن حور كالرعد، لم تتمالك نفسها من الصدمة تُحدث نفسها قائلة:

أيُعقل أن تصل المصادفة لذلك الحد، ثم قالت:

*«ما اسم أبيه، صفه لي...»؟*

استغرب طارق لطلبها، لكنه على استعداد لفعل أي شيء في مقابل نجاته من تلك المرأة...

لم يتذكر اسمه، لكنه قام بوصف قناوي وصفًا دقيقًا..

لم تستفد حور بشيء مما قاله، فكأنه يصف شخصًا آخر لم تقابله قط، لقد مرت سنوات طويلة، بالتأكيد قناوي الذي كان يجلس معها على طاولة طعام واحدة منذ سنوات، ليس هو قناوي اليوم..

غادرت حور المستودع بعد أن أخذت من طارق عنوان خطيبته..

وتركت راشد وراءها ليهتم بالرجلين...

# 21

تسربت الدموع من عينيه، عندما بلغ إلى مسامعه لحن حزين يشدو من آلة ساكسفون من مكان قريب، اهتز به داخله، اخترقت قوة الآلة ذلك الضجيج في رأسه، أعادته هذه المعزوفة إلى شعوره بالوحدة بعيدًا عن أهله، ما زال ناقمًا على معاملة أبيه الجافة، ما زال يسأل نفسه السؤال ذاته كل يوم، ما جرمه ليستحق هذه المعاناة؟

ينظر إلى البحر الذي يعكس ضوء القمر على سطحه، تداعب وجهه نسمات الهواء الباردة، انقطع الصوت الذي كان يصل لأذنه مع انتهاء المعزوفة، حل مكانها صوت ارتطام الأمواج أمامه، وكأن البحر قد توقف احترامًا لصوت الساكسفون الشجي، الذي تغلغل في نفسه، لتنسلّ دموع عينيه بغتة من بين جفونه، شعر بالحنين لأيام لم يعشها قط، فقط تمناها...

في ذلك الحين أدرك غلاب عودة صديقه كريم على مقربة منه، فمسح بيده بهدوء ليزيل ما تبقى من أثار الدموع على وجهه..

صاح كريم بحماس:

*«وصل الطعام، لم أتأخر أليس كذلك، لقد تحايلت لأخذ*

*طلبي أولًا رغم الزحام..*».

أومأ غلاب برأسه مبتسمًا على طريقة حديث صديقه..

جلس الاثنان في مكانهما أمام البحر، وأخرج كريم من الكيس لفائف من الورق بداخلها أنصاف كثيرة من الخبز الطازج، التي مُلئت عن آخرها بالكبدة الإسكندرانية، أخذا يأكلانِ بنهم شديد..

عندما هدأت الجلبة، لاحظ كريم شرود غلاب، وأنه ليس بالحال الذي تركه عليه منذ قليل..

فقال:

«*ألم تفكر بعد في نيل أجازة لزيارة عائلتك، أنت هنا منذ شهور*»؟

أجابه غلاب باقتضاب..

«*قريبًا سأفعل..*».

لم يُرد كريم التحدث في ذلك كثيرًا؛ لأنه يعلم أن غلابًا يضيق صدره، كلما تحدثا عنه..

نظر الاثنان إلى البحر، يُكملان طعامهما بجانب محاولات كريم لإلقاء عدد من النكات السخيفة كي يغير مزاج صاحبه..

***

ما زالت حور تراقب ذلك العنوان من بعيد في أوقات متفرقة من اليوم، مرتدية نقابًا يخفي وجهها لكيلا يتعرف عليها أحد، إذا ما كان هذا هو العنوان المنشود، لم تر سوى فتاتين يخرجان ويعودان باستمرار من البيت، لم تر الأب حتى الآن، يبدو أنه قليل الخروج، لم تر الأم أيضًا منذ عدة أيام، لكن رغم هذا كله بداخلها شعور يُبشرها بالاقتراب، لا تريد أن تكشف نفسها بالاقتراب أكثر، أو تتصرف بتهور فتعود إلى نقطة البداية من جديد..

تُريد أن تعيش على هذا الأمل قليلًا، حتى لو كان ما تشعر به غير صحيح....

بعد عدة أيام، عندما كاد اليأس أن يتمكن منها، رأت رجلًا يرتدي عباءة سوداء، يخرج من البيت متوشحًا حول رقبته بشالٍ من الصوف، على رأسه عمامة، ما زالت بنيته وملامحه كما هي لم تتغير كثيرًا، تعرفت عليه على الفور عندما مر من أمامها، لم تلبث حتى انطلقت في أعقابه...

لقد فادها ارتداء النقاب كثيرًا، حيث جعلها تصعد إلى الحافلة ذاتها التي استقلها، لم تجد عناء كثيرًا في تعقبه، بعد حوالي الساعة هبط من السيارة في آخر الخط، كانت خلفه، حين رأته يوقف سيارة أخرى ويصعد فيها، فعلت الأمر ذاته،

طلبت من السائق على الفور تعقب السيارة التي صعد فيها..

لا تعلم سبب الفضول لديها لتعقب قناوي، كانت تراقب البيت لتتأكد منه، وقد تحقق ذلك بعد رؤيتها له منذ قليل، عيناها مثبتة على السيارة التي استقلها، لكن عقلها يفكر في طريقة انتقامها منه، تُريد أن تعود إلى البيت في أسرع وقت لتعمل على ذلك، لكن الفضول يمنعها من عدم تتبعه..

بعد وقت ليس بالطويل توقفت السيارة أمامهم، ترجل منها قناوي، دفعت حور للسائق ورقة نقدية كبيرة، لم تنتظر حتى يُعيد لها الباقي، أشارت له أن يحتفظ به، مكافأةً على مهارته في القيادة..

تتحرك خلفه بحذر، لكيلا تلفت نظره إليها، قد يكون لمحها في السيارة الأولى، ولو رآها الآن قد تدور في رأسه الشكوك حولها...

كانت تسير خلفه بخطوات بطيئة، حتى وقف بغتة، راقبته، ينظر حوله في ترقب، كأنه خائف أن يتعرف عليه أحد هو الآخر..

لاحظت أنه ينظر إلى أحد البيوت بجوار مبنى رمادي مميز يبدو كالقصر، تشعر أنها رأته من قبل، يبدو مألوفًا جدًا لها..

كان قناوي يقف متواريًا عن الأنظار، تنظر إليه حين أخرج

من جيبه علبة سجائره وأشعل لفافة منها ووضعها في فمه، أخذ منها نفسًا عميقًا، أغلق معه جفون عينيه قليلًا..

بعد إشعال لفافة التبغ الخامسة بقليل، آلمتها قدماها، ملت من الوقوف هكذا وفكرت في الرحيل، لاحظت حور حركات غير طبيعية على قناوي، ألقى السيجارة من يده قبل أن ينتهي منها، أعطى ظهره للمبنى، ووضع الوشاح الصوف على وجهه بحيث تكون عيناه فقط الظاهرة منه..

كان يتابع بعينيه رجلًا خرج من ذلك البيت، في هذا الوقت تذكرت حور أين رأت ذلك القصر المميز، علت ثغرها ابتسامة منتصِر من تحت نقابها، تنظر إلى أخيها مطاوع يسير بالقرب منها....

لم تشعر بأي شيء تجاهه، غير فرحتها أخيرًا بالوصول إليه..

سنوات من الغضب والضياع، سنوات كاد اليأس فيها يقتلها، قد حان الوقت الآن لتحصل على انتقامها..

لا تصدق الصدفة التي جاءت بها إلى هنا، وربما هي ليست صدفة، لعل كل شيء كان مدبّرًا...

رحل قناوي من المكان، لكنها لم تذهب خلفه، بل اقتربت أكثر إلى البيت وظلت لثوان واقفة أمامه، كأنها لا تصدق أنها

وصلت إليهم بعد كل ذلك الوقت من الانتظار، لم يرق قلبها للدم الذي يربطها بأخيها؛ لأنه يوجد دم آخر يربطها به، وهو دم زوجها شافع الملطخة أيديهما به..

لقد بدأت تفكر في كيفية تنفيذ انتقامها، تراجعت عدة خطوات ومالت للأسفل كأنها تبحث عن شيء سقط منها، كان ذلك حين رأت طفلًا صغيرًا يخرج من البيت، نظرت له خِلسة، علمت أنه ابن أخيها من الشبه الكبير بينهما..

لم تزدد برؤيته غير تعطش لسرعة الانتقام، حدَّثت نفسها قائلة:

«*لقد قتلوا زوجي ودمَّروا حياتي، ثم جاءوا إلى هنا ليتزوجوا ويصبح لكل منهما عائلة، لم يكترث أحد منهما لأمري، لم يفكِّرا إلا في أنفسهما..*».

ثم قالت بصوت مسموع غاضب:

«*سأدمِّر عالمهما هذا عن آخره...*».

غادرت المكان متجهة إلى بيتها، في سعادة لم تشعر بها منذ أن كان شافع على قيد الحياة....

عندما هدأ ما في رأسها من جلبة فرح الوصول إليهما، برز سؤال شغل تفكيرها كليًا، يطلب إجابة منطقية عليه، وهو

لماذا كان قناوي يراقب أخاها متخفيًا، ما الذي حدث بينهما وفرقهما هكذا؟

دارت في رأسها الكثير من الأجوبة والاحتمالات، ولكن لم تعثر على إجابة منطقية ترضيها..

عادت إلى البيت، علامات السعادة ما زالت تعتلي وجهها، قالت لراشد الذي استقبلها بوجه متفائل لسعادتها:

*«أريدك أن تُجهز هذه الغرفة، سأقضي فيها ليلتي»*.

كانت تشير بيدها إلى الغرفة الخالية المخصصة لسيدها ناصور..

فهم راشد أن عليه تزويد الغرفة بالبخور والشموع، وبعض الأحشاء من قطط أو خراف، ولا ضير إن كانت آدمية، فقد قرأ عن كل ذلك في الكتاب، وأصبح لديه معرفة كبيرة به..

بدأ راشد في تنفيذ ما أُمر به على الفور، في حين صعدت حور إلى غرفتها لتنال قسطًا من النوم حتى تكون بذهن صاف في الليل، ستنام براحة لم تعهدها منذ سنوات...

بعد منتصف الليل كانت حور داخل الغرفة بمفردها، لا إضاءة غير لهب الشموع..

جالسة أمام الدائرة البارز منها النجمة الخماسية المقلوبة

المدون حولها عدد من الطلاسم والرسوم، مغمضة العينين، تتمتم بكلمات بعضها مفهوم، في يدها سكين صغير، تسارعت تمتماتها بنبرة صوت متصاعدة، حتى صمتت مرة واحدة، حركت يدها التي تمسك السكين ووضعت نصلها الحاد في كف اليد الأخرى، ضغطت عليها بلا مبالاة وسحبتها بقوة، لتنفجر الدماء من يدها بكميات كبيرة، حتى صار لون يدها أحمر، وجهت كل هذه الدماء إلى غلاف الكتاب، التي مزقت من صفحاته من قبل، كان الدم يختفي من غلافه الجلدي كأنه يتشربه ويحتفظ به في مكان ما..

أخذت الصفحات البيضاء تمتلئ بالكلمات والرسوم ذات اللون الأحمر والأسود، ظلت تقلب في صفحاته لتتأكد من ظهور التعاويذ في الكتاب بأكمله..

أخذت تقرأ، وكأن الكتاب يعرف ما تفكر فيه، التعاويذ جميعها تتحدث عما في رأسها...

قرأت عن طرق كثيرة، منها قطع الرقاب، دفن الأحياء، الإصابة بالمرض، الموت البطيء الواحد تلو الآخر في مدة قصيرة..

أشياء كثيرة، لكن أقواها وأيسرها كانت تعويذة الحرق..

كل ما ستحتاجه أن تعرف أسماء الأشخاص في البيت،

ترسم البيت على ورقة والأسماء والطلاسم حولها، تردد الكلمات، وتُشعل النار في الورقة، يشتعل البيت بمن فيه في الحال، لن يدخل أحد ولا يخرج حتى تحترق الأسماء الذي دونتها بجانب التعويذة..

سيقوم الجن بذلك، وسيبدو أمام الجميع أن سبب الحريق ماس كهربائي لا شبهة جنائية فيه....

كان هذا بالتحديد ما تريده حور..

أن تحرق عالم مطاوع وقناوي اللذين ظلا يبنيانه كل تلك السنوات...

ضحكت بصوتٍ عالٍ حين تخيلت ذلك المشهد في رأسها، أخذت تضحك وتضحك حتى تحول صوتها إلى شيء مرعب، كأن شخصًا آخر أو دعنا نقول: كأن كيانًا آخر يضحك من خلالها...

# 22

وصلت والدة طارق إلى حالة حرجة، بعد مرور أيام على تغيب ولدها، لم تتركها حور منذ ذلك اليوم، حتى أنها ذهبت معها لإبلاغ الشرطة عن اختفائه، لكن لم يعودوا إليهما بأي خبر، حثت حور أباها للبحث عنه في المستشفيات، وقد فعل، دون جدوى..

كأن الأرض قد ابتلعته بدون أن تترك له أي أثر....

***

في مركز شرطة أول بنها بمحافظة القليوبية، إحدى محافظات إقليم القاهرة الكبرى، تلقى الضابط المناوب بلاغًا من إحدى المستشفيات القريبة يفيد بقدوم رجل يبدو عليه التعرض للتعذيب الشديد..

انتقل الضابط على الفور ليحقق في الأمر..

في المشفى وجد الضابط أنه أمام رجل لا يرى ولا يتحدث، في حالة شديدة من الضعف، أخبره الطبيب أن أحد الأشخاص جاء به إلى هنا بعد أن وجده ينام في موقف سيارات لعدة أيام، يعيش على ما يقدمه له الناس من طعام..

ثم تابع الطبيب أنه اكتشف أن العضو الذكري للرجل مبتور

بعد أن وجده يتبول بطريقة لا إرادية أكثر من مرة..

اقترب منه الضابط وحاول التواصل معه، طلب من الطبيب أن يجلسه على السرير قليلًا، ثم قام بسؤاله قائلًا:

*«معك الضابط عز الدين جلال، أريد منك أن تطمئن، إذا كنت تسمعني حرِّك يدك اليمنى»؟.*

ففعل الرجل ذلك..

عاود الضابط سؤاله:

*«هل بإمكانك الكتابة؟ إن كان جوابك بنعم حرك يدك اليمنى، وإن كان بلا، حرك اليسري»؟.*

حرك الرجل يده اليمنى مرة ثانية...

تنهد الضابط وطلب من الطبيب إحضار ورق أبيض وقلم، فأحضرهم الطبيب على الفور..

وضع الضابط القلم والأوراق بين يدي الرجل وسأله في البداية عن اسمه وسنه وعمله، وحالته الاجتماعية، ثم سأله قائلًا:

*«من فعل بك هذا..»؟.*

كتب السائق بخطٍّ غير متناسق بالكاد يُقرأ...

*«امرأة تعمل في السحر، كانت تنتقم مني لاغتصابها ذات يوم»*.

توقف الرجل قليلًا ثم تابع كاتبًا..

*«لم تُرد قتلي، أرادت تعذيبي طوال حياتي..»*.

سأله الضابط:

*«هل تعرف اسمها»*؟.

كتب الرجل..

«لا».

حاول الضابط حثه على وصفها طالما أنه قام باغتصابها ذات يوم، لم يكتب الرجل شيئًا سوى أنها طويلة بعض الشيء، وكأنه يلقي بحبةِ ملح في بحر ويطلب منه إيجادها..

سأله الضابط عن عائلته وعنوان بيته، فأجابه..

أمر بعودته إلى أهله بعد شفائه، وقبل أن يُغلق التحقيق..

كتب الرجل جملة قال فيها:

*«كان يوجد شخص آخر معي، لم أكن بمفردي، لكن مساعد هذه السيدة قام بقتله ...»*.

كان السائق قد سمع أجزاء من الحوار الذي دار بين طارق

وحور أثناء جلوسه مقيدًا في المستودع، وعلم أنه يعمل ممرضًا بإحدى المستشفيات، وقد تأكد من قتل راشد للشاب بعد أن غادرت حور المكان ذلك اليوم..

قد أخبر الضابط بكل ما سمعه....

حاول وصف المستودع، لأنه رآه حين وصل إلى هناك أول مرة، عندما أزال راشد العصابة عن عينيه، ظنًّا أنه لن يخرج منه حيًّا...

عاد الضابط إلى مركز الشرطة وأدخل بيانات طارق ليجد بلاغًا على نظام الشرطة الموحَّد منذ عدة أيام، عن اختفاء شاب يعمل ممرضًا في إحدى مستشفيات القاهرة...

قدَّم أمرًا للبحث عن مكان مستودع بهذه المواصفات لاحتمال العثور على جثة الشاب، أو دليل يساعدهم في القبض على تلك السيدة....

***

طلبت حور من راشد أن يتقصَّى عن عائلة أخيها وأسماء زوجته وأولاده، دون أن يلاحظه أحد، وقد فعل..

يوم واحد كان كافيًا ليخبره الجيران بذلك..

كل شيء جاهز للبدء في تنفيذ تعويذة الحرق، عقبة

واحدة وقفت أمامهم، علمهم أن لمطاوع ابنًا كبيرًا يعمل في محافظة أخرى اسمه غلاب، يبتعد عن البيت لشهور..

انتظرت حور عدة أيام أخرى لعل الصدفة تلعب دورها ويعود، لكن هذا لم يحدث، ولم يعد في نفسها طاقة لانتظار يوم آخر، قررت أن تؤجل موت غلاب..

في اليوم التالي وبعد أخذ مباركة سيدها، خرجت من الغرفة في ساعة متأخرة من الليل، مرتدية عباءتها ونقابها، تقبض يدها على الورقة التي رُسم فيها معالم البيت، وبداخله أسماء كل من زوجته وابنه بجانب اسمه، كتبت التعويذة على شكل دائري حول رسم البيت، ذهبت إلى المكان، وقفت في ركن قريب أمام البيت، نظرت إليه للحظات، تذكرت فيها كل شيء فعله مطاوع معها، كل شيء، حتى أنها لامته على وطئها يومًا، رغم أنها مَن دفعته لذلك دفعًا..

أخذت تتمتم بالكلمات وتكررها، مغمضة العينين لاستحضار قوة ناصور معها، بعد بضعة ثوان، فتحت عينيها التي عكست الشر العميق بداخلها، أشعلت الورقة، وما إن وصل الحريق للبيت المرسوم حتى اشتعرت النار وتأججت في بيت أخيها أمام أعينها، أصوات الهجيج والتغيّظ، أيقظ الشارع بأكمله، لم تتخيل حور سرعة النار وعظمِها...

داخل البيت كان مطاوع ينام بجانب زوجته في غرفة

نومه، عندما رأى دخان كثيف يتسرب إليهم من تحت الباب، انتفض مذعورًا على ولده الصغير، النائم في الغرفة المجاورة، أيقظ زوجته بصراخه عليها، وهرول إلى خارج الغرفة، ينظر بذهول لجدران البيت التي تحترق من كل جانب، كادت ألسنة اللهب أن تحرق وجهه، عندما فتح باب غرفة ابنه الصغير، الذي كان يصرخ مفزوعًا بعد أن أيقظته الحرارة، اقتحم مطاوع بشجاعة سعير النيران وهجيجها ليُخرج طفله منها، ألقاه بين يدي أمه، وقف ثلاثتهم في منتصف البيت في ذهول مما يرون.

ذهب مطاوع إلى الباب ليفتحه، وجده منيعًا ساخنًا كصخرة جبل أسفل فوهة بركان، عندما يئس منه حاول تحطيم النوافذ، وكأنها تحولت هي الأخرى لزجاج مضاد للرصاص، موصدة غير قابلة للفتح...

كأن البيت قد تحول لمقبرة عميقة ردم سطحها بالخرسانة والحديد، مقبرة مشتعلة عليهم لا مفر منها...

الجميع يصرخ، الجميع في حالة هلع، النيران لا تتوقف، لا مصدر محدد لها، تزداد أجيجًا ووهجًا..

احضتن مطاوع زوجته وطفله الصارخين من شدة الحرارة بين يديه في منتصف الغرفة، يرى النيران قادمة إليهم من كل اتجاه، لا يرى منها مهربًا....

اجتمع مجموعة من الأشخاص أمام البيت المشتعل، فذهبت حور بخطوات سريعة نحوهم بفزع مصطنع لما ترى، أخذت تنظر إلى البيت بوجه عابث لا يعكس ما بداخلها من شعور بالانتصار والزهو، أنها فعلت ذلك.....

***

في اليوم التالي تلقى غلابًا اتصالًا من أحد أصدقائه يخبره بما حدث، كاد قلبه أن يتوقف من وقع ما سمع، شعور غريب اجتاح داخله، مرير وصعب، كيف يخسر في لحظة عائلته بأكملها، لملم ما استطاع من أغراض وغادر الإسكندرية على الفور..

تدفقت الأفكار في رأسه، كشلال يحفر باندفاعه داخله ويعمق جراحه، أحقًّا لن يرى أمه وأخاه مرة أخرى، أحقًّا رحل أبوه عنه وقد عاشا الأعوام الماضية بهذا الشرخ بينهما، كان لليوم ما يزال يُمني نفسه بالوقت الذي سيجلسان ويشرحان فيه ما أزعجهما ويعيشان كأب وابنه، كان ما زال يحتفظ ببعض الأمل...

بعد بضعة ساعات كان غلاب يقف أمام المشرحة، خرج رجل كبير حين علم بوجوده وقال:

*«البقاء لله، لا تجزع يا بني، لقد فعلنا ما بوسعنا لتغسيلهم،*

*وما كان بإمكاننا غير أن نجعل الماء تنساب عليهم، لقد كانت أجسادهم ملتصقة ببعض، لكننا فصلناهم ليُدفن كل واحد منهم داخل مقبرة بمفرده..».*

دخل غلاب ليُلقي نظرة أخيرة عليهم بصحبة الرجل، لكنه كاد أن يخر على وجهه مما رأى، كانت الجثث سوداء متفحمة لا ملامح لها، لم يميزهم إلا هياكل أجسادهم المحترقة..

أخذهم غلاب ليدفنهم ومعه بعض الرجال من جيرانه وأصدقائه...

في الجبل وأثناء الدفن رأى غلاب سيدة تجلس أمام قبر والده تصرخ باكية باسمه، تضع التراب فوق رأسها من شدة الحزن..

أخذت تقول كلمات مثل..

*«لا تذهب بهذه الطريقة يا أخي، سامحني لأني لم آخذ برأيك، لا تذهب وأنت غاضب مني..».*

لم يوجد صوت في المكان غير صوتها حتى اقترب منها غلاب وقال:

*«من أنتِ»؟.*

قالت:

*«مَن مات هذا أخي، أخي مطاوع..».*

ثم عادت تصرخ وتنوح قائلة:

*«يا ليتني جئت لك قبل ذلك، يا ليتني كنت مكانك الآن..».*

أخذ غلاب بيدها وحاول تهدئتها وقال:

*«لكن أبي لم يذكر أبدًا أن له أختًا»!.*

قالت حور وهي تخرج هويتها:

*«لقد تزوجت على غير رغبته، وقد تبرأ مني منذ ذلك الحين...».*

ثم قامت بسحبه من يده إليها واحتضنته وتابعت:

*«أنت ولده الكبير غلاب، أنا حور عَمتك...».*

بعد الدفن ذهب غلاب مع حور وهو لا يعرف كيف سيتصرف الآن، عقله مشوش من الحزن، تائه لا يستطيع التركيز في شيء..

قال لعمته حور:

*«لقد احترق البيت عن آخره، ولن أستطيع الجلوس فيه على تلك الحالة، سيتكلف إصلاحه مبلغًا كبيرًا من المال،*

*لذلك الأفضل أن أعود إلى عملي في الإسكندرية..».*

رفضت حور ذلك وتشبثت بذهابه معها إلى بيتها، بعد أن أخبرته أنها تعيش بمفردها من بعد موت زوجها..

كانت قد دبَّرت لراشد مكانًا آخر قريبًا منها، أغلقت الطابق الأسفل بالكامل الموجود به غرفة الطقوس، وجهزت الطابق الثاني ليعيشوا فيه، غلاب كان يشعر بالحرج، فبرغم تأكده أنها عمته من الهوية، إلا أنه يراها للمرة الأولى..

وبعد محاولات كثيرة لإقناعه بالمكوث معها وافق، وذهب معها إلى البيت......

# 23

تشعر ميمونة بضيق شديد في صدرها منذ الليلة الماضية، بعد أن رأت في منامها أن خطرًا ما يقترب من أخيها قناوي، شعرت بتلك الخيالات تعود للحوم حولها من جديد، بعد انقطاع طوال الأعوام الماضية، قد بدا عليها الكبر والذبول، ستبدأ عامها الخمسين بعد شهور قليلة.

باتت أطرافها ترتجف بصورة لا إرادية، حتى أنها توقفت منذ فترة طويلة عن الجلوس أمام الفرن لتخبز الفطائر، فكرت كثيرًا في العودة إلى أخيها لتنعم ببعض الراحة وتموت بالقرب منه، كانت تتراجع عن ذلك كل مرة، لكن الآن وبعد هذا الكابوس الذي راودها بالأمس، تجددت تلك الرغبة بداخلها مرة أخرى، أصبحت تفكِّر بصورة جدية في قرار عودتها.....

***

لم تمر سوى أيام قليلة حتى رأى غلاب في عمته شيئًا ما يُعوضه قليلًا عن فقدان أهله، نبع ذلك من شعوره بالاهتمام الكبير التي توليه إياه، تهتم بطعامه وراحته، تواسيه رغم تعرضها للمُصاب ذاته، أخبرته أن وجوده معها يُعوضها عن سنوات فراقها لأخيها..

أما هو فكان يشعر بالذنب بعد وفاة والده، جلس بمفرده وأخذ يحدث نفسه معاتبًا، رأى أنه لطالما عامل أباه بقسوة أكثر مما ينبغي، سأل نفسه، ماذا لو كان يُفسِّر أفعاله بطريقة خاطئة..

كان يحلِّل أقل فعل وكلمة منه، على أنها جفاء وكره..

لقد رآه في حلم واحد بأول ليلة بعد دفنه، بدا وكأنه جاء ليُخبره أنه كان ينوي الاعتذار على جفاءه كل تلك السنوات، جاء ليخبره أنه لم يكرهه أبدًا، كان يشعر بالحزن والأسى لموت أخيه لا أكثر.

شعر أنه مصاب بلعنة ما، لذلك لم يرد التعلق به خوفًا أن يفقده مثل أخيه، فهم غلاب أن هذا الحلم كان إشارة أن أباه كان يُحبه رغم كل شيء، ولم يُظهر ذلك الحب لأجله، لأجل حياته..

لام نفسه كثيرًا، أن كيف بادله هذا الحب بالجفاء..

ولام والده أنه مات قبل أن يبوحُ له بذلك السر، الذي ذهب معه إلى الأبد..

جزعت نفسه وشعر بالحزن، تحدث كما لو كان يتحدث معه بصوت مسموع باكٍ..

*«لو كنت أعرف أنك سترحل قريبًا هكذا، ما كنت ابتعدت عنك ليوم واحد، كنت لأُقبِّل يدك كل يوم وألقي بجسدي بين ذراعيك طويلًا، أفتقدك كثيرًا، أشعر بالضعف بدونك وكأن ظهري قد انقسم، أتمنى لو كانت روحك هنا الآن، لتعلم أني لم أكرهك يومًا..».*

كان يتألم لرحيل عائلته بأكملها، ظن أن هذا عقابًا على ابتعاده عنهم في حياتهم، رحلوا ولم يتركوا له شيئًا منهم يواسيه، بعد أن تحول كل شيء إلى رماد، تمنى لو كان معهم ذلك اليوم، وقضت النار عليهم جميعًا...

لم يترك غلاب نفسه للحزن كثيرًا، فبدأ يبحث عن عمل طالما أنه سيستقر مع عمته في القاهرة...

بعد أيام من البحث تم قبوله للعمل في إحدى شركات التسويق..

مرت الأيام بتكرارها المعتاد، لا شيء جديد، كان يبدو منعزلًا بلا أصدقاء، لا يفعل شيئًا غير العمل والجلوس مع عمته، إلى أن اقترح عليه أحد زملائه الخروج معهم في حملات تطوعية، تابعة لإحدى المؤسسات الخيرية التي تساعد الفقراء والمحتاجين، رحب غلاب بالفكرة وبدأ يذهب في تلك الحملات كل عطلة جمعة...

بدأ غلاب يخرج من وحدته شيئًا فشيئًا...

حتى راودته تلك الكوابيس لأول مرة، لم يقف كثيرًا عندها، لكن كان بينها كابوس يتكرر باستمرار، لدرجة أثارت الخوف داخله..

بعد عدة أيام عاد غلاب من العمل منهكًا إلى حد كبير، تناول العشاء مع عمته بعد إلحاح منها، ثم دخل إلى غرفته، ألقى بنفسه على سريره، بجسدٍ كاد أن يُفقد وعيه لينغمس في نوم عميق...

انتهزت عمته هذه الفرصة لتستقبل راشدًا في الطابق الأسفل، كانا يتناقشان في انتقامها القادم، تُريد أن تقتل قناوي وعائلته بالطريقة ذاتها، بعقلانية غير معهودة في راشد، طلب منها الانتظار لبعض الوقت، خوفًا أن يشعر غلاب الذي يعيش معها في نفس البيت بأي شيء..

وافقت حور على ذلك وقالت:

*«سأتولى أمر غلاب، عليك فقط أن تحضر معك في المرة القادمة عقارًا منومًا شديد المفعول، سوف أضع القليل منه في طعامه، لكيلا يشعر إذا خرجت في أحد الليالي لأكمل انتقامي...»*.

وبنظرة شاردة تابعت هامسة لنفسها...

*«قد انتظرت كثيرًا ولا أرى شيئًا يُجبرني على الانتظار أكثر..».*

سألها راشد:

*«وماذا عن غلاب، أم أنك أحببته وأمسيت لا تريدين التخلص منه»؟.*

أجابته حور قائلة:

*«بالطبع لا، عندما أنتهي من قناوي وعائلته، سأفعل لغلاب بعض الأشياء التي تجعله يطلب الرحيل من هنا ليعيش بمفرده في مكان آخر، وحينها سنتخلص منه بطريقة ما بدون أن نلفت النظر إلينا ...».*

انتهى لقاء راشد بحور التي صعدت بعدها إلى غرفتها لتنام..

الساعة الثالثة بعد مُنتصف الليل، كان غلاب يتحرك باختناق في فراشه، تراوده تلك الكوابيس مرة أخرى..

تعرَّق بغزارة حتى بلل وسادته، يتنفس بصعوبة، يُحرِّك رأسه هنا وهناك، كمن يريد إبعاد نظره عن شيء ما..

استيقظ مذعورًا، عيناه تحملقان في ظلام الغرفة أمامه، يبدو أنه رأى شيئًا ما وقد أزعجه كثيرًا..

أخذ يُعيد ما رأى في رأسه، كان الكابوس ذاته..

مضمار سباق لخنازير تجري في ساحة، خلفهم رجلان قويان كُبلت أرجلهما بسلاسل حديدية غليظة، يتسابقانِ على الإمساك بأحد الخنازير، بوجوه تتصبب عرقًا، ملامح يكسوها الخوف، كلما اقترب أحدهما من الوصول لفريسته، عرقله الآخر ليمنع وصوله، فيعجز الاثنان عن اللِحاق ويخفقان.

فينظرانِ وراءهما في ذُعرٍ إلى كيان أسود ذي قرونٍ من نار، يجري على خمس، زوج من اليدينِ في الإمام، وثلاث أرجل من الخلف، يملك وجه القرود، يَبرُز في منتصف فكيه زوج من الأنياب الحادة، لامعة البياض، يغطي جسده الشعر الكثيف، يزأر في غضب يرتعد منه الاثنان، فينهضان ويتابعان الركض...

إلى أن يصلا بعد عناء إلى صيدهما ويقدما الخنازير لذلك الكيان، فيهدأ غضبه وينتهي السباق، يجلس الرجلانِ بجانب ذلك الوحش وهو منهمك في أكل أحشاء صيدهما، حول معصمه بداية السلاسل المكبلة بها أرجلهما..

كأنهم أسرى، وما الصيد هذا إلا قرابين لعدم افتراسهما، وما أن ينتهي من طعامه حتى يبدأ سباق جديد......

لا يعلم غلاب تفسيرًا لهذا الكابوس، ولِمَ بات يراه باستمرار،

لا يعلم ولم ينو سؤال أحد، بعد ما رآه هذه المرة..

كانت هذه المرة مختلفة عما مضى، فهذه هي المرة الأولى منذ أن بدأ يرى هذا الكابوس، أن تظهر أمامه بوضوح وجوه الرجلين في السباق..

وقد تأكد أن أحد هذين الرجلين اللذين يراهما، هو والده مطاوع..!

ظل غلاب جالس على فراشه في صمت، يحاول أن يُوقف ذلك الضجيج المتفجر في رأسه، حتى دقَّ منبه السابعة موعد استيقاظه للعمل.....

ثلاثون يومًا هو الوقت الذي استغرقته الشرطة للعثور على جثة طارق، أو دعنا نقول بشكل أدق، على ما تبقى منها، بعدما توصلت لمكان المستودع المهجور، الذي تمَّت فيه الجريمة، ومنه تعقبت الكلاب البوليسية رائحة طارق، دُفنت أعضاء متفرقة من جسده في مكان يبعد عن المستودع ببضعة مئات من المترات داخل منطقة صحراوية..

تكهن رجال الشرطة أنه تعرض للقتل بوحشية من قِبل بعد المشعوذين كما أفاد السائق، الأعضاء كانت مقسمة على عدة حفر في مساحة دائرية تقدر بخمسين مترًا مربعًا..

العينان والقلب والأحشاء وبعض الأصابع اليسرى لليد

والقدم، كانت هي الأعضاء الناقصة من جسد طارق، كما تم العثور على عينين أخريين وجزء كبير من اللسان وعضو ذكري في حفرة أقدم من الباقي بيومين أو ثلاث، أكد تحليل الحمض النووي الذي أجراه الطب الشرعي أنها تعود إلى السائق نفسه الذي دلهم على طرف الخيط للعثور على جثة طارق....

كانت الصدمة شديدة على والدته حين أخبرتها الشرطة بالعثور عليه، صدمة كادت أن تودي بحياتها، لولا وجود حور ووالدها بجانب السيدة ليهونا عليها مصابها...

أما حور وعلى الرغم من الحدث الفظيع التي تتعرض له للمرة الأولى، إلا أنها أظهرت بعض القوة التي تحملها من جينات والدها قناوي، فقد أبدت تماسك واتزان، غير أنها لم تكن قضت مع طارق الفترة التي تجعل من صدمتها شديدة الأثر عليها....

على جهة أخرى حزمت ميمونة أغراضها قبل النوم بعد أن عقدت رأيها على السفر لأخيها في صباح اليوم التالي، تحمل بداخلها مشاعر مختلطة، بين الحنين لأخيها، وبين الخوف على ما يمكن أن يكون قد صار عليه، إذا كان ما زال الرجل الذي تركته ينغمس في السحر والشر واتباع الشيطان، أم أنه تاب ورجع، لكن رغم كل هذا الشتات بداخلها، إلا أنها ما زالت

عازمة على العودة إليه..

آوت إلى فراشها قبل منتصف الليل، لم يمر الكثير من الوقت حتى استيقظت بعد شعورها ببرد شديد، ألقت نظرات سريعة على النافذة والباب لتتأكد أنهما مغلقان، تجمدت حركتها أثناء ذلك، حين لمحت خيالًا ما يقف عند مؤخرة السرير، لا يوجد شيء لافت إلا عينان تضويان كالجمر المشتعل.

شعرت ميمونة بشلل يصيب كامل أطرافها، لا حركة، لا كلمات، فقط عينين جاحظتين في خوف، ورأس مدجج بالتكهنات والأسئلة، أمر صعب أن ترى أحد هذه الكيانات قريبة منك، لكن الأشد صعوبة عندما يطول صمته ويطول شعورك بالعجز أمامه.

بعد دقائق قاسية طويلة الأمد كدهر، تحدث الكيان المظلم قائلًا:

*«قد وقع الحكمُ على أخيك، قضاء لن يستطيع حضورِك تغييره، مجيئك إلى هنا كان اختيارًا للهروب من نفس المصير، وإذا تم قبولك أو لم يتم، فيكفيكِ أنكِ حاولتِ، هيا تعالِ لنذهب الآن......».*

لم تمر ثوان حتى أغلقت ميمونة عيناها مرة أخرى، لكن

هذه المرة أغلقتها إلى الأبد.....

أثناء نوم العائلة بأكملها، صُدم بما سمع، ارتجف جسده رجفة تعاظم بعدها ما بداخله من الشعور بالخطر، لم ينتظر إنهاء الرجل حديثه وعاد إلى بيته، مهتزًّا خائفًا...

لم يلزمه سوى الوقت الذي استغرقه في العودة إلى المنزل لكي يأخذ قرار الانتقال إلى منزل آخر، بعد أن حَسَمَ بوصول حور لمكان إقامته كما فعلت مع مطاوع.

لم يكن هناك ذرة شك بداخله أن حور وراء ذلك، مهما بدا للجميع أنه ماس كهربي، خاصة بعدما راوده من شكوك في طريقة استئصال أعضاء طارق..

في مساء اليوم ذاته كان قناوي وعائلته في بيت آخر، في حي جديد من أحياء القاهرة، ولم يترك وراءه أي معلومة عن مكان إقامتهم الجديد...

***

يوم الخميس، هو اليوم المرتبط كليًا بالسعادة، وقبل أن تذهب بعقلك لاتجاه آخر، قصدت ذلك الخميس الخاص بالموظفين، هو يوم خفيف ظريف، لا تنظر لأحد فيه إلا وقد علت وجهه ابتسامة مُشرقة، حتى ذلك الموظف المتجهم طيلة الأسبوع الذي لا يبتسم أبدًا، يتبدل حاله هذا اليوم، وكأن للخميس سحرًا خاصًا يبعث على البهجة والراحة..

وقف إسلام أمام مكتب غلاب سائلًا:

*«ستأتي معنا غدًا»؟.*

أجابه غلاب:

*«نعم بالتأكيد».*

عاوده قائلًا..

*«لكن هذه المرة سيكون المكان أبعد عن المرات السابقة..».*

حرك غلاب رأسه قائلًا:

*«أين»؟*

أجابه إسلام وهو يمد يده ليأخذ كوب الشاي من عامل البوفيه وقال:

*«سنذهب هذه المرة لإحدى القرى في محافظة الفيوم».*

لم يتردد غلاب في الموافقة، واتفق مع زميله على الموعد ومكان التجمع، الذي كان في الثامنة صباحًا بميدان الرماية..

انتهى اليوم وعاد غلاب إلى المنزل مباشرة..

كانت عمته في انتظاره..

أصبح يرى أنها تخاف عليه بشكل مبالغ فيه، وهذا لا

يتماشى مع غرفتها المغلقة طيلة الوقت، وعدم التحدث إليه كثيرًا، لكن على الرغم من كل ذلك فهو يُحبُّها حقًّا..

تناول العشاء معها، وجلسا سويًّا، بعد وقت قصير جدًّا، شعر غلاب بنعاس شديد أثقل رأسه وأغلق جفونه..

استأذن من عمته لدخول غرفته لينام؛ لأنه يجب عليه الاستيقاظ في السادسة صباحًا..

بعد حوالي ساعتين، فتحت عمته باب غرفته لتتأكد أنه غرق في نوم عميق، بعد كمية المنوّم التي وضعتها له في الطعام، فبعد قليل ستكون في انتظار خادمها راشد لكي يُعطيها أسماء عائلة قناوي الذي يتقصى عنها منذ الصباح..

هبطت حور إلى الطابق الأسفل لتفتح لراشد، كل شيء جاهز معها، في انتظار أن تكتب الأسماء في الورقة فقط لتذهب إلى بيت قناوي لحرقه..

فتحت الباب، نظر لها راشد في خوف، فسألته:

*«ماذا بك، لا تقل لي أنك عجزت عن معرفة الأسماء»؟.*

مد راشد يده بورقة صغيرة كُتب فيها..

قناوي

سلوى

حور

هُيام

قرأت ثم قالت:

*«إذا كانت الأسماء هنا، فما سبب هذا الوجوم على وجهك»؟*

قال راشد متلعثمًا:

*«لقد غادر قناوي البيت بعائلته، ولم يخبر أي أحد من جيرانه بعنوان بيته الجديد...».*

انتقل الوجوم إلى وجه حور الذي احمر غضبًا، أرادت أن تصرخ لتُخرج ما بها من ضيق..

أخذت تردد..

*«كيف عرف أني توصلت إليه»؟.*

من شدة صدمتها ذهبت بنفسها مرة أخرى إلى بيت قناوي رفقة راشد، وبعد قطع الطريق ذهابًا وإيابًا تبين صحة ما أفاد به خادمها المخلص....

لم تستطع النوم طوال الليل، حتى أنها شعرت باستيقاظ غلاب في ساعة مبكرة ومغادرته المنزل..

تشعر بضيق شديد، تلوم نفسها أنها تأخرت في عقاب قناوي كل ذلك الوقت، مما جعله يعرف بوجودها ويبتعد هربًا مرة أخرى...

وصل غلاب إلى نقطة التجمع قبل الموعد بعشر دقائق، كانت هناك سيارة ستأخذهم إلى محافظة الفيوم..

تحدث معهم مشرف الجمعية، أن اليوم سيكون هناك بعض الأعمال الشاقة، مثل ترميم المنازل الغير آدمية، وتعريش الأسقف التي يرى أنها تحتاج لذلك، لا سيما عن تركيب الأبواب والنوافذ أيضًا، بجانب تقديم المساعدات الغذائية والمالية..

أخذ طوال الطريق يحمسهم بكلمات عن دور كل منهم تجاه المجتمع الذي يعيش فيه، وأن لهؤلاء الناس عليهم حقّ مساعدتهم بأموالهم وسواعدهم..

كانت السيارة مليئة بالشباب والفتيات، غلاب لم يكن يعرف بوجود سيارات أخرى خلفهم، يحملون فيها المعدات وأدوات البناء والمون، وفيها بعض الأفراد الذين يعملون في تلك المهن، أخبره إسلام بهذا كله...

الحقيقة أن مثل هذه الرحلات التطوعية تجعل كلًّا منهم يشعر بالرضا عن نفسه، وتأثيره الإيجابي في المحيط الذي

يعيش فيه، التعارف على أصدقاء يشاركونك الاهتمامات ذاتها، وهذا ما أفاد غلابًا بشكل كبير....

عندما وصلوا لم يأخذوا وقتًا طويلًا حتى تم توزيع المهام والبدء في العمل..

كان غلاب وإسلام من الفرق التي تمر على البيوت لمعرفة مشاكلهم، وتحديد كيفية مساعدتهم، التقارير تعود إلى المشرف أولًا بأول لكي يوجه إلى البيت فرق العمل، أو تقديم المساعدة الغذائية أو المالية التي يحتاج إليها..

ظل الفريق المتطوع يعمل كخلايا نحل نشيطة، حتى قَرُبَ مغيب الشمس، طلب منهم المشرف التوقف عند هذا الحد، وألا يأخذوا بيانات بيوت جديدة، ليتم الانتهاء من تلك البيوت التي يعملون عليها، وسيعودون الأسبوع المقبل ليكملوا باقي بيوت القرية..

وقف غلاب أمام أحد البيوت منتظرًا لإسلام الذي كان في الداخل مع مالكه، لتحديد ما يتطلبه البيت من أشياء، على أن يتم العمل فيه الأسبوع المقبل...

حين ذلك نظر غلاب إلى سيدة عجوز تقف أمام بيت بُنِيَ من الطوب اللبن (الطيني) خلف باب خشبي متهالك، أشارت العجوز لغلاب بيدها ليقترب، لفت نظره ذلك الوشم الأزرق

البارز على ذقنها، بشكل هلالي مميز متجانس مع تجاعيد وجهها، التي تشبه الطرق والمسارات التي خاضتها هذه العجوز في حياتها..

نظر إلى البيت الذي دخله إسلام وعاد بنظره مرة ثانية ليذهب للسيدة ليقول لها أنهم قد انتهوا اليوم، لكنهم سيعودون الأسبوع المقبل، وسيبدأ ببيتها أولًا..

لكنه حين نظر لم يجدها، توارت إلى الداخل بدون أن تقول أي شيء، شعر غلاب أن السيدة لربما تحتاج لشيء آخر، فاقترب من البيت وطرق الباب الذي كان مواربًا، فأزاحه وهو ينادي باحترام:

«*أمي أنا هنا، تعالي لتخبريني طلباتك..*».

لم يتلق أي إجابة...

دفع الباب إلى الداخل بهدوء وهو ينادي مرة أخرى..

لم يكن هناك رد أيضًا..

ألقى نظرة سريعة داخل البيت ليجد أنه مليء بالقمامة والعلب المعدنية، الأتربة في كل مكان تغطي قطع أثاث بسيطة ومتهالكة..

فرن طيني مُهدَّم تبدو فوهته وكأنها بوابة لعالم آخر تحت

الأرض، و(زير) مياه مكسور، لا يعرف كيف تستطيع هذه العجوز العيش في مكان كهذا، تنحنح ودخل وهو ينوي أن يترك لها مبلغًا من ماله الشخصي كمساعدة حتى عودتهم الأسبوع المقبل..

عاود الصياح بصوت عال لعلها تسمعه هذه المرة وتخرج لتجيبه..

لكنها لم تخرج ولم تجب...

وقف غلاب أمام غرفتين، يستحي أن يفتحهما للوصول للعجوز، حدَّث نفسه قائلًا:

«*بالتأكيد هذه العجوز تعاني مشكلة في السمع*».

تراجع بعدما رأى أن من غير اللائق أن يفتح الباب عليها أيًا كانت الأسباب، اتجه إلى باب الخروج، وقبل أن يخطو إلى الخارج سمع صوت صرير أحد الأبواب، فوضع يده في جيبه وأخرج بعض المال ودخل مرة أخرى وهو ينادي على العجوز بصوت أعلى...

وقف أمام الباب الموارب لا يرى شيئًا غير خيال السيدة بالداخل، كانت الغرفة مظلمة، البيت بالكامل يزداد ظلامًا من دقيقة إلى أخرى بعد أن غربت الشمس..

تحدث غلاب قائلًا:

*«يا أمي، أعتذر عن دخولي بدون استئذان لكن.......»*!!.

وفور أن مد يده ليفتح الباب أكثر أثناء حديثه لرؤية السيدة، انقضت عليه قطة سوداء، تهاجمه بصوت مرعب، حرك يده ليحمي نفسه منها بعد أن كادت مخالبها، تُخرج مقلتي عينيه من مكانهما...

شعر بألم شديد في يده وذراعه، أخرج هاتفه ليستخدم إضاءته لإنارة الغرفة، ودخل ليبحث عن هذه العجوز، قد خاف أن تكون مصابة بأمر ما، لكن حين نظر إلى الداخل وجد الغرفة خاليه، خالية تمامًا ليس بها سوى سرير قديم ومرآة، احتلهما الغبار، الأرضية مليئة بالملابس المنثورة هنا وهناك، بالإضافة إلى مخلفات القطط، تعجب غلاب مما رأى، سأل نفسه بصوت مسموع:

*«أين ذهبت تلك العجوز»*؟

تسارعت نبضات قلبه وكاد أن يختنق، فهمَّ بالخروج من الغرفة، توقَّف عند الباب بعد أن شعر أنه دهس على شيئًا ما، نظر تحت قدميه موجهًا إضاءة الهاتف إليها، ليجد كتابًا ظن في البداية أنه مصحف، لكن حين التقطه، وجد أن ملمسه غريب، وضع الهاتف في فمه ليرى ما بداخله..

وجد رموز ورسومات غير مفهومة، كلمات بعضها مفهوم وبعضها بلغة لم يرها من قبل..

تذكر أنه رأى كُتبًا مشابهة على مكتب والده من قبل، حين كان يدخله خلسة، لم يستطع ترك الكتاب هنا، حركه فضوله على الاحتفاظ به، وضعه داخل ملابسه وخرج بعد أن ازداد المكان ظلامًا، وبعد أن أغلق إضاءة الهاتف أخذ يفكر في أمر تلك السيدة التي اختفت بعد ما رآها تناديه...

ارتعدت مفاصله حين باغته صوت فجأة يقول:

«*غلاب ماذا تفعل هنا*»؟

نظر غلاب للمتحدث الذي أفزعه، كان إسلام، بلع ريقه وأخذ نفسًا عميقًا ولم يجب، اكتفى بالذهاب إليه في صمت...

في الخارج وتحت إضاءة البيت المجاور أوقف إسلام غلاب وسأله بلهفة:

«*ما هذا الجرح في ذراعك*»؟.

أجابه غلاب:

«*قط خائف هاجمني حين دخلت البيت..*».

أثناء مرورهم على المنزل الذي كان يتواجد فيه إسلام قبل

قليل، ابتسم لهم مالكه الذي كان يقف أمامه وقال مشيرًا من حيث خرجوا..

*«هذا البيت هناك لا يسكنه أحد، ولن يحتاج لشيء..».*

تجمد غلاب في مكانه بعدما سمع ما قاله الرجل وقال:

*«ماذا قلت، ألا توجد امرأة عجوز تعيش في هذا البيت»؟.*

أجابه الرجل:

*«لم يسكن أحد في هذا البيت بعد أن ماتت صاحبته السيدة ميمونة منذ قرابة الأربعين يومًا تقريبًا..».*

سأل غلاب الرجل عن السيدة وإذا كان بإمكانه أن يصفها له..

استغرب إسلام من سؤال غلاب والرجل أيضًا، لكنه وصفها على كل حال..

بدت علامات الخوف والتعجب على وجه غلاب حين وصف الرجل المرأة التي كانت تعيش في البيت وماتت، ووجد أنها نفس أوصاف العجوز التي رآها منذ قليل، حتى بذلك الوشم المميز على ذقنها...

حاول غلاب إخفاء علامات الذهول والخوف بداخله، ليشد إسلام يده للذهاب إلى السيارة حيث يناديهم المشرف

للرحيل..

لم ينطق بكلمة طيلة الطريق حتى أنه تصنع النوم، يتحسس على الكتاب داخل ملابسه كل حين وآخر، يفكّر فيما حدث مع العجوز ويحاول تفسيره...

مر على أحد الصيدليات ليضمد جرح يده، قبل أن يصعد إلى البيت وتراه عمته على تلك الحالة.....

# 25

عاتبت حور ابن أخيها على عدم حذره وتسببه بجرح يده، أبدت خوفًا وقلقًا كبيرًا حين رأته هكذا، طمأنها أنها مجرد إصابة طفيفة لا تحتاج كل هذا القلق...

دخل غرفته بعد العَشاء، متحججًا بشعوره بالإرهاق من عناء اليوم، لكن الحقيقة هي عدم قدرته على الصبر أكثر، يُريد أن يتصفَّح هذا الكتاب، يُريد أن يعرف ما يحتويه بداخله..

انتظر بعض الوقت، ليتأكد من دخول عمته إلى غرفتها للنوم، عرف ذلك عندما سمع صوت باب غرفتها..

كان الغلاف الأكثر إثارة عند غلاب، كأنه مصنوع من عدة طبقات من الجلد البشري، جاف ومجعد، يكاد يُجزم أن له مسامًا كالتي في جسده، ملمسه غير مريح، شيء ما فيه يبعث على الخوف..

لم يتمكن غلاب من فتح إضاءة الغرفة، لكي لا تلاحظ عمته استيقاظه، إذا ما خرجت من غرفتها في حاجة..

اكتفى بإضاءة الهاتف التي وجَّهها على الكتاب وأخذ يقرأ صفحاته..

الخط رديء، كأنه كُتب يدويًا، الصفحة الواحدة تحوي رسومًا وأرقامًا، لغة عربية وبعض اللغات الأخرى الغير معروفة، لغات لم يصادف مرورها عليه من قبل، كان يقرأ الأجزاء المفهومة فقط، يترك الباقي للتخمين، تيقن أن هذه العجوز كانت مشعوذة، الكتاب مليء بأعمال الربط بالسحر الأسود وطرق حلها، تعاويذ للإيذاء والقتل، طرق عن تسخير الجن، لا تطلب قرابين كبيرة لتفعيلها، يتم استخدام أحشاء الحيوانات وقلوبها مثل الخنازير والقرود والضباع..

والطرق الأشد قوة، يُستخدم لها أعضاء بشرية؛ كالعيون والقلوب وأصابع اليد والقدم اليسرى..

قصص ضحايا غير كاملة..

ظل غلاب يقرأ بشغف، كان يشعر بالخوف في بعض الأحيان، لكن شعور الفضول بداخله كان أقوى، استسلم أخيرًا لهذا الثِقل في عينيه..

قام من سريره، ليخفي الكتاب فوق خزانة ملابسه، لكي لا تعثر عليه عمته إذا ما دخلت إلى الغرفة أثناء عمله، خوفًا أن تعرف ما فيه، وترتاب منه...

استقر في فراشه بعد منتصف الليل بعدة دقائق، وكان قد وصل لقمة الإرهاق بالفعل....

بدأ في التقلب بعد سويعات قليلة من نومه، تُهاجمه الكوابيس من كل جانب، كابوس سباق الخنازير الذي يظهر فيه والده، وما نسجه خياله على ما حدث أمس، في بيت تلك العجوز، الكتاب وما قرأه فيه، حاول غلاب أثناء نومه أن يوقف ضجيج عقله، وإرسال رسالة لعقله الباطن يقول له فيها..

*«أعلم أني أحلم بهذا كله، وإني نائم الآن على فراشي، وأشعر بالإرهاق الشديد، فهل أجلت تلك الكوابيس لليلة الغد..»*.

هدأ تدفق المشاهد في رأسه، بإمكانه الآن أن ينام بارتياح ولا ينزعج، فعوالم عقله الباطن قد سكنت..

بعد مرور وقت لا يعرف طوله من قصره، قَلِقَ بعد سماعِ صوتٍ ما، التقطته أذنه من أحد أركان الغرفة، كأن هناك من يأكل بعشوائية ونهم..

صوت المضغ واضح، اختنق غلاب في تململ، ظنًّا منه أنه داخل كابوس جديد، فتح عينيه ليخرج منه وينهيه، لكن أفزعه صوت المضغ المستمر معه، قادم من أحد أركان الغرفة.

لا يستطع الرؤية من الظلام، مد يده إلى الكمود جانبه

وسحب الهاتف بيدٍ مرتجفة، فتح الإضاءة ووجهها ببطء وحذر تجاه الركن الصادر منه الصوت، ليرتجف قلبه رجفة كاد أن يتوقف بعدها، انقطعت أنفاسه حين رأى أمامه كائنًا أسود نحيلًا، يجلس القرفصاء وجهه إلى الحائط، متكئًا أمامه يأكل شيئًا ما بنهم واستمتاع، عظام ظهره بارزة، راقبه غلاب لثوانٍ، لا يُصدق ما تراه عيناه، توقف الكيان بغتة عن الأكل، اهتز جسده بغضب، برزت معها رأسه الكبير، التي كانت منحنية على الطعام..

ارتعد غلاب أن يكون قد شعر به، أغلق إضاءة الهاتف، وكتم أنفاسه وكل مكان فيه ينتفض من الخوف..

عاد الظلام إلى الغرفة، كان يترقب مس الكيان جسده في أي وقت، لا يعرف كيف ستكون ردة فعله..

دقائق قليلة مرت ولم يحدث شيء، حتى شك أنه كان مجرد كابوس آخر يراوده..

شعر بالهدوء، لم يعد يسمع صوتًا..

فتح عينيه ببطء، وجه الهاتف نحو ذلك الركن مرة أخرى، وما إن ضغط على زر الإضاءة، حتى رأى كائنًا أسود، ملامح وجهه مختلطة، حيث لسانه مكان عينيه، وعيناه مكان لسانه، يصرخ بغضب شديد قائلًا:

غلاااااب..........

توقف قلبه للحظات، بادل الكيان بصرخة مماثلة لعله يستيقظ إن كان يحلم أو أن تسمع عمته صوته فتنجده..

صرخ مرارًا، بصوت لم يتعد حلقه، لا يسمع أي شيء، الكيان ما زال أمامه ينظر إليه بعين واحدة مكان فمه، يُحرك لسانيه البارزين مكان عينيه، لاحظ غلاب أن الكيان لا يتحرك نحوه..

قرر أن يغمض عينيه، ويلملم جسده المرتجف وينزل تحت الغطاء بالكامل، يحاول أن يتذكر كلمات آية الكرسي لتحميه لكنه لم يتذكر حرفًا واحدًا منها....

ظل على حالته تلك إلى أن سمع صوت رفع أذان الفجر، حينها، وحينها فقط استجمع قواه وبدأ في إزالة الغِطاء عن رأسه، ينظر بحذر على مكان الكيان الذي ما زالت رائحته العفنة معلقة بأنفه، شعر بقليل من السكون حين لم يجده.. مسح بعينيه باقي الغرفة مستخدمًا إضاءة الهاتف ليتأكد من رحيله، لا يعرف إن كان ما رآه حقيقة أم من نسج الخيال...

شعر بالانزعاج من تلك الرائحة الكريهة التي ما زالت تملأ أركان الغرفة، قام من فراشه بجسد متجمد، فتح إضاءة الغرفة ونظر إلى المكان الذي أكل فيه الكيان، ليفتح فمه من

الذهول، تقلبت معدته حين رأى بقايا أحشاء لا يعرف كيف وصلت إلى غرفته، ارتجف قلبه لأن هذا يدل على أن رؤيته للكيان قبل قليل كانت واقعًا لا لبس فيه...

هذه كانت المرة الأولى التي تتحول فيها كوابيس غلاب إلى حقيقة..

أعاد ذلك إلى قراءته في الكتاب، بدأ تأنيب نفسه أن كيف يجلب كتاب سحرٍ معه إلى البيت ويقرأ فيه..

اتجه إلى خزانة ملابسه ليُحضر الكتاب بين يديه وفي نيته أنه سيحرقه ليتخلص من ذلك الشر...

جلس على السرير وفتح الكتاب.. لكن....

لكنه لم يجد شيئًا بداخله، الكتاب فارغ تمامًا، الصفحات بيضاء، أثار هذا دهشته إلى أبعد حد..

ظل يسأل نفسه..

«*أين ذهبت تلك الرسوم والكلمات التي كانت به؟ كيف اختفي كل شيء هكذا..*».

أسكت عقله الباطن الذي أراد أن يُزيد حيرته بسؤال آخر:

«*إذا كان متيقنًا من رؤية تلك الرسوم والكلمات من قبل*»؟.

*«ألا يمكن أن يكون الكتاب فارغًا هكذا منذ البداية»؟.*

نهض غلاب وأعاد الكتاب مرة ثانية فوق خزانة ملابسه...

ثم قام بتنظيف الغرفة، قبل أن يمدد جسده على الفراش قليلًا قبل موعد ذهابه للعمل.....

***

بعد عدة ساعات، حضر راشد إلى حور ليُخبرها أنه يبحث عن قناوي في كل مكان، وأنهم سيصلون إليه قريبًا، صعدوا معًا إلى الطابق الثاني، دخلوا الاثنان غرفة غلاب وراشد يسألها..

*«هل شعرتِ به ليلة أمس»؟.*

أجابته حور..

*«لا لكنه قام بتنظيف غرفته في الصباح بدون إخباري بأي شيء..».*

رفعا الاثنان مرتبة السرير ووضعوها جانبًا، أزاح راشد عدة قطع من ألواح السرير الخشبية، لتمد حور يدها تحتها وترفعها حاملة جمجمة بشرية مفرغة مكتوب عليها بعض الطلاسم، ثُبت فيها لسانين بشريين مكان تجويف الأعين، وعين ثُبتت داخل عظام الفك...

خرجا من الغرفة بعد أن أعادا كل شيء لمكانه بشكل مرتب..

***

قضى غلاب ساعات عمله مشغولًا بقصة ذلك الكتاب الذي يملكه، كيف مُحيت كلماته من تلقاء نفسها، ولماذا حوَّل أسوأ كوابيسه ليجعلها حقيقة؟ كان يُريد إجابة لهذه الأسئلة وإلا فقد عقله..

استخدم كمبيوتر الشركة للبحث عن كتب مماثلة، أخذ يكتب مواصفات الكتاب، لعله يجد شيئًا عنه يفسِّر له ما حدث..

بعد وقت من البحث وكثير من النتائج وجد أقربها..

موضوع عن كتاب مشابه، تبقى صفحاته خالية إذا ما سقط على غلافه بضعة قطرات من الدماء، وأن هذا النوع من الكتب نادر لأقصى درجة، اقشعر جسد غلاب حين قرأ جملة تقول..

وتعد ندرة هذا الكتاب تفسيرًا لقول بعض الباحثين أنه لم يُكتب عن طريق البشر، إنما كتبه نفر من أقوى ملوك الجن...

كانت هذه النتيجة التي لفتت انتباهه بين عمليات البحث

الأخرى، خاصة بعدما ربط نزيف يده حين عثر على الكتاب بعد خربشة القط له، وبالتأكيد سقطت على الغلاف بضعة قطرات من دمائه حينها، لذلك كانت بعض محتويات الكتاب ظاهرة..

أغلق صفحة الويب سريعًا حين رأى مدير الشركة يقترب منه..

نظر إليه حين وجده يقف أمام مكتبه، سأله المدير:

*«أين تسكن يا غلاب»؟.*

أجابه غلاب بشكل خاطئ حين أعطاه عنوان بيته المحترق، لكنه تدارك قائلًا:

*«أسكن الآن في حي السيدة زينب».*

أومأ المدير برأسه قائلًا وهو يمد يده بكارت شخصي..

*«حسنًا عليك الذهاب أولًا لهذا العميل المدوّن عنوانه هنا، لتُسلم له هذا الظرف».*

قبِلَ غلاب بهذه المهمة بدون نقاش، أخذ الظرف ورحل بعد أن أذن له المدير بذلك..

الظرف به بعض الرسومات البيانية والجداول التي توضح نسب رواج المنتجات لديهم، وكذلك بعض الصور للمنتجات

ذاتها، وفي بعض الأحيان يكون هناك عينات تجريبية من هذه المنتجات لزيادة نسبة المبيعات، وهذا باختصار هدف عمل مندوب التسويق، وظيفة غلاب..

عنوان العميل في جهة أخرى بعيدة إلى حد ما من مكان سكنه..

اتجه إلى موقف السيارات، صعد إلى أحدها متجهًا إلى العنوان الذي يحمله، كانت على وشك الامتلاء، سار إلى المكان الخالي في المقعد الخلفي، المكان المتبقي يكفي شخصين، فأسرع بالجلوس بجانب النافذة كما فعل الرجل الذي سبقه إلى النافذة الأخرى، تبقى مكان شاغر بينهما، رأى غلاب فتاة واقفة أمام باب السيارة تنظر إليه، تمتم بدعوات ألا تصعد إلى السيارة أو أن يسبقها رجل إلى المكان الشاغر في المقعد هنا، لكنها صعدت بإصرار، تمتم هامسًا..

*«إلى أين أيتها الغبية! لا يوجد إلا مكان شاغر بين رجلين عليك انتظار السيارة الأخرى..».*

وقفت أمامه بدون أن تتفوه بكلمة، فيما معناه أن يتنازل عن مقعده بجانب النافذة ويجلس في المنتصف، المكان الذي دائمًا ما يصيب رأسه بالدوار.. لذلك شعر بالغضب منها..

الكياسة تمنعه من الرفض، سيكون حينها الوغد المتبجح

الذي يُريد لفتاة أن تجلس بين رجلين، ويتم سبه بأقذر الألفاظ التي تستحي أن تنطقها الألسن، فتنطقها الأعين بطرق أكثر فظاعة وقسوة..

بعد ثوانٍ من تصنع الغباء الذي لاحظته الفتاة على غلاب، نطقت إليه أخيرًا قائلة بنفاد صبر..

*«إذا سمحت».*

وهي تُشير بيدها أن يأخذ مكانه بجانب الرجل، لتجلس هي بجانب النافذة....

فَجَلَسَ وجلست، بدت علامات الغضب تزين وجهه، فتعمد أن يضايقها بنظره من النافذة بجوارها، لكيلا يتركها تستمتع بها بمفردها ولكن....

سرعان ما اختفت علامات الغضب على وجه غلاب، بعد أن اختلس بضعة نظرات لوجه الفتاة، كان هذا عندما تحركت السيارة وأخذ الهواء يصطدم بوجهها، لتنزلق الطرحة على رأسها ليظهر شعرها....

في لحظة، تبدل حال غلاب حين رأى الفتاة بوضوح، كانت بها كل ما تخيله يومًا وأراده..

عيناها الواسعتان، كانتا بمثابة طريق وعر عليه اجتيازه..

شعرها الأحمر الكثيف الداكن، الحواجب العريضة التي رُسِمَت بطريقة طبيعية دون تدخلٍ منها، الرموش الغزيرة الثقيلة..

الأنف المحدد، الفم الصغير، الشفاه البارزة المحددة..

كان غلاب يراها جميلة، لدرجة أن تذهب لوحة الموناليزا للجحيم إذا لم يُعد رسمها بملامحها، جميلة كالأثر الثمين، تحفة فنية مُبهرة تخطف الأنظار إليها...

لم يتخيل يومًا أن يجد كل هذه المواصفات مجتمعة في فتاة، كما لم يتخيل أن تكون هذه الفتاة جالسة بجانبه الآن على نفس المقعد...

في هذا الوقت لم يعد غلاب يتذكر الكتاب ولا الكابوس وكل ما حدث معه، حتى كاد ألا يتذكر سبب صعوده لهذه السيارة..

أخذ ينظر إلى النافذة، لكن الحقيقة أنه يتحايل بذلك لينظر إليها، أخذ يُراقب عينيها الهائمتين في واجهات المحال والشوارع كالأطفال، شفتاها التي تدندن كلمات من أغانٍ لا يَعرفها..

يفكِّر في طريقة يحدِّثها بها، كان يَشعُر بالخجل مما يفعل، فَخُلُقُه واحترامه لذاته، تجعله لا يقدم على مثل هذه الأفعال

ومضايقة الفتيات، لكن الموقف هنا مختلف، كان غلاب يريد محادثة الفتاة ليتعرف عليها أكثر، وإذا وجد قبولًا منها سيتقدم لها على الفور..

ظل في حيرة من أمره لا يستطع التحدث إليها أمام الناس في السيارة، قد تَشعُر بالإحراج، وحينها سيسمع منها ما لا يرضيه، لذلك أخذ يدعو أن تكون وجهتها نفس وجهته المحطة الأخيرة....

كان نبضه يتسارع حين يُصيح أحد الركاب للسائق بالتوقف في محطة ما، خوفًا أن تنزل في إحداها، لكن ذلك لم يحدث حتى وصلوا لنهاية الطريق...

فعل غلاب ما لم يفعله أثناء مراهقته، سار خلف الفتاة حتى تحين له فرصة ليتقدم ويتحدث معها..

يخاف أن تحرجه أو تعامله بطريقة لا تليق به..

قرر أن يسير خلفها حتى تصل إلى بيتها وهناك يُحدثها..

كان في ذلك مغامرة كبيرة، لكنه كان مستعدًا للمجازفة من أجل أن يتحدث معها ولو لثوان..

اقترب منها حين وجدها تدخل أحد الأبواب وقال..

«*من فضلك..*».

نظرت الفتاة للمنادي خلفها، بدا على وجهها الاستغراب حين رأته، أومأت برأسها دون أن تنطق..

فنطق غلاب بخجل وقد تلون وجهه من الموقف..

*«أعتذر عن هذه الطريقة، لكني وددت التأكد إن كان هذا بيتك».*

رأى علامات الاستفهام على وجهها فتابع قائلًا:

*«أريد مقابلة والدك وأطلب يدك».*

ظهر على وجهها ملامح بين التعجب والحياء وقالت:

*«من أين تعرفني»؟*

ثم تابعت قائلة:

*«أهذا أنت، من كنت تجلس بجانبي في السيارة منذ قليل»؟.*

أجابها غلاب:

*«نعم أنا، الحقيقة عندما رأيتك حدث شيء ما بداخلي،* وكان حتمًا *عليَّ أن أتبع تلك الطريقة لأحدثك».*

قالت الفتاة بخجل:

*«لكنك لا تعرف عني شيئًا، أم أنك تبحث عن المظهر*

الخارجي فقط»؟.

أجاب غلاب قائلًا:

«بالطبع لا، لكن عندما رأيتك وجدت بداخلي القبول والراحة التي تجعلني أطرق باب البيت وأحدث والدك، ليكون التعرف من خلال مقابلة رسمية معه، لضمان عدم خوفك أو أن تُسيئي الظن بي».

بدا على وجه الفتاة الاقتناع بحديث غلاب فسألته:

«ما اسمك»؟.

قال:

«غلاب..».

ثم سأل بدوره:

«وأنتِ»؟.

أجابته قائلة:

«حور..».

قال:

«اسم جميل..»

ثم تابع:

«*هو اسم عمتي أيضًا*..».

ابتسمت وقالت:

«*شكرًا*..».

وتابعت:

«*هذا منزلي، لكن الوقت غير مناسب الآن لفتح حديث كهذا*..».

استفسر غلاب منها عن السبب، فقالت:

«*لدينا حالة وفاة*..».

وعدته بعد مرور حالة الحزن عن البيت ستحدثه ليأتي لمقابلة والدها...

قال غلاب:

«*البقاء لله*..».

وتابع..

«*بالطبع الوقت غير مناسب، لكن لدي طلب أخير*..».

اكتفت بإيماءة رأسها ليتابع...

مُترددًا يُحاول أن يُخرج الكلمات من حلقه بصعوبة، لكن لم يكن أمامه خيار ثان...

طلب غلاب من حور رقم هاتفها وتحجج أن عليهما التواصل لكي يعرف الموعد الذي ستحدده لمقابلة والدها، بعدما تعهَّد بعدم مضايقتها..

وافقت حور على ذلك بعد قليل من التفكير والتردد..

غادر غلاب بسعادة لم يشعر بها منذ وقت طويل..

لقد قابل فتاة أحلامه للتو، ليس هذا فقط، بل إنه تحدَّث معها وأخذ رقم هاتفها..

كان يُفكر أنه ينبغي عليه شكر مديره غدًا؛ لأنه كان سببًا في هذه الصدفة السعيدة..

أوصل غلاب الظرف للعميل وعاد للمنزل...

# 26

يجلس على فراشه متأهبًا، ينظر في تردد إلى رقم حور الظاهر على شاشة هاتفه..

تملكته الحيرة والرهبة، يسأل نفسه..

«*هل يُحدثها الآن؟ أم الوقت غير مناسب*»؟

«*بمفردها؟ أم هناك أحد بجانبها*»؟

«*هل ما زالت تتذكره*»؟

«*هل مهتمة بما قال؟ هل تفكر به الآن كما يفكر بها*»؟

الكثير والكثير من الأسئلة، حتى ضغط على زر الاتصال بين خوف ورغبة...

«*مرحبًا من المتصل*»؟.

سقط قلبه بين قدميه حين سمع صوتها، وكأنه لم يحدث فتاة من قبل، حتى كاد أن يُغلق الهاتف في وجهها ويلقيه بعيدًا عنه.. لكنه تماسك وأجاب:

«*حور، هذا أنا غلاب، كيف حالك..*»؟

أجابت بخجل واقتضاب:

*«مرحبا..»*

تابع غلاب قائلًا:

*«أعتذر إن كنت أحدثك في وقت غير مناسب، لكني أشعر بحماس للتعرف عليك سريعًا..»*.

قالت حور:

*«لا مشكلة، لنتحدث لكن لمدة خمس دقائق فقط..»*.

وافق غلاب بسعادة على ذلك..

تحدثا هذا اليوم لخمس دقائق، تحولت إلى نصف ساعة في اليوم الثاني، اليوم الثالث تحدثا فيه أكثر من مرة، وهكذا إلى أن تعرَّف كل واحد إلى شخصية الآخر، اهتماماتهم، الأشياء المختلفة والمشتركة بينهما..

كان غلاب ينبهر بين الحين والآخر من ثقافة حور وقوة شخصيتها، وكذلك أثارت شخصية غلاب إعجاب حور وتمسكه بعادات وتقاليد لا يحتفظ بها الكثير في هذا الوقت..

مرت الأيام سريعًا مع حور، لم تعد الكوابيس التي يراها غلاب كل ليلة تُزعجه، لأنه يرى بعدها حلمًا جميلًا يجمعه بها..

تجاهل الكتاب، وما حدث في الليلة الأولى التي قرأ فيها

بعض صفحاته، أصبح لا يُحب أن ينشغل بفكره في شيء آخر غير حور، مر ما يزيد عن الشهر، تقابلا فيه أكثر من مرة، وفي كل مرة يتأكد غلاب أنه يريد الارتباط بتلك الفتاة ويكمل معها حياته..

وأخيرًا أخبرته حور بأنها تحدثت مع والدها لتحديد موعد للزيارة..

أخبر غلاب عمَّته في هذه الليلة عن نيته في الزواج من فتاة يعرفها، وأنه سيذهب غدًا بشكل مبدئي للتعرف على عائلتها، وإن صار كل شيء بطريقة جيدة سيذهبا سويًّا إلى زيارة أخرى لخِطبتها بشكل رسمي..

تفاجأت حور بحديث غلاب، لم تتخيل أن في الوقت الذي تخطِّط فيه لقتله يُفصح لها عن نيته للزواج، لكنها تداركت نفسها سريعًا وتصنعت السعادة، شددت عليه أن يخبر عائلة الفتاة أن هذا البيت ملك له، وأنهم سيعيشون معًا، وبطريقة مؤثرة أجادت تمثيلها قالت:

*«لم يعد في العمر بقية، وليس لي أحد غيرك، لذلك أريد أن أموت وأنت وزوجتك بجانبي...».*

تأثر غلاب بحديثها وقام ليقبِّل رأسها ويدها وهو يقول:

*«فلتنعمي بعمر مديد يا عمتي الغالية، مليء بالصحة*

*والسعادة..».*

بعد يومين كان غلاب في طريقه إلى الموعد..

لا يتمالك نفسه من التوتر والرهبة من مقابلة والد حور..

وقف أمام الباب يُعدل في ثيابه ويمرن وجهه على كيفية الابتسام والحديث..

ثم طرق الباب أخيرًا..

فُتح الباب وظهرت من خلفه فتاة صغيرة، عرف أنها هُيام أخت حور الصغرى قد حدّثته عنها كثيرًا..

وقبل أن يُحدثُها، ظهر من خلفها والدها، الذي دعاه للدخول واستقبله بطريقة جيدة إلى الصالون..

جلسا على انفراد وأخذا يتبادلان الأحاديث عن عمله ومستقبله، والذي كان يتحدث فيها بكل ثقة..

ثم تطرق والد حور بعد ذلك لسؤاله عن عائلته..

بدأ غلاب يتحدث عن والده، أنه كان شيخًا مثله، وأنه كان يساعد الناس بالعلاج بالقرآن ونحو ذلك..

ثم تحدث بتأثر عن حادث الحريق الذي فقد فيه عائلته بأكملها، وأنه يعيش الآن مع عمته...

لاحظ غلاب تغير نظرات والد حور له، تبدَّلت ملامحه الهادئة فجأة إلى أخرى، مزيجًا بين الخوف والغضب..

تلعثم بعدها وتوترت الجلسة، ما جعلها تنتهي سريعًا..

قال والد حور بابتسامة مصطنعة بعدها:

«*حسنًا، سأعود إلى ابنتي وأحدثك قريبًا..*».

كانت هذه الجملة تعني أنه يشير لغلاب بالذهاب..

غادر البيت، لا يعلم سببًا لِمَ حدث..

لماذا تغيرت ملامح والد حور حين تحدث عن والده وحادث وفاته؟

ما الذي جعله يُنهي الجلسة بهذه السرعة..

أسئلة لا إجابة لها..

عاد إلى البيت يُشعر باختناق مما آلت إليه الأمور، وأن هذه بداية لا تبدو مبشرة أبدًا..

***

خرج قناوي من الصالون بملامح متجهمة، لم يجب على أسئلة زوجته، وكيف صار لقاؤه مع الشاب، دخل إلى غرفة مكتبه وأغلق الباب عليه، ما زال عقله لا يستوعب الصدمة،

كيف لعب القدر دوره ليجعل ابن مطاوع يصل إليه وإلى ابنته؟ وكيف يجلس هذا الشاب مع مَن قتلت عائلته؟

أسئلة كثيرة لا إجابة لها عنده..

ماذا سيقول لعائلته، كيف يبرر رفضه لزواجه من ابنته..

هل يهرب بهم إلى مكان آخر..

بعد صراع كبير بينه وبين نفسه..

جلس قناوي مع ابنته وأخبرها برفضه بدون إبداء أية أسباب، ونهاها عن مقابلة ذلك الشاب مرة أخرى، أو حتى الحديث معه..

وافقت حور في أدب مطيعة لرغبة أبيها..

أخذ قناوي يُحضر للسفر بعيدًا رفقة عائلته ليبتعد عن كيد حور..

قضى ليلته في مكتبه يُفكر في الماضي الذي لا ينتهي..

***

في اليوم التالي حاول غلاب الاتصال بحور لكنها لم تجب..

حاول أكثر من مرة بدون جدوى..

ساءت حالته لدرجة كبيرة، أصبح يتهرب من عمته بالتأخر

ليلًا لكيلا تحدثه عن الأمر..

أثرت حالته تلك على حياته وعمله، إلى أن استقبل اتصالًا من حور بعد ثلاثة أيام..

تحدث بلهفة..

*«حور أين أنتِ، لماذا لا تُجيبين على اتصالاتي، ماذا حدث..»؟*

قالت حور بصوت هادئ مختنق:

*«كيف حالك يا غلاب..»؟*

أجابها قائلًا:

*«لست بخير بدونك، ما منعك من الرد الأيام الماضية، هل أخذ والدك رأيك، ماذا قال لك بعد خروجي..»؟*

قالت حور باقتضاب:

*«والدي لا يوافق، وأنا لا أستطيع عصيانه أو مجادلته..».*

قال غلاب:

*«ما سبب رفضه..»؟*

أجابته حور بضيق..

*«قمت بسؤاله، لكنه رفض إبداء أسباب، وقال: إن قراره هذا نهائي..».*

سمع غلاب ما تقوله في صمت فتابعت قائلة:

*«لن نستطيع التحدث معًا بعد اليوم..».*

كانت هذه الجملة الأخيرة في المحادثة، ما زال غلاب لا يستوعب ما يحدث..

قد لاحظ حزن حور وهي تُخبره رفض والدها..

لكن لماذا لم يَقُل لها أسباب رفضه هذا..

كان هذا اليوم الأشد حزنًا بعد اليوم الذي فقد فيه عائلته..

في النهاية قد تحول حلمه الجميل مع حور إلى أحد كوابيسه..

مر يومان وحالة غلاب من سيء إلى أسوء، كاد ينفجر لولا أنه قرر التحدث مع عمته فيما حدث مع حور ووالدها بعد أن كان يتهرب منها طيلة الأيام الماضية..

والتي واسته قائلة:

*«إن بعض الناس تبحث عن النسب والعائلات الكبيرة حين يتعلق الأمر بالزواج، ويجوز أن والد حور رفض أن يزوج*

*ابنته لشاب وحيد فقد عائلته بأكملها..».*

شعر غلاب ببعض الراحة من حديث عمته، لكنه شعر أيضًا أن شيء ما يشغلها، وتحاول إخفاءه..

دخل غرفته هذه الليلة، يُشعر بالتعب والإرهاق من كثرة التفكير، ألقى بجسده على فراشه وغط في النوم..

وكعادته بدأ يرى تلك الكوابيس تطارده من كل جانب..

رأى نفسه يقف هناك في تلك القرية أمام بيت العجوز ميمونة..

الباب كان مواربًا، كأن شيئًا ما يستدعيه للدخول..

دخل بعد قليل من التردد، وعلى عكس المتوقع رآها..

واقفة في منتصف البيت بملامح هادئة، ترتدي جلبابًا أخضر قاتم اللون، تحمل بين يدها كتابًا، ابتسمت ورفعت يدها به في إشارة له بأخذه..

اقترب منها في خوف، مدَّ يده ليلتقطه منها..

وما إن لامسه حتى التصقت يده به، كانت ما تزال تمسكه من الطرف الآخر..

اتسعت عيناها وتبدل لونها للأبيض بالكامل، يحاول غلاب

أن يحرر يده ليهرب من هذا البيت..

راقبها وهي ترفع نظراتها لأعلى قليلًا، ثم عادت لتنظر إليه بشكل مخيف وتصرخ فيه بغضب شديد قائلة:

حووووور.......

استيقظ مذعورًا، يتلفت هنا وهناك باختناق كاد أن يُزهق روحه..

مسح بيديه على وجهه ليهدأ، يُحاول أن يعتدل في جلسته، لكنه انتفض حين لامست يداه شيئًا ما..

هرع إلى مفتاح الإضاءة..

رجع إلى سريره وهو ينظر على ما لامسته يداه..

اتسعت حدقتا عينيه مندهشًا عندما رأى الكتاب، سأل نفسه كيف أتى الكتاب إلى فراشه، لم يتذكر قراءته فيه قبل نومه..

اتجه إلى خزانة ملابسه سريعًا تحسَّس على المكان الذي وضعه فيه من قبل، لكن كان خاليًا..

وضع الكتاب بين يديه وقلب صفحاته التي ما تزال بيضاء خالية من أي حرف..

فكر في الكابوس الذي رآه منذ قليل وعن علاقة العجوز ميمونة بأحلامه، لكنه فسَّر ذلك بأن الكتاب يعود لها..

لكن ما لم يجد له تفسيرًا هو صُراخها باسم حور في وجهه..

نظر للكتاب بين يديه وهو يحدثه بصوت مسموع قائلًا..

«*من المؤكد أن صفحاتك البيضاء هذه تحمل كل الأجوبة*».

استخدم طرف سكين، لجرح إبهامه لتتساقط بعض قطرات الدماء على غلاف الكتاب..

ليفتحه وهو ينظر بدهشة، للكلمات التي تظهر حرفًا حرفًا، والرسوم التي تتشكل خطًّا خطًّا، شعر بالخوف لكنه تماسك..

وضع الكتاب جانبًا لحين انتهاء هذا الجنون وتظهر كلماته..

بعد قليل أمسك به وفتحه على آخر صفحة قام بقراءتها..

لفت نظره أن الكتاب لم يُظهر كل صفحاته بعد، حتى تلك الصفحات القليلة التي ظهرت جديدة، لم يظهر بها إلا كلمة واحدة في كل صفحة..

كانت الكلمات بالترتيب كما يلي....

سِحر

قتل

خلاف

خيانة

هروب

حور

لم يفهم غلاب أي شيء من هذا، ولا يشغله في تلك الكلمات إلا ظهور اسم حور بينهم...

أخذ ينظر للصفحات كثيرًا وكثيرًا، كأنه أمام أحجية ما، وعليه الوصول إلى حلّها....

# 27

أخذ غلاب يقلِّب في الصفحات الست مرارًا وتكرارًا، يقرأ الكلمات أكثر من مرة من البداية للنهاية والعكس، يحاول ربط الكلمات ببعضها، لعله يصل لتفسير ما بينها، لكن دون جدوى..

يُثير دهشته تواجد اسم حور في الكتاب، ومن قبل داخل الحلم..

انتظر خروج عمته من غرفتها، ذهب إليها وسألها مباشرة قائلًا:

*«هل تعرفين الشيخ قناوي من قبل؟».*

لاحظ غلاب تغير ملامح عمته، كأنها لم تتوقع سؤاله هذا..

أجابت بتردد:

«لا ...».

قال غلاب بملامح جدية، ونبرة صوت حادة تسمعها عمته للمرة الأولى:

*«إن كان هناك شيء ما حدث في الماضي ولا أعرفه، فهذا الوقت المناسب لتخبريني به».*

لمعت عين حور بخبث ثم نظرت إلى الأرض وتبدلت ملامحها بنظرات استسلام وقالت:

*«هذا ماضي ونبشه لن يفيد أحدًا..».*

نظر لها غلاب في صمت لتكمل حديثها فقالت:

*«قناوي ووالدك كانا أصدقاء منذ سنوات، لقد بدأوا العمل معًا، وظلوا هكذا إلى أن حدث خلاف كبير بينهما، انفصل كل واحد منهما عن الآخر وبعدها وصلت للقطيعة حين هدَّد قناوي والدك بالقتل..».*

شربت حور بعض الماء ثم تابعت:

*«نشبت العداوة بينهما كل تلك السنوات، ولم تنته إلا بموت والدك...».*

شعر غلاب بالاختناق من حديث عمته وقال غاضبًا:

«لماذا تركتني إذن، أذهب وأطلب يد ابنته للزواج، كيف أصافح يد عدو أبي وأطلب مُصاهرته..

قالت حور:

*«لم أكن أعلم حينها، لقد راودني الشك حين رفضك، ذهبت إلى هناك لكي أراه بعدما وجدت مدى ضيقك وتعاستك».*

وأضافت:

*«تأكدت حين رأيته قبل صعودي للبيت، كأننا ندور داخل حلقة مفرغة، ما نظنه ماضيًا انتهى، تمر الأيام لنصطدم به في طريقنا مرة أخرى..».*

نظرت حور لغلاب الذي بدا شاردًا فتابعت:

*«قناوي لم ينس أبدًا حقده وكرهه لأبيك، حتى بعد موته؛ لذلك رفض أن يزوجك ابنته..»*

وبنظرة شيطانية تابعت قائلة:

*«وإني لا أستبعد أن يكون هو من تسبَّب في موته..».*

عاد غلاب من شروده فور سماع تلك الكلمات من عمته فقال:

*«ماذا تقولين، كيف يكون هذا الرجل وراء حريق البيت»؟*

قالت حور:

*«هذا الرجل دجال، يعرف خبايا السحر والأعمال السفلية، ويعمل بها منذ صغره مع والدك، أنا كنت أجلس معهم بعض الأحيان، وأظن أني سمعت حديثهم عن وقوع شيءٍ مماثل من قبل..».*

ترك غلاب عمته بعد أن كاد رأسه ينفجر من محاولة التكهن بما حدث...

لم يستطع العمل بشكل طبيعي، تفكيره مشوش، يريد أن يتأكد إن كان ما حدث لعائلته حادث أم شيء آخر..

كما فعل مع الكتاب، كرر البحث عن حالات سحر مشابهة لحريق بيته، لكن بدون نتيجة..

قلق غلاب نابع من وجود شيء ما بداخله يؤكد احتمال أن يكون لقناوي يد فيما حدث لعائلته..

ويبرهن على ذلك بمقابلته الغريبة ورفضه لزواجه من ابنته بدون إبداء أسباب...

ظل على هذا الحال طوال اليوم، حين عاد في المساء، كان مختنقًا كمن يحمل جبلًا على صدره، عيناه ممتلئتان بالحقد، لا يعرف على من، لكنه يعرف جيدًا على ماذا...

بدل ثيابه وجلس على فراشه، تفاجأ بنزيف إصبعه الذي كان قد جرحه من أجل الكتاب..

بحث عن شيء ليكتم به الدم، لكن توقف فجأة وقال في نفسه..

*«من الممكن أن تكون هذه إشارة، ليستخدم الكتاب مرة*

أخرى..».

اتجه غلاب بدون تردد وأحضر الكتاب من فوق خزانة ملابسه، ومسح على غلافه بالدم..

فتح الكتاب وبدأ يشاهد ظهور الكلمات والرسوم وسط خفقان قلبه من الخوف..

ظل يقرأ عن تعاويذ وأسحار شيطانية بإمكانها أن تقتل أي شخص بسهولة بالغة..

إلى أن وصل إلى ما جعله يحملق في الكلمات ويدقق النظر فيها بشدة..

كانت تعويذة تُمكن من يستخدمها قتل أي عدد من الأشخاص في مكان واحد، عن طريق رسم المكان وكتابة أسماء من فيه..

حين يتم استخدام هذه التعويذة فإن الجن يقومون بحرق البيت، ويكون هناك مجموعة أخرى تغلق بأجسادها الأبواب والنوافذ، لكي لا يجد من في البيت مخرجًا، ولا وسيلة لإطفاء الحريق..

كما أن أحدهم يبدأ بعمل ماس كهربائي، لكي تظهر كحادثة..

في هذا الوقت تبدل الشك باليقين داخل غلاب، أخذ يقرأ ما يلزمه ليتعلم كيفية استخدام هذه التعويذة، لينتقم لموت عائلته..

يومان كانا وقتًا كافيًا لتعلم غلاب التعويذة..

عليه رسم البيت وكتابة الأسماء بداخله، ثم يكتب التعويذة بشكل دائري حول الرسم، وكأنه يحاوطهم بالشر جميعًا..

هناك أمر واحد يجعل غلابًا في حالة تردد مما ينوي الإقدام عليه..

حور...

لا يعرف إن كان قادرًا على تركها لتموت معهم، أم أن حُبَّه لها سيمنعه أن يفعل ذلك..

لكنه حين يفكر في هذا يرى أمامه عائلته التي حُكم عليها بنفس المصير، يرى أمه وأخاه وأباه والنيران تأكل في أجسادهم بدون رحمة، يرى فيما سيفعله أن هذا القصاص الذي سيريحهم في مقابرهم..

قبل يوم من التنفيذ ذهب غلاب إلى مقابر عائلته وأخذ يتحدث عن عقابه للفاعل بنفس الطريقة، جلس أمام قبر

أمه واعتذر لها عن ابتعاده عنها لشهور طويلة، وأنه لم يكن يتخيل أن يكون الرحيل مباغتًا هكذا، حدَّث أخاه عادلًا أنه يحبه، وأنه كان قد قام بشراء الملابس التي طلبها منه في الأجازة، لكن الموت حال دون ذلك..

جلس أمام قبر والده يبكي، أخبره أنه يعيش مع عمته، وقد أخبرته بما حدث في الماضي بينه وبين صديقه قناوي، وأنه سينتقم منه بنفس الطريقة..

لو كان مطاوع قادرًا على التحدث من قبره، لكان يصرخ الآن على غلاب لكيلا يفعل، ولكن تبقى القبور صامتة، لا يتحدث مَن بداخلها...

في ساعة متأخرة من اليوم التالي وقف غلاب في مكان قريب ينظر إلى بيت قناوي، كانت تزعجه إضاءة الشارع العالية التي تمكِّن أي أحد من التعرف على وجهه، لكن رغم ذلك كانت حركة الناس هادئة في ذلك الوقت، بل تكاد تكون منعدمة، لم يخطر بباله أن يتخفى، فهو لا يفهم في هذه الأمور، في يده الورقة التي رسم فيها البيت وكتب فيها التعويذة بشكل دائري حوله، لم يتبق إلا أن يكتب أسماءهم..

قناوي.. سلوى.. هيام.. ح.....

لم يستطع كتابة اسم حور اكتفى بالأسماء الثلاثة..

أخذ يتمتم بالكلمات كما تعلمها، يُصارع نفسه كي يبعد صورة حور عن رأسه، تذكر والدته وأخاه وأباه...

أشعل الورقة ووقف ينتظر أمام البيت، وما إن وصل الحريق لرسم البيت، حتى هبت النيران أمامه من كل جانب، كأن البيت يتعرض للقصف، يقف وحيدًا بين البيوت مشتعلًا، لا تعتدي النيران على البيوت الأخرى، علا صوت الصُراخ من كل مكان..

لم يستطع غلاب تمالك نفسه، أراد أن يلقي بجسده في النار لينقذ حور، كان يشعر وكأن نسخة أخرى من التعويذة تحرق قلبه..

ازدحم الناس أمام البيت، فشعر بالخوف، وذهب مغادرًا المكان سريعًا...

تحرك خلفه أحد الأشخاص متخفيًا، كان يراقبه طوال الوقت من مكان ليس ببعيد....

عاد إلى البيت، يتنفس بصعوبة، يكاد يختنق عقله لا يستوعب بعد أنه قتل حور بيده، الفتاة الوحيدة التي دقَّ لها قلبه...

دخل إلى غرفته، ألقى بجسده على فراشه كالأموات، يريد أن يقطع هذا التفكير بالنوم..

ظل ساعتين مُستلقِيًا كالجثة، ينظر إلى سقف الغرفة، لا يتحرك فيه إلا عقله، الذي لم يهدأ من التفكير فيما حدث، والشعور بالندم..

حمل نفسه على النوم هذه الليلة برغم شعوره بالذنب والألم..

قضى أسبوعًا بعد تلك الليلة، تعمَّد فيه إرهاق نفسه في العمل لكي يتجاوز ما فعله، كان يترقب خوفًا أن تعلم الشرطة، أنه خلف هذا الحريق وتدينه بقتل عائلة حور..

لم تتركه الكوابيس، لقد حولت لياليه إلى جحيم، أبرزهم كان هذا، الذي يرى فيه العجوز ميمونة بوجهها المجعد الغاضب، تصرخ في وجهه باسم حور، لا يعرف أي حور كانت تقصد، لكنها كانت تُشعره بالفزع في كل مرة..

لم يستطع إكمال يومه في العمل، فقرر أن يعود إلى البيت، كان يشعر بإعياء شديد طيلة الأيام الماضية، كان يُرهق نفسه بالعمل صباحًا، وتجافي نومه الكوابيس ليلًا..

دخل إلى البيت ينادي عمته، لم يتلق أي رد..

اتجه إلى غرفتها، طرق عليها الباب برفق، لم تجبه أيضًا..

انقبض قلبه خوفًا عليها، لا يعرف من أين أتاه هذا الشعور،

أراد أن يطمئن..

فتح الباب ليجدها ملقاة على الأرض فاقدة للوعي، هم سريعًا ليحمل عمته إلى سريرها، حاول إفاقتها لكنه لم يستطع، اتصل بطبيب بالقرب منهم ليأتي سريعًا..

لاحظ غلاب أن هناك رائحة كريهة كالتي تصدر عن جيفة الحيوانات، تلفت حوله في أركان الغرفة، كانت هذه هي المرة الأولى التي يدخلها، دائمًا ما كان يشعر أن عمته لا تحب دخول أحد إليها..

سقطت عين غلاب مصادفة على شيء جعله يتجمد في مكانه لثوانٍ، عندما رأى نسخة كتاب مشابهة لذلك الذي عثر عليه في بيت ميمونة، لم يقصد ما حدث، ولكن كان كل شيء واضح كأنها خزينة صغيرة تحوي عددًا من الكتب داخل خزانة ملابسها التي كان بابها مفتوحًا، خمن أن عمته أُصيبت بالإغماء حين كانت تقف أمامه..

نظر إليها وكانت ما تزال على فراشها فاقدة للوعي، اقترب من الدرج وأخذ الكتاب بين يديه وفتحه ليرى صفحاته البيضاء، شاعرًا بالدهشة والاستغراب، أن كيف وصلت نسخة من هذا الكتاب إلى عمته!

نظر إلى الدرج مرة أخرى، ليرى مجموعة من الكتب التي

تبدو مشابهة له، أوراق تشبه تلك المصنوعة من البردي رسم عليها نقوش شيطانية وطلاسم لا معنى لها..

مد يده داخلها أكثر ليبحث إن كان به أشياء أخرى، اصطدم إصبعه بمسمار، ليخرجه سريعًا متألمًا، كتم الدماء بعدما غرس جرحه في ملابسه، شعر بتقلب معدته وهو ينظر إلى قطرتين من دمائه ابتلعهما غلاف الكتاب الذي كان يقبض عليه بيده الأخرى، حاول أن يمسحهما لكن الأوان قد فات، فتح الكتاب ليطمئن إن كان على حالته، نظر إلى عمته في خوف حين وجد الكلمات تظهر وتملأ الصفحات البيضاء..

شعر بالقلق، لا يعرف ما عليه فعله الآن، ماذا إن استعادت وعيها ورأته على تلك الحالة..

لم يستطع مقاومة قراءة ما ظهر..

كأنها رسالة كُتبت بخط اليد...

كانت تقول:

«اليوم وبعد مرور كل تلك السنوات انتقمت لك يا شافع..

اليوم حرقت أخي وعائلته مثلما حرق قلبي بقتلك..

حرمني منك فحرمته من الحياة، وكل ما كافح في بنائه كل تلك السنوات، جعلته يرى الجحيم على الأرض..

غلاب كان في حالة صدمة أثناء قراءته لتلك الكلمات، علم أن عمته تعرف بقتله عائلة حور، بعد أن كذبت عليه بشأن العداوة بينهما..

عينه باتت حائرة بين الكتاب في يده، وعمته الفاقدة للوعي أمامه..

علا الضجيج في رأسه، احمرَّ وجهه من الغضب، لم يعد يرى عمته في تلك المرأة الممددة أمامه، لا يرى إلا شيطانًا في جسدٍ بشري..

وضع الكتاب بين ملابسه وتقدم نحوها، لم يشعر بنفسه إلا وهو قابض على رقبتها بيديه ليقتلها، ضغط بكل قوته وغضبه، لكنها لم تختنق، كأن يديه غير ذات تأثير عليها، لم تقاومه حتى..

كان ينظر إلى عينيها المغلقتين ويقول صارخًا:

«*حان وقت موتك أيتها الشيطانة*».

شعر بالفزع حين رآها تفتح عينيها بهدوء مخيف، ما زال يقبض على رقبتها بكل قوته..

ابتسمت وما كان هذا إلا ذلك السكون الذي يسبق العاصفة..

شيء ما دفع غلاب في صدره ليندفع بقوة بعيدًا عنها...

وجدها تتحرك من رقدتها بشكل غريب، تجلس بزاوية قائمة تنظر إلي الكتاب الظاهر بين ملابسه، انقطعت الإضاءة، عمَّ الظلام البيت، علم غلاب أنه أمام قوة من الشر لن يضاهيها قوة..

اتجه إلى غرفته سريعًا يصطدم بالأثاث هنا وهناك، لأخذ نسخة الكتاب الأخرى، غادر البيت، بعد أن لمح خيالات كثيرة بداخل الغرفة مع عمته..

نزل من البيت لا يملك شيئًا سوى الكتابين والهاتف وبعض النقود..

يسير تائهًا في حالة صدمة مما عرف..

عمته هي قاتلة عائلته، لقد قتل حبيبته وعائلتها في سبيل انتقام كاذب مزيف، إن هذا مثير للجنون..

يتلفت حوله هنا وهناك خشية أن تلاحقه، من المؤكد أنها إذا أدركته ستقتله، بعد أن اكتشف أمرها، يقبض بيديه على الكتابين، يريد أن يقرأ فيهما أكثر ليتمكن من كشف مزيد من الأسرار..

ما يملكه من النقود يكفيه للهروب إلى أحد أصدقاء عمله

القديم في الإسكندرية......

حضر راشد سريعًا بعد اتصال حور، ليجدها في حالة من الانهيار، جسدها لا يتوقف عن الرجفان، أرسلته خلف غلاب لعله يعثر عليه قبل أن يبتعد بالكتاب، فهي الوحيدة التي تعرف ماذا سيحدث إن فقدته......

بعد يومين من الخوف والترقب عرف فيهم غلاب كل ما حدث في الماضي بين أبيه وعمته والشيخ قناوي وأخته ميمونة التي وصل لها بالصدفة، أو لعلها لم تكن كذلك، لقد عرف كل شيء من الكتب..

يقف أمام البحر وقت الغروب، ينظر إلى سطحه الممتد لعل هذا يزيل بعض الاختناق والضيق بداخله..

يفكِّر كيف سيواجه عمته الشيطانة تلك..

وما الأفضل، مواجهتها أم الهرب منها كما فعل والده من قبل..

سمع رنين هاتفه، أخرجه من جيبه، نظر إلى اسم المتصل المدوَّن أمامه على الشاشة، قلبه يرتجف من مكانه، صار أشد تخبطًا من تلك الأمواج أمامه..

لا يُصدق ما يرى، أجاب سريعًا قائلًا:

«حور..».

قالت:

*«كيف حالك يا غلاب..»؟*

بلهفة قال..

*«أنتِ بخير، أين أنتِ»؟.*

أجابته قائلة:

*«أريد مقابلتك في أقرب وقت..».*

قال غلاب:

*«أخبريني أين أنتِ وسآتي على الفور..».*

أخذ منها العنوان وغادر من فوره إليها، بعدما أخبرها أنه في الإسكندرية وسَيُهاتِفُها فور وصوله...

تشوشت أفكار غلاب أثناء الطريق، أن ماذا لو كانت هذه حيلة جديدة من عمته، تستدرجه بانتحال صوت حور لقتله..

لكنه لم يستسلم لتلك الوساوس..

فهو يحب حور للدرجة التي لو كانت هي الجحيم ذاته لألقى نفسه في أعماقها بكل رضا، فالاحتراق في قرب من نحب نجاة، والسلامة في بُعد من نحب جحيم...

في العاشرة والنصف مساءً كان في العنوان..

كانت تجلس بمفردها بثيابها السوداء، حزينة مكسورة، اقترب منها، وقفت بلهفة عندما رأته، تجمد كل واحد منهما أمام الآخر، الْتَحَمَ كل شيء فيهما، نظرات أعينهما، أنفاسهما، أرواحهما، كل شيء كان يذوب فيهما من الاشتياق والتعلق، بعد ثوان لم يتمالكا أنفسهما أكثر حتى تداخل جسداهما ببعضهما باكيين، انفجرت حور في البكاء، كجدار اتفق الجميع على هدمه، لكنه بقي صامدًا، وبعد أن تراجع الجميع عن هدمه، سقط بمفرده، لكنه سقط على جدار آخر يعرف يقينًا أنه سيقوم ببنائه وترميم روحه..

ظلا هكذا وكأن كلًا منهما يشكو ما به للآخر، غير عابئين بمن حولهما، إلا أن تداركت حور نفسها وتراجعت، جلست على الطاولة وجلس غلاب أمامها..

يمسح كلاهما آثار الدموع عن وجههما..

سألها غلاب:

«كيف نجوت»؟........ لم يكمل خجلًا من سخافة سؤاله..

قالت:

*«للأسف لم أكن معهم في البيت تلك الليلة، كنت أبيت عند*

*إحدى صديقاتي، كان زفافها في اليوم التالي..».*

نظر غلاب أرضًا نادمًا، لكنه أبدى التماسك لمواستِها..

لم يكن عنده ما يقول، يُريد أن يركع أمامها ويعترف بما فعل، يُريد أن يطلب عفوها، يُريد أن يتخلص من هذا العبء الذي يحمله في صدره، يُريد ويُريد لكنه لا يستطيع المجازفة..

قطع صوت حور حبل أفكاره حين قالت:

«غلاب، أريد أن أحدثك في شيء هام..؟.

نظر لها غلاب مُنصتًا باهتمام، بعد أن أومأ لها برأسه لتقول:

*«لقد ترك أبي هذا الظرف مع صديق له، أراد أن يصل لي، إن حدث له شيء...».*

لم تستطع حور أن تُكمل، نزلت دموع عينيها بكثافة، مسك غلاب يدها ومسح بيده الثانية الدموع وقال:

*«لا تبكي أرجوكِ، دموعك تؤذيني لا أتحملها..».*

استعادت حور رباط جأشها وتابعت قائلة:

*«لم أكن أعلم عن هذا الظرف شيئًا حتى صباح اليوم..».*

سألها غلاب في ترقُّب:

*«ماذا يوجد داخل هذا الظرف..»؟*

أجابته حور:

*«يتحدث أبي أنه كان صديق والدك منذ صغرهما، كان ذلك لأنهم يعيشون الظروف نفسها من اليُتم والفقر، في بلدة كانت تعج بالشر من كل جانب..».*

صمتت قليلًا وتابعت:

*«اجتمع أبي وعمتي ووالدك وعمتك من أجل أن يتخلصا من ذلك الفقر، ولم يجدوا طرقًا أخرى وقتها إلا طريق السحر، اتخذوا قرارًا أن يبيعوا أنفسهم إلى الشيطان مقابل المال والقوة..».*

أخذت حور تتحدث عمًّا حدث بعد ذلك لعمتها ميمونة، عن عهد الدم ودخول شافع بينهم، عن ألم والدها الذي ظل خائفًا من الاعتراف بحبه لحور، حتى استطاع شافع انتزاع حلمه منه وامتلاك قلبها..

عن إنكاره لنقضه عهد الدم، عن الخداع الذي قام به أمام عيني حور لإلقاء تهمة القتل لوالدها..

قالت حور:

*«عندها تم طرد أبي وعمتي المريضة، وإلا كان سيتم قتله*

*بحسب العهد الذي اتخذوه على أنفسهم، رحل أبي، ولكنه لم ينسَ ما فعله شافع به، وكيف فرَّقه عن والدك وعمتك وكانوا بمثابة عائلته..».*

وتابعت..

*«بعد فترة قصيرة، وصل أبي خبر زواج شافع من حور، فتعاظم بداخله الحقد، فاتفق مع والدك على الانتقام منه، فقتلوه بالسحر، لكنه لم يذكر الطريقة التي فعلوا بها ذلك..».*

وأضافت...

*«علمت حور بأمرهم عن طريق الجني خادم شافع، وسعت خلفهم للانتقام، مرت سنوات طويلة لكن حور لم تستسلم أبدًا».*

كان غلاب يستمع لحور في اهتمام، يرتب الأحداث وراء بعضها، يقيس ما تقوله حور على ما قرأه في الكتاب..

تابعت حور القصة بصوت أبيها قائلة..

«افترقت عن مطاوع حين علمنا ذلك، كيف علمنا؟

كانت ميمونة ترى هذه الومضات في يقظتها وأحلامها، كما كان يُكتب في كتابها كل شيء، وكانت تكتب لتخبرني بما حدث، لم يستطع مطاوع الابتعاد كثيرًا، راقبته ذلك اليوم، لا

أعرف سبب فعلي لذلك..

رأيته يسكن في بيت يبعد عن بيتي بساعة أو أكثر بالسيارة..

كنت أراقبه كل فترة حتى أني حضرت زفافه متخفيًا..

واستمر هذا لسنوات حتى رأيت بيته محترقًا به وبعائلته..

علمت حينها أنها حور، شيء ما بداخلي قال: لا يمكن أن يكون هذا حادثًا عاديًّا..

انتقلت إلى بيت آخر، لكن حين ظهر غلاب عند عتبة بيتي تيقنت أنها النهاية، ورغم ذلك تجهزت للهرب، حين يصلك هذا الظرف وتقرئي الأوراق بداخله، ستعلمين سبب رفضي لغلاب اليوم بدون أن أفسّر لك قراري، وأخبرك بالماضي..

إن مكوث غلاب ببيت عمته يعني أنه لا يعلم حقيقتها، ويجب أن أخبره في أقرب وقت..

ترددت في إخباره اليوم خوفًا عليكما، لكن سأصل له في الأيام القادمة، وإن وصل إليك هذا الظرف قبل أن أفعل، اذهبي إليه وأخبريه بكل شيء، وتزوجا واهربا بعيدًا عن حور وشرها...

ابنتي العزيزة حور......»

إنتهت حور وقالت:

*«طلب أبي أن نهرب معًا؛ لأن عمتك لن تتركنا وشأننا، ستبحث عنا حتى تقتلنا..».*

قال لها غلاب:

*«لا هي الآن تبحث عني فقط؛ لأنك في نظرها قد رحلت مع عائلتك..».*

قالت حور:

*«هل تظن أنها لا تعلم أني على قيد الحياة، أشك في ذلك، بالتأكيد ذهبت لتتأكد أن عائلتي ماتت بأكملها، واكتشفت نجاتي، وهذا يجعلنا أهدافًا لها ...».*

أومأ غلاب برأسه قائلًا:

*«حسنًا إن كان الأمر كذلك، فأنا لن أهرب إلى أي مكان حتى أنتقم لعائلتي...».*

قالت حور وهي تمد يدها لغلاب:

*«وأنا معك في ذلك، فأنا أيضًا أريد الانتقام ممن قتل عائلتي..».*

اكتفى غلاب بإيماءِ رأسه في صمت، يُفكر فيما سيحدث إن

علمت حور أنها تجلس الآن أمام قاتل عائلتها....

# 28

قضت حور الأيام الماضية بين الفراش والغرفة التي تناجي فيها شيطانها، ضعيفة هزيلة، لا يُستجاب لها مهما قدَّمت من قرابين، لقد خسرت كل شيء، تلاشت قوتها منذ أن أخذ غلاب الكتاب، كان شرطًا أساسيًا من شروط الشيطان عليهم، ألا يفقد أحدهم كتابه، وإلا سيفقد قوته ويموت، لقد جربت ذلك حين غضبت ومزقت بعض صفحاته ذات يوم، وتم العفو عنها حين عادت، ساعدها في ذلك بقاء الكتاب معها وعدم استيلاء أحد عليه، هذا السبب نفسه الذي جعل ميمونة تحتفظ به كل تلك السنوات رغم رجوعها عن هذا الطريق..

يبحث خادمها راشد عن غلاب في كل مكان لكي يعيده بأي ثمن، حتى لو كان هذا الثمن حياته...

على الجهة الأخرى أخذ غلاب وحور يقرآن في كلا الكتابين، لقد عرفا أشياء خطيرة، أشياء تجلب لهم ثروات طائلة إذا أرادا، قرأ كلاهما عن بداية حياة عائلتيهما في أعمال السحر الأسود، ووقفا مذهولين أمام ما كانت حور تفعله في الجان قبل البشر..

قد قرأ غلاب عن الجنية هبيانة بنت البارش التي حكمت عليها حور بقتل اثنين من أطفالها أمام عينيها، وكيف أن هذه

الجنية قد حملت نظراتها العداوة لعمته في ذلك اليوم..

هنا خطرت على رأس غلاب فكرة مجنونة، لا يعرف إن كانت ستجدي نفعًا أم لا...

أخبر حور أنه سيحاول إحضار هذه الجنية ليستخدمها لقتل عمته، وتكون بذلك حصلت على انتقامها، وفي الوقت ذاته ساعدتهم للتخلص منها وحصولهما على انتقامهما كذلك..

راقت لحور الفكرة على الرغم أنها ليست متأكدة من قدرة غلاب على هذا...

بعد بحث عن كيفية تهيئة الظروف لأعمال تحضير الجن، قام غلاب بتجهيز إحدى الغرف في البيت الذي استأجراه، شموع وبخور ورسم، ووضع الكتاب في منتصف النجمة الخماسية مفتوحًا على تعويذة الإحضار، وأخذ يتمتم بها مرارًا وتكرارًا بمفرده في الغرفة، إلى أن انطفأت الشموع فجأة، وأظلمت الغرفة، ارتجف قلب غلاب وشعر بالقلق، لكنه استمر في الترديد، حتى سمع صوت أقدام تهز الأرض من تحته، نظر في اتجاه الصوت، حتى رأى ثورًا ضخمًا أسود، لكن سواده يشع بنور داخل الظلام، عيناه حمراوان، يهجم على غلاب بسرعة رهيبة وغضب.

ذُعر غلاب مما يشاهد، يردد في نفسه أنه أخطأ في التعويذة أو ماذا، كان يعرف مسبقًا، أنه لا ينبغي للمُحضر الهروب أثناء الجلسة حتى وإن رأى موته، فثبت إلى أن اقترب الثور منه حتى كاد أن يصطدم به، فأغلق غلاب عيناه استعدادًا للموت، لكن لم يحدث أي اصطدام.

فتح عينيه لينظر إلى طائر ذي ألوان زاهية، جميل المنظر، وإلى الشموع التي عادت للاشتعال من تلقاء نفسها، لم يفهم غلاب شيئًا مما حدث، حتى تحوَّل الطائر إلى جنية ذات جناحين تطير فوقه وتنظر له، لا يعرف كيف تحتمل مساحة الغرفة الصغيرة حجم هذه الجنية التي تطوف حوله بجناحيها الكبيرين..

استقرت أمامه في بهاء وحدثته قائلة:

«*ماذا تريد*»؟

أجابها غلاب بشيء من التلعثم..

«*أريد مساعدتك للانتقام من الإنسية التي آذتك يومًا..*».

قالت بتكبر وغضب:

«*لا أحد من جنسك قادر على إيذائي أيها الفتى*».

بلع غلاب ريقه ثم قال:

*«ألم تتذكري تلك الإنسية التي أذلتك وقتلت طفليكِ»؟.*

قالت الجنية وكأنها تذكرت ذاك اليوم...

«حووووور....».

قال غلاب:

*«نعم هي...».*

قالت الجنية..

*«لكنها تستقوي بكتاب، صُنع بقوة العالم السفلي، وتحتمي بملك من أشداء ملوكِنا، فلن أستطيع الاقتراب منها مادامت نملكه..».*

قال غلاب:

*«الكتاب الآن معي...».*

نظرت الجنية هبيانة إلى الكتاب لتعرف كل ما يحويه في ثوان..

ثم قالت:

*«ماذا تريد..»؟*

قال غلاب:

*«آمرك بقوة الكتاب وقوة ملوك العالم السفلي أن تقتلي حور..».*

عادت هبيانة للطواف مرة أخرى وهي تقول:

*«هذا لقاء قد طال انتظاره...»*

لتختفي وتعود معالم الغرفة كما كانت، وكأن غلابًا قابلها في العراء، فقد كان لا يرى للغرفة حوائط، ولا أبواب، ولا نوافذ، كان يرى الظلام، الظلام فقط يحاوطه من كل اتجاه....

***

لقد تغيرت البلدة كثيرًا منذ أن تركها، حيث زحفت المباني على أغلب الأراضي الزراعية بها، حتى أنه كاد يُخطئ في شوارعها، رغم أنه يقيم بها منذ يومين، كان الوقت بعد العِشاء، حيث يسير بين الناس لا يعرف أحدًا، كما لم يتعرف أحد عليه، فمن ذا الذي سيتذكر ذاك الصبي اليتيم ثقيل اللسان راشدًا.

يسير إلى بيت أحد أقربائه من بعيد، في منطقة نائية في ظهير القرية الصحراوي، يقبض بيده على حبل غليظ طرفه الآخر في رقبة كبش سمين، يمتلك صوفًا قاتم السواد..

بعد مسير ليس بالقصير، نظر خلفه لأضواء القرية التي تبتعد كلما اقترب من بيت قريبه، حينما كان فتى كان صاحب هذا البيت شيخًا كبيرًا، كان من القلائل الذين يعطفون عليه، دخل راشد إلى إحدى الغرف، بعدما ربط الكبش في جزع نخلة يقف في منتصف البيت منذ نشأته..

يجهز الغرفة بتوزيع الشموع في أركانها، وأخذ يردد تلك الكلمات المكتوبة في قصاصات ورقية، كان قد نقلها من كتاب سيدته حور قبل أن تفقده، أخذ في ترديدها إلى منتصف الليل حتى حفظها عن ظهر قلب..

أشعل الشموع وألقى البخور في قِدر وُضع في منتصف الغرفة، ثم جاء بالكبش بعد أن قيد أقدامه، أخذ يردد تلك العزيمة بعدد معلوم، ثم قبض بيده على سكين ذات نصلٍ حاد كاد يشق الهواء، صار بها على رقبة الكبش لذبحه..

ملأت الدماء الغرفة، تناثرت على وجهه وثيابه، انتظر قليلًا حتى خروج الروح، ثم قام بقطع جزء من الفخذ ووضعه جانبًا، ما زال يردد في العزيمة..

قام وحمل الذبيحة على كتفه وخرج من البيت، يسير في الظلام الحالك، يسمع أصوات الذئاب تدوي من كل اتجاه، حتى وصل إلى البئر المهجور فألقاه فيه..

عاد إلى البيت، دخل إلى الغرفة أخذ يردد العزيمة مرة أخرى، حتى تراقص لهب الشموع، من رياح لا مصدر لها، أخذ يقطع من فخذ الذبيحة ويأكل، حتى سمع صوت طرقات على الباب، خرج ففتح، فرأى أمامه رجلًا منحني الظهر دميم الخلقة، قال...

«*لقد قبلنا ما ذبحت لنا، وسررنا بأنك شاركتنا فيه، ومن الآن نحن في خدمتك، وطاعة أوامرك..*».

قال له راشد:

«*ليلة الغد سأطلب منكم ما أريد وأرغب..*»

قال الرجل:

«*سننتظر إشارتك لنا بالحضور، نحن في خدمتك..*».

نظر راشد للرجل الذي ما إن ابتعد عن البيت ببضعة خطوات حتى اختفى....

عاد مرة أخرى للداخل ليلملم أغراضه ويعود إلى القاهرة حيث سيدته...

***

كانت حور في هذه الأثناء ترقد في الغرفة في منتصف النجمة الخماسية، بعد أن يئست من إجابة ناصور عليها..

كانت تهذي بكلمات شركية لعلها تستعطفه وترضيه، تحاوطها الشموع والبخور من كل جانب، تقول باكية:

*«لا تتركني حتى أنتهي من انتقامي، أنا خادمتك المخلصة منذ سنوات، اطلب مني ما تريد، لتعيد لي قوتي، أرجوك يا سيدي ناصور».*

اعتدلت حور من رقدتها حين رأت اهتزاز الشموع، فهذه إحدى علامات الحضور..

نظرت إلى جنية ذات جناحين تطوف حولها، فقالت ضاحكة:

*«ههه ناصور أرسلك، كنت أعلم أنه لن يتخلى عني، كنت على يقين أنه لن يفعل...».*

دوت صرخات عالية من الضحك فور سماع الجنية هذه الكلمات، وقالت بغلٍّ:

*«كم كنت أطوق شوقًا لهذا اليوم..»*

قالت حور وهي تدقق النظر في الجنية:

*«من أنتِ»؟.*

سمعت حور همسات داخل رأسها أرسلتها لها الجنية

لتُذكرها من هي..

اسودَّ وجه حور أكثر مما هو عليه، واتسعت حدقات عينيها اللتين أصبحتا كفتحات آبار عميقة مظلمة..

وقالت بخوف:

«*ماذا تريدين مني*»؟.

أجابتها الجنية:

«*لا شيء سوى موتك*...».

قالت حور:

«*أرجوك لا تفعلي حتى أحصل على انتقامي*..».

قالت الجنية:

«*ممن ستحصلين على انتقامك ومن أجل ماذا*»؟.

قالت حور:

«*ممن قتلوا زوجي*..».

قالت الجنية:

«*زوجك شافع*..».

قالت حور:

«نعم...».

قالت الجنية:

*«أتعلمين مَن قتله..»؟.*

قالت حور بثقة:

*«أخي مطاوع وقناوي صديقه..»؟.*

قالت الجنية:

*«وأين هما الآن»؟*

أجابتها حور وهي تَجُزُّ على أسنانها:

*«لقد أحرقتهما هما وعائلتيهما، بقي فقط اثنان من ذريتهما لأنتهي من انتقامي، بعد ذلك بإمكانك أن تقتليني..».*

قالت الجنية:

*«سأقتلك، لكن دعيني أريكِ شيئًا قبل ذلك....».*

فتحت حور عينيها لترى نفسها واقفة في ركن غرفتها ببيت خالتها نفيسة، تنظر إلى نسخة أخرى منها مستلقية على السرير أمامها، تنظر باكية في الجهة الأخرى حيث شافع وقد غرق في نوم عميق..

تنظر على هذا كله من ركن الغرفة، متأثرة وكأنها تستحضر

الشعور ذاته تلك الليلة..

توقفت عن البكاء حين رأت نسختها تقوم من رقدتها بشكل مفاجئ وغير طبيعي، تنزل من على السرير كإنسان آلي، لا شعور فيه، تتجه إلى خارج الغرفة، ثم تعود ومعها سكينتان، تقف بهما عند الباب، فيستيقظ شافع ويُصدم، حين يراها تقترب منه ببطء، يحاول أن يتحرك من رقدته دون جدوى، وكأنه مقيد بالفراش..

ينظر لحور التي تزحف على قدميه كثعبان يتلاعب بفريسته.

كانت ملامح الصدمة على وجه شافع هي نفسها التي كست وجه حور الواقفة في ركن الغرفة، وتنظر لنفسها وهي تطعن صدره بالسكينتين دون رحمة، حتى فارق الحياة..

حاولت الذهاب لإنقاذه من نفسها، حاولت الصُراخ من أجل توقيف شبيهتها، لكن دون جدوى، ثم رأتها تخرج من الغرفة فتحركت خلفها لا إراديًا، إلى أن نزلت إلى القبو السري، لتدخل الغرفة التي بها هيكل خالتها نفيسة، لتراها تضع السكينتين بجانبه وتصعد للأعلى مرة أخرى، لتنام بجانب شافع على الفراش، الذي تحول تحتها إلى بركة من الدم....

وجدت حور نفسها أمام الجنية فقالت:

*«أعرف أن هذا كذب، لقد أردتِ التلاعب بي لا أكثر..».*

أجابتها الجنية قائلة:

*«لقد رأيتِ ما حدث..».*

قالت حور باكية:

*«سأدعك تقتليني الآن، لكن قولي أن ما شاهدته هذا خداع منك..».*

وتابعت قائلة:

*«لم أقتل شافع بيدي، لا ...».*

قالت الجنية:

*«بل فعلتِ..».*

أخذت حور تصرخ وتضرب رأسها بيديها وهي تقول:

*«كيف.. كيف..»؟*

لم تُخبرها الجنية أنها فعلت ذلك بعد أن تلبسها جني، بتعويذة قوية قام بها مطاوع وقناوي، ليجعلاها تقتل شافع بدون وعي أو إرادة...

حتى تزيد من عذابها قبل أن تقتلها..

اقتربت الجنية من حور الجالسة على الأرض باستسلام تبكي ظنًّا منها أنها تسعى كل تلك السنوات لانتقام كاذب، كان عليها أن تقتل نفسها ذلك اليوم فقط..

اقتربت الجنية حتى كادت تلامس وجهها، قبضت بيدها على رأسها وقبلتها..

قبلة الموت، التي تمتص بها الأرواح...

لم تترك الجنية هبيانة بنت البارش حور حتى سقطت أرضًا، جسدًا خاويًا لا روح فيه.......

# 29

عاد راشد من البلدة على بيت سيدته مباشرةً، لكي يبشرها بما فعل، ليعود بها إلى هناك لتطلب ما تريد من ساكني البئر، بعد أن سخَّرهم لطاعته من أجلها، كان يصعب عليه رؤيتها ضعيفة هكذا، لقد تعهد ذات يوم على التضحية بحياته إذا ما أرادت، دخل إلى البيت يصيح باسمها من شدة حماسه، لكنه لم يجد ردًّا، كان على وشك الصعود للبحث عنها في الطابق الثاني، لكن شيء ما جعله يتجه نحو الغرفة في الطابق الأسفل، فتح الباب، ليراها ممددة على الأرض، وجهها للجانب الآخر.

بخطى سريعة ملهوفة اتجه نحوها، ظن أنها نائمة بعد ليلة كاملة من الثمالة، لكن حين وضع رأسها بين يديه ونظر في وجهها، عرف أنها ذهبت بلا رجعة، أصابه ذلك بجنون فوق جنونه، ينظر إلى وجه أزرق بارد لا دماء فيه ولا حياة، عينان منطفئتان عليهما آثار باقية من فزع.

كانت عينا راشد تذرفان الدموع في صمت، بدون صراخ ولا جلبة، حملها معه إلى السيارة بالخارج، يتمتم قائلًا:

*«لن تذهبي لأي مكان ستبقين هنا معي».*

***

جعلت الجنية هبيانة بنت البارش غلابً يرى مقتل عمته بعينيه، ليحصل بذلك على انتقامه، وحماية نفسه منها، كما ضمن بموتها عدم معرفة حور أنه قاتل عائلتها، حتى لو فعل ذلك بعد خداع عمته..

بعد مرور ثلاثين يومًا، جمح فيها غلاب نفسه لكيلا يعرض على حور الزواج قبل مرور فترة كافية على موت عائلتها، ورغم تردده إلا أنها استقبلت هذا العرض، بفرح انتفض له قلبها..

فقد انتصرا أخيرًا على الشر، كان هناك شرط واحد أبت حور أن يتم هذا الزواج قبل تنفيذه، أن يتخلصا من الكتابين، على أن يتعهّد لها غلاب بعدم استخدام الجن مرة أخرى..

لم يتردّد غلاب في تنفيذ هذا الشرط، هو يعرف جيدًا الأثر الذي تركته تلك الكتب في حياة عائلتيهما، وقف الاثنان ليلًا أمام برميل معدني قد أشعلوا الحطب بداخله، وعندما رأوا أجيج النار يعلو ويستعر، ألقى كل واحد منهما الكتاب الذي يحمله فيها، وقفا ينظران إليها براحة وكأنهما يحرقان الشيطان ذاته..

لم يأخذ زواجهما الكثير من الوقت لإتمامه، فهما وحيدان، كما إن أبويهما حرصا طيلة السنوات على عدم الاختلاط بمعارف وجيران، كانوا يُحبون العزلة، لكن هذا لم يمنع حور

أن تتحدث مع عدد قليل من صديقاتها المقربات ليكن معها في هذا اليوم، وسعدت بذلك كثيرًا..

عاد غلاب إلى عمله في شركة التسويق مرة أخرى بعد زواجه، رغم أن بيع منازل أبويهما المحترقة درَّت عليهما مبالغ كبيرة من المال، لكنه أراد العمل رغم ذلك..

بعد شهر....

استيقظت حور هذا الصباح مبكرًا كعادتها لتحضير الفطور لغلاب قبل موعد عمله..

شعرت بالدوار، لكنها أخفت عنه ذلك حين سألها، كانت على هذه الحالة منذ أيام، لكنها لا تُريد إزعاجه..

بعد الفطور وذهابه إلى العمل، ارتدت ثيابها وذهبت إلى إحدى العيادات القريبة من المنزل..

وهناك تم تبشيرها أنها في انتظار طفلها الأول، كانت سعادتها غامرة، لم تستطع أن تتمالك نفسها من البكاء، أرادت الاتصال بغلاب لتُخبره، لكنها تراجعت، أرادت أن تخبره ليلًا بطريقة أكثر رومانسية..

عندما عادت إلى البيت وجدت أن هناك ظرفًا صغيرًا مُلقًى عند عتبة الباب، ظنت في البداية أنه يخص غلاب، لكنها

شعرت بالغرابة حين رأت اسمها قد كُتب عليه من الخلف بخطٍّ سيء...

دخلت إلى البيت بدَّلت ثيابها، ثم فتحت الظرف، لتجد بداخله ما جعلها تدخل في حالة بين الذهول والصدمة طيلة اليوم..

عاد غلاب في الوقت المعتاد بعد انتهاء عمله، استقبلته مبتسمة كعادتها، وضمها إلى صدره كعادته..

وجهته لأخذ حمامه ريثما تقوم بتجهيز العشاء...

جلس على الأريكة، يتنفس بصعوبة بالغة، قد انتفخت معدته من كثرة ما تناوله من طعام، ينظر إلى حور القادمة وفي يدها كوبين من الشاي، فقال لها مازحًا:

«*ستتسبب أكلاتك الشهية هذه في موتي يومًا ما*».

نظرت له حور نظرة غير معتادة وقالت:

«*عليك ألا تترك نفسك لها إذن*».

شرب الشاي وأراح رأسه على قدمها قائلًا:

«*أنتِ لا تعرفين مقدار حبي لكِ بعد، اعلمي أني لن أتردد لحظة في التضحية بحياتي لأجلك يا حور*».

كان غلاب في هذه اللحظة يتحدث بصدق كبير، لقد أصبحت حور أكثر من زوجة وحبيبة، فهي الآن بمثابة عائلته ووطنه الذي يشعر فيه بالأمان...

سقطت على وجهه دمعتانِ ساخنتانِ منها، فنظر إليها وإذا بها تبكي تأثرًا من كلماته وقالت:

*«تعلم أن هذه الكلمات لطالما ردَّدها أبي لي، لقد كان يُحبني أكثر من أي شيء آخر».*

صمت غلاب قليلًا، لا يعرف ما الذي ذكَّر حور بأبيها الآن، ولا يعرف أي كلمات ينطق بها على ما قالت..

التفت لها حين وضعت يدها على وجهه برفق قائلة..

*«لقد أحببتك منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها، لطالما رأيت فيك ملاذي، مهربي الذي أفر له من قسوة الحياة لأنعم بالراحة بين كنفه، لقد رأيت فيك كل شيء أردته يومًا».*

قبّل غلاب كفَّها امتنانًا على ما قالت، ثم أغمض عينيه ودسَّ رأسه في جسدها أكثر ليزداد شعوره بالدفء والحب.

ما لبث حتى فتحهما على صوت حور وهي تقول:

*«هل فكَّرت في إيذائي يومًا»؟*

صمت غلاب لثوانٍ ثم أجاب..

*«كيف يؤذي الإنسان نفسه، قُلتُ لكِ أني على استعداد لنزع قلبي من بين ضلوعي لأقدمه لكِ بيدي ل......».*

قاطعته حور حينما مدت يدها بهاتفها أمام عينيه، بعد تشغيل مقطع الفيديو الذي وصلها صباح اليوم داخل الظرف..

انتفض غلاب من رقدته حين رأى ما يتم عرضه بوضوح..

كان هو، عندما كان يستخدم تعويذة الحرق على بيت قناوي والد حور..

ينظر للمقطع بذهول، لا يعرف من قام بتصويره وكيف..

احمرَّ وجهه ندمًا وخجلًا، مُستغربًا من هدوء حور فقال..

*«كيف وصل هذا إليكِ»؟.*

قالت حور بهدوء:

*«أرسله لي أحد الأشخاص يقول: إنه صديق والدي».*

قال نادمًا:

*«لقد تم خداعي يا حور أُقسم لكِ، أنه قد تم خداعي، كذبت عليَّ وقالت إن أباكِ هو من قتل عائلتي بالطريقة نفسها».*

قالت حور باكية..

*«لم تتردد في قتلي أنا وعائلتي إذن أليس كذلك»؟*

قال غلاب بنبرة صوت انهزامية..

*«لقد كان الصراع بداخلي عنيف، حبي في كفة وانتقامي لعائلتي في أخرى، وأنا الوحيد الذي عليه أن يختار».*

اكتفت حور بالنظر إليه باكية فقال:

*«حين رأيت النيران، شعرت أنها تندلع بداخلي، للدرجة التي أردت فيها أن أُلقي بنفسي هناك لإنقاذك، لقد قتلني الندم حين فعلت».*

صمت غلاب قليلًا وتابع:

*«عليك أن تسألي نفسك لِمَ ظهر هذا المقطع الآن، من المؤكد أنَّها خططت لذلك».*

ضحكت حور باستهزاء قائلة..

*«لقد ماتت، كيف ستُخطط لذلك، هل تسمع ما تقول»؟*

صمت غلاب فقامت حور إلى غرفتها، دخل خلفها فوجدها تجمع ثيابها؛ فقال:

*«حور إلى أين؟ لا تتركيني».*

لم تجبه، أكملت تعبئة حقائبها فسألها قائلًا:

*«أخبريني إن كنتِ مكاني، ما سيكون قرارك حينها»؟.*

وتابع..

*«هل كنتِ ستتركيني أنا وعائلتي، هل كنتِ ستترددين في قتلي..»؟.*

أجابته حور والدموع تَنهمِرُ من عينيها قائلة:

*«كنت سأقتلك بدون أن يرف لي جفن».*

ابتلع غلاب ريقه وقال:

*«من أرسل هذا الفيديو لا يُريد سوى أن يفرقنا».*

في هذا الوقت بدأ غلاب يشعر بشيء ما يعتصر معدته، ألم شديد لا يُطاق..

تشوشت رؤيته، تحول كل شيء حوله إلى ضباب!

يقبض على بطنه بيديه، يستغيث بحور من الألم الذي يعانيه..

سقط أرضًا، أخذ يتلوَّى حتى انكمش جسده على بعضه كجنين في رحم أُمِّه..

ينظر لحور التي تقترب منه باكية، سمع صوتها يتردَّد على مسامعه كالصدى..

*«لقد اخترت الانتقام لعائلتك حتى بموتي، وأنا اتخذت القرار نفسه للتو..».*

لفظ غلاب أنفاسه الأخيرة وملامح الصدمة والذُعر تكتسي وجهه.

جلست حور تبكي بجانب جثته في خوف، تشعر وكأنها هدمت الجدار الأخير التي ترتكن عليه..

وضعت رأسها على صدره الذي اختفى النبض منه، تتحسس بيدها على بطنها، لتُطمئن هذا الطفل الذي شاهد منذ قليل أمه تقتل أباه..

انقطعت الإضاءة فانتفضت حور مبتعدة عن جثة غلاب..

هُيئ لها سماع خطوات أقدام معها في البيت، تنظر في الظلام حولها لتجزم أنه مُلئ بالخيالات، قامت من جلستها إلى المطبخ تُشعل بعض الشموع لكي تطمئن، تحسست طريقها للمطبخ، بحثت في الأدراج حتى وصلت أخيرًا لواحدة، أشعلتها سريعًا، بعد أن كادت تختنق من الخوف..

مدت يدها لتنير طريق خروجها بعد أن قبضت يدها الأخرى على سكين..

تجمدت في مكانها، على أقدام بالكاد تحملها، تنظر بذُعر

على المكان التي كانت تجلس فيه منذ لحظات، وقد كان خاليًا تمامًا، لا وجود لجثة غلاب فيه...

ارتجف قلبها واتسعت حدقتا عينيها، حين شعرت بوقوف شخص ما في الظلام خلفها..

تمالكت نفسها، قبضت بيدها على السكين بقوة واستدارت ببطء، وضوء الشمعة يسبقُها، وما إن نظرت إلى الخلف حتى تلقت ضربة مباغتة قوية على رأسها، فقدت على إثرها الوعي.......

# 30

فتحت عينيها ببطء، تشعر بألم شديد في رأسها، برؤية مشوشة بعض الشيء، ترى أحد الأشخاص يجلس على كرسي آخر أمامها، تشعر بالحبال المقيدة بها يداها وقدماها، تغلق جفنيها بشدة وتفتحها لتزيل هذا الضباب الذي يحول بينها وبين الرؤية، فتحتها أخيرًا لترى أنها داخل غرفة فارغة، جدرانها متهالكة، تبعث في النفوس الرعب من تساقط ضوء الشموع عليها.

نظرت لذلك الشخص الجالس أمامها مرة أخرى لتصرخ فزعة، صرخة تردد صداها داخل الغرفة وخارجها، كاد قلبها يتوقف من الصُراخ والبكاء، وهي تنظر إلى غلاب الملقى أمامها بجسدٍ عارٍ على الكرسي، قد انتُزع منه عيناه وقلبه، في مشهد مفزع مخيف، تقشعر منه الأبدان...

لم تتوقف حور عن الصُراخ حتى سمعت صوت أحد ما يفتح باب الغرفة...

دخل إليها رجل في الأربعينات من عمره يبتسم في بلاهة قائلًا:

*«أيتها الفتاة الجميلة عليكِ أن تُخفضي صوت صُراخك بعض الشيء لكي أستطيع متابعة عملي».*

قالت حور باكية:

*«من أنتَ وما تريده منا»؟.*

أجابها قائلًا:

*«أنا راشد، الرجل الذي أرسل لكِ المقطع الذي يظهر فيه قاتل عائلتك صباح أمس».*

قالت حور:

*«أنت لست صديقًا لأبي كما ادعيت، أليس كذلك»؟.*

قال راشد:

*«أنا الفتى الخادم والصديق والحبيب لسيدته».*

قالت بندم وحسرة:

*«لقد أرسلت لي هذا المقطع لأقتل غلاب إذن، وأنا بغبائي قد فعلت».*

بكت فقاطع راشد بكاءها وقال بنبرة صوت شبه ساخرة:

*«الحقيقة أني أُعجبت بقوتك هذه، كانت عكس ما توقعت تمامًا، كان هدفي فقط أن تفترقا، لأنتقم منكما على حدا، لكن بما أنكِ قد فعلت هذا، فسأعدل في طريقة انتقامي..».*

صمت راشد قليلًا وتابع:

*«انظري إلى هذا وهذا».*

قالها وهو يشير بيده على تجويف عينيّ غلاب وقلبه..

*«كنت سأنتزعهم من جسدك أنتِ، لكن قدرك أبى ذلك، أو أنه حظك الجيد».*

قالت حور:

*«لم أعد أخاف الموت، لقد فقدت كل شيء بالفعل، فافعل ما بوسعك وتعجل».*

بابتسامة سمجة تكسو وجه معتوه قال:

*«أعتقد أنه قد حان الوقت لذهابك لعالمك الجديد هاهاها».*

اختتم حديثه معها بضحكة شيطانية وخرج من الغرفة...

استجمعت حور قواها لتبدو متماسكة أمام راشد، بعد أن علمت أن أشد ما سيفعله معها أنه سيقتلها، لكن سرعان ما تلاشت هذه القوة وحل مكانها الفزع والرعب، حين رأت ثلاثة رجال منحني الظهر، وجوههم دميمة، تبرُزُ منها أنوف طويلة، وهم عابثون صامتون، يتقدمون نحوها ببطء يُوقف القلب، غير عابئين بصُراخِها الذي كاد أن يفجر الآذان، فك أحدهم قيدها بدون أن يقترب منه، بالنظر إليه فقط.

حملها الثلاثة على أعناقهم وساروا بها كأنهم يشيعون جثتها..

خرجوا من البيت مُتجهين إلى البئر المهجور، يراقبهم راشد وسط صرخات حور التي لم تنقطع، اقترب أكثر ليراهم يحلقون بها فوق البئر لثوان، ليختفوا بعد ذلك بجسدها بداخله شيئًا فشيئًا، لتختفي حور وصوتها في الأعماق المظلمة...

عاد راشد للداخل بعدما انتهى من رؤية مشهد المصير الذي حدَّده لحور..

ليدخل إحدى الغرف الذي قام فيها برسم هندسي مميز يُشبه مثلثًا على الأرض، نُقشت الطلاسم بداخله وخارجه، أمامه كرسي ملقًى عليه جسد، لم تنقطع عنه نظراته...

دخل عليه شيخ البئر بعينيه المظلمتين مرة أخرى، في يده شاة سوداء هزيلة، عيناها بيضاء، تُصدر أنينًا مثل الخوار، حين رآه راشد أخذ منه الشاة بعجل..

أخذ يتمتم بكلمات غير مفهومة، بعد أن وضع الشاة في منتصف الشكل الهرمي المرسوم في منتصف الغرفة، ثم قام بذبحها بحركة مفاجئة لتتناثر الدماء في أركان الغرفة..

لم تمر ثوان حتى أتت رياح شديدة من اللا مكان أطفأت

الشموع، شعر بوجود خيالات حوله، دعاه ذلك لترديد تلك التمتمات مرارًا بتكرار سريع، حتى اشتعلت الشموع مرة أخرى من تلقاء نفسها، نظر إلى الكرسي أمامه، ليرى جسد حور عليه، قد بدت كأنها تنظر إليه بعينين منطفئتين، وفمٍ مفتوح يخرج منه صوت كالخوار، فتحدث لها قائلًا:

*«مرحبًا بعودتك يا سيدتي، لقد أكملت انتقامك بقتل غلاب ابن أخيكِ، وحور ابنة قناوي، وها أنت الآن من ربحت في النهاية..».*

مسح راشد ما تبقى من دماء الشاة على وجهه، وهو ينظر إلى حور ويسمع خوارها في سعادة بلهاء...

لقد جعل منها بمساعدة الجن جسدًا مجوفًا له خوار، لا روح فيه كعجل السامري لبني إسرائيل.....

# كلمة الكاتب

لقد تكالبت علينا الفتن من كل جانب، وليس عيبًا أن نخطئ، إنما العيب في التمادي، فإذا فُتنت، عُد واسأل المغفرة، واعلم أنه لا سعادة في طريق لا ترى الله فيه، وأن مكاسب الدنيا زائفة، ووعود الشيطان كاذبة....

**محمد خالد رزق**